


# إله التوراة
# إله القرآن

توماس رومر-جاكلين الشابيّ
ترجمة وتقديم: نبيل دبابش

# إله التوراة إله القرآن

## حوار مع جون-لوي شليغل

تأليف: توماس رومر-جاكلين الشابي

ترجمة وتقديم: نبيل دبابش

الطبعة الاولى :2025

عدد الصفحات:276

القياس:14.5-21.5

ISBN:978-9922-8974-0-0





المرهج للطباعة والنشر

لعراق-بغداد-شارع المتنبي-مدخل جديد حسن باشا

Email: almerhj1974@gmail.com

Facebook: مكتبة المرهج

Mobile: 0009647709629675



دار دجلة الاكاديمية

للنشر والتأليف والتوزيع والترجمة

الإخراج الفني: كرار محمد علوان

# إله التوراة إله القرآن

## حوار مع جون-لوي شليغل

تأليف:توماس رومر-جاكلين الشابّي

ترجمة وتقديم:نبيـل دبابـــش

# تاريخية النص الديني

تعالى النص الديني عن التاريخ مثلما تعالى الدين عن الانثروبولوجيا، ولقد خسرنا بهذا التعالي الكثير، وكسب شيوخ الطوائف في أديان الأرض المختلفة، وفي دولنا الإسلامية كان كسبهم مرتبط لا بالتخلف الاجتماعي والعمل على ترسيخه، وتقعيد القواعد الإلهية له فحسب، بل بالدم، إذ استبيح دم الإنسان ودُنس شرفه؛ وما حصل مع العراقيات الإيزيديات مازال حيا، والتفجير الذي حصل بمسجد في سلطنة عمان التي لم تعرف للتطرف مدخلا من قبل مازالت دماؤه طرية..

إذا كان عمانويل كانط (١٧٢٤- ١٨٠٤) منذ القرن الثامن عشر وضع مسار تمييز بين العقلي والإيماني غايته الأساس ربط الدين بالإيمان وعدم البحث عن مسوغات عقلية لا تؤدي لغير الإيمان المجنون والتعصب الأعمى، ومن ثم يكون العنف النهاية الطبيعية له. الإيمان شعور روحي فردي يعيشه الإنسان بحثا عن توازن نفسي، واستقرار عاطفي، وتخلص من شده عالم مادي قطّع العلاقات الاجتماعية خالقا نظاما من العزل ليس أمام الإنسان فيه سوى أن يلوذ بعالمه الداخلي، ليحيط نفسه بغلالة روحية تشعره باجتماعيته الضائعة، وتعيده لحضن إنسانيته المفقودة... لكن في ظل

تنظيمـات اسـتغلت هـذا الخـراب الاجتماعـي الناتـج عنـو تطـور تقنـي أعـرج لخلـق مؤمنـين لا يـرون في إيمـان غيرهـم إلا كفـرا، فحللـوا القتـل واسـتباحة حرمـات البـشر تحـت مسـميات اخترعوهـا وآمنـوا بصدقيتهـا وهاهـم يسـعون لفرضهـا عـلى البـشر، في ظـل هـذا يأتـي الحـوار بوصفـه النافـذة الأكثـر نفعـا، لأنـه الأكثـر وضوحـا وتوضيحـا، وفي حـوارات هـذا الكتـاب خلاصـة جهـد سـطره المحـاورون في العـشرات مـن كتبهـم ومقالاتهـم المتخصصـة في الموضـوع الدينـي فتومـاس رومـر (Thomas Römer) المولـود في العـام ١٩٥٥ لعائلـة بروتسـتانتية متدينـة، والمتخصـص في دراسـة العهـد القديـم، هـو إصلاحـي سـويسري مـن أصـل ألمانـي، أسـتاذ العهـد القديـم في جامعـة لـوزان، وشـاغل كـرسي (الدراسـات التوراتيـة) في الكوليـج دو فرانـس، وأول أجنبـي يرأسـه (الكوليـج دو فرانـس) إذ ترأسـه منـذ العـام ٢٠١٩. وقـد سـاهم عملـه في تجديـد فهـم أسـفار مـوسى الخمسـة، وكذلـك في فهـم التقاليـد اليهوديـة حـول إبراهيـم ومـوسى عـلى وجـه الخصـوص. عُـرف منهجيـا بجمعـه بـين النقـد التاريخـي والتحليـل الأدبـي واللغـوي لنصـوص العهـد القديـم، مدعومًـا أحيانًـا بعلـم الآثـار، سـعياً إلى اكتشـاف الظـروف الاجتماعيـة أو السياسـية أو الثقافيـة التـي تشـكل إطـار الفكـر الدينـي الـذي تولـده، بغـض النظـر عـن التأثـير أو القـراءات اللاهوتيـة المعـاصرة. ويلاحـظ أن كتابـة النصـوص التوراتيـة تشـكل شـكلاً مـن أشـكال التوليـف بـين مفاهيـم الهويـة والمفاهيـم اللاهوتيـة المختلفـة تمامـا. وقـد كتـب بالاشـتراك مـع جـون دانييـل ماتـشي، دليـل الكتـاب المقـدس العـبري، ولـه أيضـا: العنـف في العهـد القديـم في العـام ١٩٩٦. وفي العـام ٢٠٠٧ أصـدر كتابـه: التاريـخ الأول لإسرائيـل، وفي العـام ٢٠١٣: كتابـة الكتـاب المقـدس (الكتبـة، والكتابـات، والنصـوص). وأصـدر مـع ليونـي بيشـوف، ولادة الكتـاب المقـدس، ومـع إسرائيـل فينكلسـتين أصـول التـوراة.

أما جاكلين الشابي، فهي مؤرخة فرنسية، واستاذة الراسات العربية في جامعة باريس الثامنة، ولدت في العام ١٩٤٣، وأكملت الدكتوراه في السوربون التي درست فيها غرب شبه الجزيرة العربية في أوائل القرن السابع، وكانت بأشراف جمال الدين بن الشيخ وكلود كاهن. وقد عرفها القارئ العربي من كتابها (رب القبائل) الذي نُشر في العربية في العام ٢٠٢٠.

أما محاورهما فهو الفيلسوف، والناشر، وعالم اجتماع الأديان، اليسوعي الفرنسي جان لويس شليغل المولود في العام ١٩٤٦، يشغل منصب مدير التحرير في مجلة Esprit منذ العام ٢٠١٢، له كتابين: الأديان حسب الطلب في العام ١٩٩٥، والأصولية والأصوليون في العام ٢٠٠٢. وقد ترجم عن الألمانية العديد من الكتب، من أبرزها (نجمة الخلاص) لفرانز روزنزويج (مع ألكسندر ديركزانسكي)، و(نظرية العمل التواصلي) ليورغن هابرماس (مع جان مارك فيري) و(اللاهوت السياسي) لكارل شميت، و(موسى والإله الواحد: أسس التوحيد).

هكذا اجتمعت ثلاثة عقول متخصصة لتقديم هذا الحوار الغني في ما يقدمه من خلاصات لتجارب بحثية، تتشابك لتظلل بفروعها معرفة مازالت منقوصة برغم ادعاء الآلاف الانشغال بها والاشتغال عليها، لكنه اشتغال التابع المتعصب أو الشارح المفسر لا الدارس المتشكك أو السائل المتمحص. ما يقدمه هذا الكتاب يفتح لنا- نحن القرّاء- نافذة لمحاورة أفكار كل منهما ونقدها، والإفادة منها، فالمجال الديني بعموميته أضاع الخصوصية البحثية، وبخصوصيته أصبح كهانة، لكننا هنا نقف على سؤال عن الجذر والأصل والتكون والتحول... وهي الأسئلة التي كانت، وستبقى، محورية، وعليها تقاتل المتقاتلون ودبّجت ملايين الصفحات، ومنها ولدت المذاهب والطوائف والاعتقادات. وليس تجديد الفكر الديني الذي حمل لواءه

المجددون من جمال الدين الأفغاني مرورا بنصر حامد أبي زيد، وصولا للحظتنا الحالية، ومن النائيني مرورا بعبد الكريم سروش وصولا لهذه اللحظة التي اجتمع فيها الإصلاحيون من كل المذاهب فلم يجدوا صدى لصوتهم بين ضجيج أصوات الأصوليين، ليس تجديد الفكر هذا إلا مسعى لاستعادة إنسانية الإنسان...

فلنحترم الإنسان لإنسانيته ولنترك له معتقده، دينه، مذهبه، حزبه انتماءه، قوميّته، أصله، ولندرك أنّ التبشير وظيفة وليس غاية إنسانية، والمبشر بألف قناع...

**سعيد عبد الهادي المرهج**

# تقديم

في هــذا الكتــاب، يحــاور المختــص في سوســيولوجيا الديانــات والفيلســوف الفرنــسي جــون لــوي شــليغل، كل مــن تومــاس رومــر وجاكلــين الشــابّي، حــول المســائل الأساســية التــي ميّــزت التوحيــد في كل مــن اليهوديــة والإســلام.

هــذا الكتــاب، هــو بمثابــة خلاصــة فكريــة، مهمّــة، اســتطاع المُحــاور مــن خــلال أســئلة، موجهــة ودقيقــة، أن يُســلط الضــوء على عصــارة البحــث عنــد كل مــن تومــاس رومــر وجاكلــين الشــابّي، ويــبرز أهــمّ مــا وصــل إليــه التفكــير عندهمــا، في مواضيــع كانــت بالأمــس القريــب ضمــن المقــدس الــذي لا ينبغــي التفكــير فيــه، أو ربمــا كانــت مــن المواضيــع التــي تســتغلها أوســاط ســلطوية معينــة للتوظيــف الأيديولوجــي.

مــع تومــاس رومــر هنــاك مقاربــة نقديــة تاريخيــة حــول تأريخيــة الإلــه وتأريخيــة النصــوص. لــم تولــد النصــوص التــي وصلتنــا دفعــة واحــدة وعــلى نحــو مكتمــل، ولكنهــا كانــت نتــاج واقــع تاريخــي وثقــافي أســهم بغــزارة في تكوينهــا. لــم يكــن التوحيد مــن صميــم تفكــير اليهــود الأوائــل، ولكنهــم عملــوا عــلى إنتاجــه في ظــروف تاريخيــة معيّنــة، وترسّــخ في أذهانهــم مــن خــلال أحــداث وتجــارب اجتماعيــة، اســتمرت لعــدة قــرون.

ان النصــوص لا تقــول -دائمًــا- الحقيقــة، ومــن الصعــب

التأكّد من مصداقيتها، لذا يعتمد توماس رومر على الدراسات الأركيولوجية من أجل مقاربة أكثر دقة للتوراة ونصوصها.

من التعدد إلى التوحيد، مسار تاريخيّ طويل نحو تشكّل الإله الواحد؛ صار واحدًا عند اليهودية عندما نضجت الظروف التاريخية والاجتماعية لذلك. فالاقتباس من الثقافات التي عايشتها العشائر اليهودية المُهجّرة، لم يعد خفيًّا على الباحث اليوم. إن المعاني التي ألبستها اليهودية للتوحيد نجدها مستوحاة في مجملها من ثقافات الشرق القديم.

فكل النصوص التوراتية كتبت بتأثيرات أيديولوجية ومصالح لاهوتية، علينا فهمها عند قراءة قصص موسى وإبراهيم وإسحاق... فعند قراءة التوراة يجب التمييز بين الخيال الأدبي الذي أنتج النصوص، وبين الواقع التاريخي وكذلك الحضاري الذي جعلها تظهر بالصيغة التي هي عليها.

فالتوراة ليست كتابًا في التاريخ، ومن العبث الاستمرار في مقاربتها وفق تلك الصفة، لأنّ من كتبوا النصوص قاموا بانتقاء أحداث دون غيرها، والجمع بين وقائع غير متزامنة وفي غير إطارها التاريخي.

عندما برزت الضرورة لميلاد إله واحد ، تبنّى اليهود "اليهوه" وجعلوا منه رمزًا وطنيًّا للتوحيد، تمامًا، مثل حاجتهم إلى مملكة تجمعهم وتوحّد عشائرهم. تعلموا الكثير من الآشوريين والبابليين... وأعادوا إنتاج النصوص وفق ذلك التأثير.

فدولة إسرائيل، التي تأسست سنة 1948م، ليست سوى مرحلة في التاريخ.

مع جاكلين الشابي، ودائمًا وفق منهجية النقد التاريخي، نفتتح صفحة جديدة لنكتشف معها ما يُميّز الإسلام الأول " المحمدي"، عن إسلام الإمبراطوريات. من أين جاء اسم الله؟

الذي لم يكن مذكورًا في البداية، إذ تتكلم الآيات الأولى عن الرب والذي هو السيّد اجتماعيًا، بعده يدخل المشهد اسم الرحمان الوارد من اليمن، ليظهر في الأخير اسم الله، ويصبح إله القرآن بامتياز؛ إنّه رب البيت ومورد الماء والحامي للممرات من المخاطر التي قد تصيب البدو في تنقلهم للتّبضع، إنّه الوحيد المالك والقادر على ضمان المنفعة دون غيره من الإلهات الثلاث الإناث، كرجل القبيلة الذي يلعب دور الضامن لتماسك العشيرة وأمنها.

فالتماثل واضح بين البناء الاجتماعي القبلي للبشر في تلك المرحلة من التاريخ، في الجهة الغربية لجزيرة العرب، وبين المكان والأسلوب الذي يعتمده الخالق لأجل إدارة وتسيير خلقه كسيد للحياة؛ هذا السياق يجعله بشكل ملموس سيد المطر، ومالك لخزائن السماء التي تحتوي السائل الثمين.

فنحن لا نشهد تصورا/تجسيدا ملكيا أو إمبراطوريا لحاكم يحكم رعاياه(مثلما هو الحال عند اليهود مع يهوه)، بل نشهد تصورا/تجسيدا لهيمنة نافعة ومسؤولة؛ فالرحمة والإحسان الإلهيان التي تظهر في القرآن هي دليل على العطف في الواجب.

إذا كانت العلاقة بين يهوه وشعب إسرائيل تعيد إنتاج – أولًا- علاقة الملوك الآشوريين أو البابليين بالرجال التابعين لهم، فان علاقة الله بالقبيلة تعيد إنتاج صورة الزعيم بعشيرته، فهو حكيم نافع وقادر على التجاوب مع تقلبات الحياة،

و تمكين مجموعته من الاستمرارفي العيش.

فأحد الاختلافات الأساسية بين إله التوراة وإله القرآن، تتمثل في التعارض العميق بين صورة يهوه وصورة الله، بسبب الإطار الاجتماعي والبيئي المختلف.

ان الاقتباس القرآني عن التوراة واضح في العديد من

المقاطع، ولكن ذلك لا يعني أبدا أن القرآن هو بمثابة إعادة إنتاج لنصوص توراتية أو هو نسخة مطابقة لما سبقه، كما يذهب بعض الباحثين اليوم؛ فالقراءة الدقيقة للآيات تبيّن أن التوظيف القرآني للرموز التوراتية جاء استجابة لتحديات ظرفية ووفق تأويل متميّز للنصوص المقتبس عنها والتي نُقلت شفاهيًا.

لقد عمل التقليد الإسلامي في عصر الإمبراطوريات، على صناعة صورة مختلفة عن نبي الإسلام وعن إله القرآن، تبتعد كثيرًا عن روح النص، متأثّرًا في ذلك بالجو الثقافي والاجتماعي الذي كان سائدًا منذ القرن الثامن للميلاد، ولأجل الاستجابة لمتطلبات مجتمعات مختلفة إثنيًّا وثقافيًّا.

ما هو مطلوب اليوم، هو فكّ التقديس عن الماضي وقراءته إنسانويا أي بالانطلاق من ممارسة العقل النقدي بديلًا عن العقل اللاهوتي... ليس في الماضي ما يتطلب التقديس، إذا اخترنا فهم النصوص كتعبير عن واقع مكاني وزماني تنتمي إليهما.

نتقدم بالشكر الخالص للصديق الدكتور جمال حسين علي، رئيس تحرير مجلة القبس الثقافي، وإلى الصديقة الصحفية من تونس شيماء رحومة، على المساندة والتشجيع.

نبيل دبابش

الجزائر. مارس 2024م

# تمهيد

لماذا هناك حاجة لمقارنة أصول الديانات الكبرى في العالم، وبالخصوص، كما هو الحال هنا، تلك التي تتعلق بالديانتين التوحيّديتين؟ ألم نقُم بإنجازه مائة مرة، وذلك بإعادة إنتاج منذ عشرات السنين وبنفس الطريقة، سيرة وانجازات كل من موسى ومحمد؟ عدد من الكتب التبسيطيّة والحوليات المدرسية، وكتب التاريخ الجادّة تستمر بتقديم كرونولوجيات تُعيد إنتاج نفس المعطيات منذ زمن –في الوقت الذي قام البحث باستبعادها كليًّا، أو أنه جعلها غير مؤكدة. ليس بالضرورة لأننا نعرف اليوم أنه لا يُوجد إلا القليل، ولكن لأنّه يجب الاعتراف بالفجوة الموجودة فيما يخص الوثائق والآثار الاركيولوجية التي تشهد على حقائق ومعطيات يقينيّة والذي يترك المجال لمكتسبات جديدة. لذا تتمثل المفارقة فيما يلي: كلّما تقدّم البحث في الأصول كلما تنّامت درجة اللايقين، وكل الذي كنّا نعتقده مكسبًا يصير غير يقينيّ على نحو مؤقت أو انه لن يعني شيئا.

من خلال الحوارات التي جمعها هذا المؤلّف، يُقدم كل من توماس رومر Thomas Römer وجاكلين الشابّي Jacqueline Chabbi أمثلة كثيرة حول اليقينيّات التي نعتقد

فيهـا ونُعيـد إنتاجهـا دون الشـك في بداياتهـا الأولى، والتـي لـم يعـد يوافقهـا البحـث. وهكذا،بالنسـبة للتـوراة فيمـا يخـص أصـول المُلك: مـاذا تقـول عـن شـاؤول Saül، وداوودDavid، وسـليمانSalomon، وأيضًـا رحبعـام Roboam ويربعـام Jéroboam(والذيـن يُعتقـد أنهـم توالـوا عـلى عـرش ممالـك إسرائيـل ويهـوذا بـين 1030و930 ق.م مـع تواريـخ صحيحـة لبدايـة ونهايـة حكمهـم) بينمـا لا تثبـت الاركيولوجيـا أي شيء مـن هـذا ولا تعـترف بوجودهـم مـن أصلـه ؟ ولكـن بـدءًا مـن سـلالة الاومريـد Omrides ( خلفـاء الملـك عمـري Omri)، في القـرن التاسـع، تمكّـن البحـث الاركيولوجـي مـن العُثـور عـلى آثـار مؤكّـدة حـول تاريـخ الملـوك الذيـن تذكرهـم التـوراة، والروايـات التوراتيـة. أمـا بالنسـبة للقـرآن، فـان نتائـج البحـث الاركيولوجـي حـول موطنـه التاريخـي محـدودة –الجهـة الغربيـة مـن شـبه جزيـرة العـرب –، حيـث توجـد مكـة، أوهـي شـبه منعدمـة. إن جاكلـين الشـابّي، التـي تُعيـد بنـاء وبصرامـة أنثروبولوجيـا وتمثّـلات القبائـل وبعـض المعطيـات التاريخيـة القليلـة الموجـودة في النصـوص الأولى للقـرآن – القـرآن المسـمى بالمكـي –، تلاحـظ صمتًـا في المراجـع التوثيقيّـة حـول "الشـخصية " التـي سـيختارها الـتراث الإسـلامي منـذ البدايـة "نبيًّـا"، والـذي سـيبدو اسـمه غائبًـا– محمـد – في البدايـة، ليُفـرض أو يُضـاف فيمـا بعـد.

للتفكـير سـوية في تاريـخ مولـد الإلـه " الواحـد " في التـوراة وفي القـرآن بالاعتمـاد عـلى حصيلـة المعـارف هـذه، يلتـزم كل مـن جاكلـين الشـابّي وتومـاس رومـر في حـوار معـرفي ضروري ونافـع. عندمـا نتكلـم اليـوم، بتواضـع، عـن " التوحيـد" لنعنـي بـه اليهوديـة والإسـلام، فإننـا نمحـو اختلافـات معتـبرة تتعلـق بصناعـة أو خلـق لـ "اليهـوه Yahvé" ولـ "اللـه Allah"، حـول " ظهورهمـا " في بيئـات سياسـية، واجتماعيـة، وثقافيـة... مختلفـة بشـكل كبـير. مقارنـة اللحظـة الأولى لديانـة إسرائيـل – تلـك الحقبـة

الممتدة من القرن الثامن إلى القرن السادس أين كانت الممالك الصغيرة لإسرائيل ويهوذا تحت سلطة الإمبراطوريات الكبرى في الشمال وفي الشرق (أشور، بابل وفارس) وفي الجنوب (مصر)- مع ما يحدث في مكة، المدينة القبلية الموجودة بالقرب من مورد ماء، والبعيدة عن طريق القوافل، وأيضًا في المدينة، الواحة التي تعيش فيها تجمعات عشائرية عديدة وفقًا للأعراف القبلية، هو مضيء جدًا. إن هذه الشروط التاريخية المتناقضة لا يمكنها إلا ان تؤثّر في طبيعة الديانتين التوحيديتين وفي اختلافهما؛ هل نتكلم عن نفس الإله أو عن إله آخر غيره؟في الحوار بين الديانات والمكرّس بشكل نشيط، اليوم، من قبل مؤمنين منفتحين ومتحمّسين ومهتمّين بالتّشابهات والاختلافات، وعليه فان سؤال الأصول هذا، والذي يعني أنّ القوة الرمزية حتمية، يجب ألّا يُعتبر ثانويًا.

علاوة على ذلك، نحن نعلم جيّدًا ونرى ذلك يوميًا: بالنسبة لعدد كبير من المؤمنين، اليهود، المسيحيين والمسلمين فإنّ الشكوك التي يحملها البحث الاركيولوجي، والتاريخي، والانثروبولوجي، والألسني... الخ، حول تاريخية الروايات والأشخاص الأوائل يصعب تقبُلها. تذكرنا جاكلين الشابّي، أنّ البحث حول القرآن والبدايات الأولى للإسلام تبقى مرفوضة، على نحو واسع وفي الغالب على نحو عنيف، في العالم الإسلامي. أما في الجانب المسيحي فهي أحيانًا أسئلة يتم تجاوزها، أو إهمالها على نحو واع حتى بالنسبة للأفراد المُثقّفين.

على هؤلاء المؤمنون مراجعة أسباب إيمانهم: إذا كانت أو كان من يؤمن بحاجة إلى معطيات تاريخية موثُوقة وأدلّة علمية من أجل تأسيس إيمانه، فان هذا الايمان سيبقى دائمًا إيمان هشًا، تحت رحمة الاكتشافات الجديدة الناتجة عن البحوث الأكثر حداثة، من دون شكّ أن عددًا من اليهود هم أيضًا في حيرة بسبب البحوث التي تُعيد النظر في تاريخية الحقب

والشخصيات التوراتية، ولكننا نجد الإيديولوجيين السياسيون – اليوم- الذين يوظّفون النصوص القديمة والتي تعود إلى أربعة ألاف سنة من أجل صناعة رواية وطنية ذات بعد واحد وتبرير سياسة إسرائيل في احتلال الأرض، يهزؤون أيضًا وبشكل صارخ من البحث التاريخي الذي يكشف عن تعدّد المضامين والتناقضات الموجودة منذ البداية. من وجهة النظر هذه أيضًا ، يبقى التاريخ أفضل علاج ضد الاستعمال غير المناسب، السياسي أو غيره، للنصوص المنزّلة.

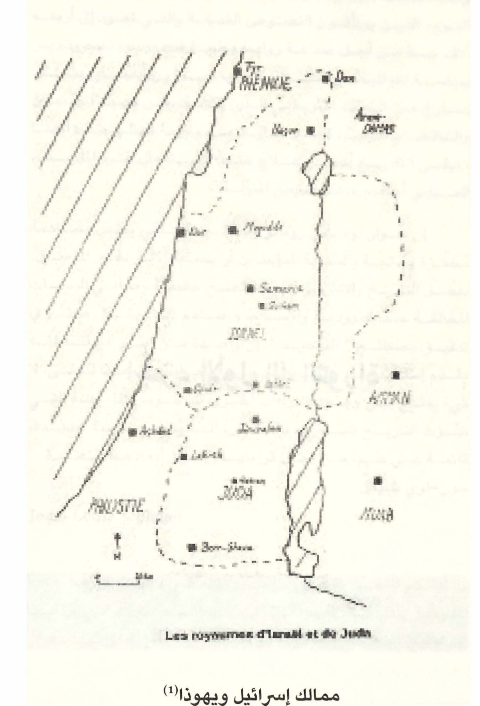
إن حوار توماس رومر وجاكلين الشابّي يمثل مساهمة مُحفّزة ومُنتجة بالنسبة للمؤمنين أو بنسبة أكثر لغير المؤمنين. بفضل التاريخ والانثروبولوجيا، تتضح حقيقة ومعاني البدايات المختلفة جدا لليهودية والإسلام، ويساهم ذلك بشكل معتبر في تدقيق مصطلح " التوحيد ". إن واحدة من ابرز ميزاته انه يقدم إمكانية قراءة غير أسطورية للماضي. في هذا المعنى، لا شيء يمنع من وجود قراءات أخرى للنصوص القديمة التي ميّزت التاريخ البشري، بالعكس: انه يُقدم حرية جديدة، قائمة على علم، من اجل قراءتها وإبراز أبعادها المتعددة.

جون-لوي شليغل

Jean-Louis Schlegel

أتقدم بالشّكر الحار إلى إلسا روزنبرغر Elsa Rosenberger المشرفة على نشر هذا الكتاب، إنها صاحبة الفكرة في هذا المشروع، أقنعتني بإنجازه ورافقته من البداية إلى النهاية.

# الجزء الأول إله التوراة




Les royaumes d'Israël et de Juda

## ممالك إسرائيل ويهوذا[1]

---

١- الخرائط التي يتضمّنها هذا المؤلّف هي من تصميم فابيان بفيتزمان Fabian Pfitzmann

# اسم الإله

**جون - لوي شليغل**

كمـا سـيتضح ذلـك طيلـة مسـار حوارنـا، فالتـوراة هـي عالـم كبـير، مـن التاريـخ، والثقافـة، والديـن...، هـي أيضًـا شـعوب وأشـخاص يظهـرون بذاتهـم في كتـب عديـدة ومختلفـة.

مـن أيـن نبـدأ ؟ اقـترح عليكـم، تومـاس رومـر، البدايـة تكـون مـن الجهـة الأكثـر صعوبـة: البدايـة مـن الإلـه الـذي هـو السـؤال في التـوراة. اسـمه الأكثـر عمومًـا هـو " يهـوه Yahvé "، ولكـن كيـف وصلنـا إلى إلـه "واحـد ووحيـد"، أي باسـتخدام المفردة الشـائعة في " التوحيـد "؟ لمـاذا هـذا التجـذّر في معانـي الوحـدة والوحدانيـة؟ مـاذا كان يوجـد في "السـابق" في هـذه المنطقـة التـي نسـميها بشـكل عـام الـشرق الأوسـط القديـم، أو المـشرق؟ أيـن بالتحديـد وكيـف حـدث ذلـك، في أي ظـرف سـياسي وثقـافي، أو ربمـا حتـى اقتصـادي؟ هـل نعـرف مـن كان "الفاعلـون" لهـذا التطـوّر، وفي أي بيئـات دينيـة وسياسـية فرضـت فكـرة "الوحـدة" نفسـها ؟ وكذلـك وبالخصـوص: مـا هـي القيمـة الممنوحـة لأصحـاب النـص التوراتـي، في الروايـات الأسـطورية التـي يروونهـا ؟ هـذه بعـض مـن الأسـئلة التـي أحببـت أن أطرحهـا عليكـم.

وقبـل ذلـك، أحـب أن أسـألكم أذا كنتـم توافقـون عـلى العبـارة التطـور نحـو التوحيـد "؟

## نحو إله واحد

توماس رومر

نقــول إن الوحــدة، أو الوحدانيــة الإلهيــة، تتوافــق مــع قــراءة مُبســطة، أو تبســيطية،تقع مبــاشرة، للنــص التوراتــي، لان النــص في حــد ذاتــه يحتفــظ بآثــار عــن التغــيّرات في الفهــم التــي لحقــت بهــذا الإلــه- إذا صــدق وكانــت هــذه الكلمــة " الفهــم " مناســبة هنــا. إنّ أســماء الإلــه التوراتــي عديــدة: يهــوه هــو اســم علــم لإلــه إسرائيــل. يوجــد شــكل أخــر مُقتضــب: ياهــو Yahô، وشــكل طويــل يهــوه Yahvé والمُوثّقــة لأوّل مــرّة عــلى صخــرة "ميشــا Mésha"، حــوالي نهايــة القــرن التاســع، ولكننــا نجــد أيضًــا الأســماء الإلهيــة الوهيــم Elohim، Eloa الــوى، ElShaddaî آل شــدّاي، أو أيضًــا كذلــك وبشــكل بســيط آلEl، والــذي كان يُســتعمل لآلهــة أخــرى، قبــل أن يتــم اســتعماله لإلــه إسرائيــل. إن هــذه الآثــار، الموجــودة والمرئيــة ، تُبــيّن أنّ هــذا الإلــه لــم يكــن أبــدًا، في الأصــل، إلــه واحــد و" مُتعــالي "؛ ولكنــه كان أيضًــا – فضــلا عــن ذلــك إلــه للعواصــف – مثــل بعــل، المعبُــود في أوغاريــت Ougarit. وهــذا هــو الحــال في بعــض المزامــيرPsaumes، مثــل المزمــار 19، حيــث يُعــرّف يهــوه بوصفــه إلهــا جالــب للعواصــف؛ لكــن مزامــيرا أخــرى تســميه أيضًا " راكــب الغيــوم "، و هوعنــوان بعــل في أوغاريــت.

إن فكــرة وحــدة يهــوه قــد مــرّت في البدايــة بفكــرة إلــه موحّــد؛ لأنّ يهــوه في حــد ذاتــه، ككثــير مــن آلهــة الــشرق الأوســط القديــم، كان متعــدّدًا في الأصــل وكانــت توجــد لــه معابــد في كل مــكان، والتــي كان يُعبــد فيهــا بأشــكال مختلفــة. وهكــذا كان لدينــا " يهــوه السّــامري " ويهــوه بيــت أيــل"، و" يهــوه أورشــليم " وحتــى " يهوه تيمــان "، هــذا الأخــير مهــمّ جــدًّا، لأنــه يُبــيّن أن يهــوه قــد يُعبــد في أماكــن بعيــدة ناهيــك عــن مملكتــي إسرائيــل ويهــوذا، وبالخصــوص في المنطقــة التــي نســميها بــلاد أيــدوم Edom (في الأردن، جنوب شرق

إسرائيل الحالية)، والتي ليست بعيدة كثيرا عن " بلاد العرب " (الموجودون في النقب، وفي المملكة العربية السعودية حاليا). إذن كان هناك تعدّد ليهوه. ففكرة يهوه الواحد، أي يهوه أورشليم، ظهرت في نهاية القرن السادس (حوالي622 ق.م1)، أثناء حكم الملك يوشيا Josias، والذي كان يحكم في أورشليم. ففي هذا الظرف بالذات أين سيتم فرض يهوه أحاد Yahvé ehad، " يهوه الواحد "، وهذا لا يعني بعد " الإله الوحيد ". هو "واحد " وهذا يعني أن " يهوه أورشليم" سيصبح من اللحظة فصاعدًا الإله الوحيد المقبول، وبدورها تصبح، أورشليم، على الأقل نظريًّا، المكان الوحيد الذي يتسنّى لنا فيه تقديم الأضاحي ودفع الضرائب- فالشيئان يسيران متوازيين في المجتمعات القديمة- للإله يهوه، إلى كهنته والديوان الملكي.

هو ليس الإله الوحيد بعد، وفق المعنى المُشرّع له سياسيًّا، في سفر التثنية، إذ نجده يتكرر في صيغة حثّ ودعوة: " لن تركضوا خلف الايلوهيم الاهريم Elohim aherim، بعد الآلهة الأخرى". تتكلّم علوم الدين عن اختيار عبادة إله ضمن مجموعة آلهة أخرى أو الاينوتويزم (إله معبود، دون أن يُلغي وجوده آلهة أخرى إلى جنبه) – فضلا عن كون العلاقة بين الطرفين قد تكون أحيانًا صعبة ومعقّدة، ولكن لنترك هذا الحديث جنبا، يجب قبل كل شيء أن نتذكر ما يلي: في نهاية القرن السابع تُشرّع مملكة يهوذا ضرورة "الولاء لإله " واحد دون إهمال بقية الآلهة الأخرى.

**جون - لوي شليغل**

كيف نفسر اسم الإله يهوه المُوحى به في قصة " الشجرة المشتعلة"، التي تشتعل ولا تحترق (سفر الخروج 3)؟ في هذا النص اسم يهوه (أربعة حروف ساكنة بالعبرية) يُترجم بشكل عام كما يلي " أنا من أنا" أو"أكون من أكون" (الآية

14). ماهـو معنـى ووظيفـة هـذا الوحـي بالاسـم؟

**توماس رومر**

يوجـد بدايـة أولى لتأثيـل Etymologie، ومعنـى كلمـة يهـوه؛ فالقصـة المسـمّاة " الشـجرة المشـتعلة " هـي النـص الوحيـد في التـوراة الـذي يناقـش هـذا السـؤال، ويحـاول تفسـير الاسـم بالاعتمـاد عـلى الجـذر " حيـاه " Hayah، " الوجود":يصبـح يهـوه الإلـه "الموجـود"، ولكـن أيضًـا ، "الموجـود" مـع مـوسى وشـعبه. وفي نفـس الوقـت فـإن العبـارة " أنـا مـن أنـا " تؤكـد عـلى الجانـب الخفـي لهـذا الإلـه؛ إنّـه نـص متأخّـر زمنيًّـا حيـث تظهـر ربمـا بعـض المعارضـة حـول التلفـظ باسـم الإلـه. إنّ تفسـير اسـم يهـوه مـن خـلال الجـذر حيـاه، " الوجـود "، هـو ليـس الأصـل الحقيقـي للكلمـة، بـل هـو: " ذلـك الـذي ينفـخ (الريـح والزوابـع)" (مجـدّدًا هـذا بيـان بـأنّ يهـوه هـو إلـه مـن صنـف آلهـة العواصـف). ولكن كمـا هـو شـائع في الغالـب في التقليـد الشـعبي، فإنّنـا لا نهتـمّ كثـيرًا بالأصـل الحقيقـي للكلمـة، ولكـن فقـط بذلـك الـذي يسـمح ببعـض التلاعـب اللفظـي أو لتأكيـدات مؤسّسـة أخـرى (مثـل المقاربـة بـين بـرن Berne العاصمـة السـويسرية مـع الـدب Bâr بالالمانيـة)، والـذي لا يعنـي أي شيء مـن الناحيـة الألسـنية، بـل هـو يفسـر وجـود الدببـة في شـعارات المدينـة.

**جون - لوي شليغل**

هل يمكن تحديد مرحلة التطور نحو الوحدة لـ " الإله "؟

**توماس رومر**

إن الأدلـة الأوضـح " للبدايـة " موجـودة في الجـزء الثانـي مـن كتـاب اشـعيا Esaïe(المسـمى بـكل بسـاطة " اشـعيا الثانـي "، لأنـه ليـس لنفـس المؤلـف مثـل "اشـعيا الأول" وكتـب في مرحلـة لاحقـة). في الفصـل 45، والـذي يعـود للجـزء الأول مـن الحقبـة الفارسـية

(حوالي520-515)، نجد لأول مرة التأكيد التالي: " أنا يهوه، ولا يوجد غيري "(لا يوجد "إله آخر"،الآية 18). والمرفقة في الفصل 44 بنقد موجّه للحرفيّين البابليّين، بلا شك تم ملاحظتهم في المكان ذاته، وهم يصنعون ويلوّنون تماثيل. بالنسبة للذين يملكون المال يستعملون المواد الثمينة، أما بالنسبة للفئات البسيطة فإنهم يستعملون مواد أقلّ تكلفة، كالخشب. لدينا إذن نوع من البرهان على أنّ الآلهة الأخرى هي تماثيل " صنعتها أيدي البشر ". هذا النقد، المرفق بخطاب والذي مفاده انه لا يمكن لنا تمثيل إله إسرائيل، هو في الحقيقة الخطوة الأولى نحو التوحيد: لأنّ التماثيل البابلية ليست قوية، والآلهة التي تُمثّلها كذلك، لأنها "آلهة مغشوشة".

**جون - لوي شليغل**

ما هو المزعج في " صناعة " الآلهة، أو في هذا الكره المُعلن في بعض النصوص التوراتية ضد الآلهة التي هي" من صنع يد البشر "؟

**توماس رومر**

قبل تدمير أورشليم كان يوجد بلا شك تمثال ليهوه في هيكل أورشليم (بالرغم من أن هذا الموضوع سيناقش في البحث). هذا التمثال حُطِّم أو أُبعِد إلى مكان ما أثناء التّهجير، فالكهّان والمثقّفون اليهود قاموا بتطوير خطاب مفاده أنّ التمثال لا يمكن أن يرمز إلى الإله الحقيقي، والذي هو مُتعال ولا يمكن بالتالي أن يصنعه البشر.

من المهم التذكير أنّ النص التوراتي يحتفظ بذكرى " صناعات " الآلهة ولم يلغ التحذيرات الموجّهة للآلهة الأخرى. في بعض المزامير (مثلا المزمار 89)، نرى يهوه ابن آلEl، موجود في تجمّع للإله آل ويتم تقديمه كابنه المفضّل. كل هذا يتواجد

مـع تأكيـدات هــي في الغالــب وثنيــة أكثــر منهــا توحيديــة، قليلــة هــي النصــوص التــي تقــول بصفــة منهجيــة وواضحــة بــأنّ يهــوه هــو الإلــه الوحيــد. إنهــا بعــض القــراءات اللاهوتيــة، اليهوديــة والمســيحية، مــن تحــاول أن تجعــل مــن الإلــه التوراتــي اســتثنائيًا الإلــه الوحيــد، وقــراءة هــذه المكتبــة "الضخمــة" التــي هــي التــوراة بنظــارات توحيديــة، بينمــا تحتفــظ النصــوص التوراتيــة بأدلــة كثــيرة عــلى تصــورات "وثنيــة".

**جون - لوي شليغل**

بالرغــم مــن ذلــك : مــا الــذي اســتطاع تحفيــز، وأدى عــلى الأقــل، إلى إحــداث ترقيــة مؤكــدة لــ "إلــه واحــد " ؟ هــل هــذا الإلــه يُظهــر درجــة أســمى مــن غــيره؟

**توماس رومر**

لا، في كل الأحــوال ليــس في البدايــة، فخطــاب الإلــه الواحــد (ليــس بعــد الأوحــد) كان يهــدف إلى إضفــاء الشرعيّــة عــلى مملكــة يهــوذا الصغــيرة وعاصمتهــا، أورشــليم. نحــن في نهايــة القــرن الســابع،في ظــرف يمكننــا فيــه مــن التنفــس بعــض الــشيء، لأنّ الأشــوريين قــد انســحبوا مــن المــشرق، ولــم يــأت بعــد البابليــون للاســتيلاء عــلى المنطقــة2. لدينــا مــا يشــبه العطلــة بالنســبة للحمــلات العســكرية، والتــي يعتبرهــا مستشــارو الملــك يوشــيا Josias(639-609) فرصــة للاســتفادة. إنّ جمهــور أورشــليم ينمــو، في هــذه الحقبــة. في الواقــع، إن تدمــير السّــامرة، ومملكــة الشــمال، " إسرائيــل "، في722 نتــج عنــه سلســلة مــن الهجــرات للســكان نحــو أورشــليم. فالمدينــة صــارت عاصمــة "حقيقيــة"، وبأشــكال متناســبة، ولكــن المقارنــة مــع عواصــم أخــرى في المنطقــة يبــدو مســتبعدًا، يمكننــا القــول بأنّنا نشــهد شرعنــه لأورشــليم وإلــه أورشــليم. فالفكــرة بــأنّ يهــوه هــو " واحــد " تضفــي الشرعيّــة عــلى هيــكل أورشــليم، وتضفــي الشرعيّــة عــلى مدينــة أورشــليم، والتــي لأول مــرة منــذ الألفيــة الأولى

قبل التقويم الميلادي، صارت مدينة لها مكانتها.

**جون - لوي شليغل**

ماذا تُمثل أورشليم في القرنين السادس والسابع؟

**توماس رومر**

يقدّر عدد السكان - على الأرجح- ما بين 5000 و10000 فرد، من الصعب تقدير ما يمثله بالضبط هذا العدد، ولكنه يبقى بلا شك ضئيلًا، بالمقارنة مع المدن الكبرى مثل نينوى أو بابل. في السابق كان العدد أقل: 2000 أو3000 على الأكثر. تُعلّمنا الاركيولوجيا أن المدينة عرفت توسعة مذهلة في الفترة بين القرن الثامن والسابع. يُذكر في التوراة (2 الملوك 22،14 )، أن النبيّة خُلدة Houlda، تُقيم في "الأحياء الجديدة"، والتي سيستشيرها يوشيا وفقًا للكتاب الشهير الذي وجد في المعبد أثناء أعمال الترميم، الكتاب الذي سيؤدّي إلى الإصلاح الذي تحدّثنا عنه، وهذا يبيّن أنّ أورشليم اتّسعت مع تزايد عدد السكان الناتج عن تدمير السّامرة من طرف الأشوريين سنة 722.

**جون - لوي شليغل**

هل في وسعكم توضيح من هو الملك وما هو الكتاب، المعنيان في هذه الحقبة، والتي تعتبر مهمة من قبل التفسير التوراتي؟

**توماس رومر**

باختصار: في الفصل 23-22 من الكتاب الثاني للملوك، يُروى أنّه أثناء أعمال البناء في معبد يهوه، اكتشف الكاهن الأكبر حلقيا Hilqiyyahu " كتاب القانون "، وأودعه إلى الكاتب شافان Shafan، والذي بدوره سلّمه للملك يوشيا، وهذا الأخير قام بقراءته رسميًّا أمام الجمهور المجتمع قبل أن يشرع في إصلاح ديني وسياسي(كبير) - تعود الحقبة إلى 622-621-؛ هذه

الرواية تحاول على ما يبدو التعريف بإصلاح ديني تأسّس أو أعيد تأسيسه حول القانون كما هو منصوص عليه في سفر التثنية، والذي من خلاله استطاع الحاخامات وآباء الكنيسة التعرّف على الكتاب الذي عُثر عليه،إن أصحاب هذه الرواية وكتّابُها يقدّمون يوشيا في صورة داوود جديد. هناك الكثير الذي يمكن قوله حول هذه السردية، في مراجعة لحقبة المنفى في بابل، أو بعده، تفيد هذه الرواية في تأسيس العبادة حول " الكتاب " وقراءته، وتسبق بالتالي عبادة الكنيس.

لأجل العودة إلى حديثنا، والمعلن عنه، فيما تعلق بإصلاح يوشيا، فإنّ يهوه " إله واحد "، فربما، أيضًا، علينا أن نفكر ضمن منطق الضرورة. وبالفعل، ففي تلك الحقبة، نجد مملكة يهوذا، هي تحديدًا أورشليم وما جاورها. فمدينة لاخيش Lakish وهي المدينة الثانية المهمة في المنطقة (التي تقع على بعد 40 كلم جنوب غرب أورشليم)، كانت قد دمرت من قبل الأشوريين، واقتطع الجنوب، وبالتالي لم يتبق إلا أورشليم. فـ " الإله الواحد " يمكن أن يعني تبريرًا لاهوتيًّا لقيمة أورشليم كمدينة وحيدة لمملكة يهوذا.

**جاكلين الشابّي**

القاعدة الاقتصادية للمملكة ليست واسعة بما يكفي هي أيضًا .

**توماس رومر**

بالفعل، كان يوجد شبه بلد خلفي يمّول بالحاجيات الزراعية، ويجب ألا ننسى أن المعابد والمزارات كانت تُزوّد أيضًا بالمداخيل، لأننا قمنا بإلغاء الضريبة، ولكن الناس يدفعونها عند الزيارة. إذا كانت العبادة قد تمركزت في " العاصمة "، فإنّ الديوان الملكي والكهّان وكبار الموظفين في الدولة هم

المستفيدون. أما فيما يخص معابد القرى، فنحن لا نعرف بالضبط ماذا يحدث فيها، وليس في وسعنا أن نعرف الكثير بشأن مصادر تمويلها؛ بالعكس، إذا كان المعبد الوحيد الشرعي قد تقرّر إقامته في أورشليم، فالكاهن المكوّن من جماعة اللاويين، الموجود في المعابد المحلية، سيجد نفسه عاطلًا عن أي وظيفة، وبالتالي يجب أن نوفر له "حد أدنى من الدخل "، بتحويله إلى أورشليم وتكليفه بمهام طقوسية إضافية. فالحركة نحو الإله الواحد هي سياسية واقتصادية أكثر منها دينية. ولكننا فيما بعد سنقرأ هذه الروايات بطريقة مختلفة، ليتكون لدينا قبل كل شيء انعطافا لاهوتيا.

## يهوذا وإسرائيل

**جون - لوي شليغل**

هل كان لدى الرجال والنساء القادمون من مملكة الشمال (إسرائيل)، حسب ما نعلم، نفس التصور للإله كما كان عند سكان يهوذا؟

**توماس رومر**

نعم، لكن وبدون شك مع تقاليد مختلفة بعض الشيء، نحن نعلم الآن أنّ بعض نصوص التوراة العبرانية آتية من الشمال، مثل قصة يعقوب؛ للتذكير فقط، ووفق الرواية التوراتية (سفر التكوين 50-12)، فإنّ أسطورة يعقوب أسطورة تأتي بعد أسطورة والده إسحاق، والتي بدورها تأتي بعد جده إبراهيم. فقصة كل واحدة هي موضوع سردية طويلة (والتي يجب إعادة قراءتها، بالطبع، أو قراءتها إذا كنا غير مطلعين عليها: إنها قصص شيّقة، تحتوي على أبعاد كثيرة، ككل قصص سفر التكوين).

قصة يعقوب تسبق قصة " يوسف وإخوته ": بِيع يوسف

من طرف هؤلاء قبل أن يصبح شخصًا مهمًّا في مصر لدى الفرعون : بفضله، تم استقبال أبوه وإخوته في مصر، بعد أن أصابتهم المجاعة القاسية. ولكن -يروى في بداية سفر الخروج- أنّ هؤلاء اليهود تضاعف عددهم وصار المصريون يخشون على أنفسهم، فقاموا بتحويلهم إلى رقيق. وبهذا جاء موسى، المحرر الذي يخرجهم من مصر ليُعيدهم إلى أرضهم الأصلية، كنعان، والتي ستسمّى لاحقًا إسرائيل.

إن هذا البناء السردي الكبير يتكون من دوائر سردية مستقلة، والتي هي في الأصل لم تكن مرتبطة فيما بينها؛ للتعبير على ذلك بشكل مغاير: إن إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب لم يكونوا في الأصل ينتمون إلى نفس التسلسل في النسب، تم صناعة ذلك في القرن السادس عندما كانت الحاجة إلى تجميع مختلف الروايات المتعلقة بالأصل، هناك شبه توافق في البحث حول اعتبار قصة يعقوب هي الأقدم والتي تم تداولها في معابد الشمال، كما يثبت ذلك صلتها الوثيقة بقصة بيت أيل.

**جون - لوي شليغل**

إنشاء سلالة لإبراهيم ويعقوب تلعب إذن دورًا مهمًّا؟

**توماس رومر**

إنّ خلق سلالة هي حدث مؤكّد؛ وهذا ما قام علماء الأنساب بتبيانه فيما يخص بعض القبائل الإفريقية: فهي عندما تتحالف فيما بينها، نجدها تُدمج في هذا الحلف مجموعة مختلفة من الأجداد وتضعها كلها ضمن علاقات نسب، وهكذا يصبح هؤلاء أباء، أو إخوة... الخ، للأجداد الآخرين. في سفر التكوين، هذه العملية تخصّ بشكل ملحوظ العلاقة بين إبراهيم ويعقوب، فهذا الأخير وفق سفر التكوين هو الابن الأصغر للأول. لأنّ إبراهيم هو جد يهودي، فإليه تعود المكانة " الأولى "، بما أنّ

هــذه الروايــات كُتِبــت وروجِعَــت وفــق تصــور يهــودي.

في الحقيقـــة، إنّ قصـــة يعقـــوب تبـــيّن الصلـــة مـــع بيـــت أيـــل وسيشـــيم، بينمـــا نجـــد أنّ ســـيرة إبراهيـــم قـــد تـــم تناقلهـــا حـــول الخليـــل، في مـــكان لا صلـــه لـــه بيعقـــوب. قبـــل أن نجعـــل منـــه جـــدًّا لإسرائيـــل، كان يعقـــوب جـــدًّا لمجموعـــة تســـمى بـــــ " أبنـــاء يعقـــوب ". وفـــق الروايـــة المتعلقـــة بتغيّـــير اســـمه إلى إسرائيـــل، بعـــد عـــراك مـــع مخلـــوق غريـــب، في ســـفر التكويـــن 32. حـــدث ذلـــك بـــلا شـــك في ظـــل حكـــم ملـــك مهـــمّ مـــن الشـــمال، يربعـــام الثانـــي Jéroboam II، والـــذي حـــاول في القـــرن الثامـــن أن يجعـــل مـــن ســـيرة يعقـــوب روايـــة مؤسسّـــة لمملكـــة إسرائيـــل.

**جون - لوي شليغل**

من أين أتى اسم "إسرائيل"؟

**توماس رومر**

اســـم " إسرائيـــل " قديـــم جـــدًّا، ظهـــر لأول مـــرّة عـــلى نصـــب الفرعـــون مرنبتـــاح Merneptah، والـــذي يعـــود إلى حـــوالي 1205 قبـــل التقويـــم الميـــلادي. عـــلى هـــذا النصـــب، هنـــاك إشـــارة إلى وجـــود شـــبه كونفدراليـــة. فيمـــا بعـــد، وبعيـــدًا عـــن النصـــوص التوراتيـــة، توجـــد شـــهادات في وثائـــق أشـــورية عـــلى أنّـــه الاســـم الرســـمي لمملكـــة الشـــمال، والتـــي كانـــت السّـــامرة عاصمتهـــا ؛ بعـــض النصـــوص الأشـــورية تتكلّـــم أيضًـــا عـــلى " بيـــت عمـــري "، إشـــارة إلى اســـم الملـــك الإسرائيـــلي الـــذي جعـــل مـــن السّـــامرة عاصمـــة لإسرائيـــل. نجـــد نفس الظاهـــرة في مملكـــة يهـــوذا والتـــي تظهـــر حاملـــة لهـــذا الاســـم، أو في أغلـــب الأحيـــان تحـــت اســـم بيـــت داوود Beth David، كمـــا يظهـــر ذلـــك عـــلى نقـــش آرامـــي في تـــل دان Tel Dan في شـــمال إسرائيـــل.

بعـــد تدمـــير السّـــامرة (ســـنة722 ) ونهايـــة مملكـــة الشـــمال، فقـــط، صـــار اســـم "إسرائيـــل" ممكنًـــا. "فيهـــوذا الصغـــرى"

ستستعمله في ظرف يصعب تحديده، ربّما في عهد حكم الملك يوشيا، ولكن ذلك يبقى غير مؤكّد. فمثقّفي يهوذا سيعملون على فرض الفكرة القائلة بأنّ إسرائيل الحقيقي، ليس الأخ الموجود في الشمال، والذي قام الأشوريون بمحوه، بل هو ذاته. "إسرائيل " تصبح إذن اسمًا أكثر أيديولوجية، أو أكثر لاهوتية، لنعني به " الشعب الوحيد " ليهوه، وليس على الإطلاق سياسيًّا، كما كان قبل سقوط السّامرة. في نفس الوقت سيتم استئناف -مع اسم إسرائيل- بعض التقاليد التي تنتمي إليها عندما كانت مملكة. لأجل القيام بذلك، تصرّفت يهوذا بطريقة تشبه الأباطرة الجرمان في مرحلة لاحقة: لقد تصرّفوا كأباطرة لإمبراطورية جرمانية مقدّسة لم تعد موجودة منذ مدة طويلة. إنّنا نجد أنفسنا أمام شبه مطالبة بالاستمرارية. فالتوراة هي عبارة عن مجموعة "يهودية " (أي تم تشكيلها في مملكة الجنوب، يهوذا)، ولكنّها أعادت استعمال الموروث الشمالي من خلال إعادة مراجعته وتأويله.

**جون - لوي شليغل**

هل في وسعنا القول بأنّ السكان الذين لم يتم تهجيرهم من السّامرة، لجئوا أو أقاموا في الجنوب، في أورشليم، عاصمة مملكة يهوذا، وبذلك جلبوا معهم رواياتهم الأسطورية؟ هذه الأخيرة تم إعادة استعمالها وتعديلها من طرف كتبة المعبد والديوان الملكي في أورشليم، في القرون السادس، والخامس، والرابع، أو لاحقًا أيضًا، لأجل ما سيسمى النص النهائي للتوراة الحالية؟

**توماس رومر**

نعم، إنّه بالخصوص الحال مع قصة يعقوب، المرتبط بصورة إبراهيم، القادم من الجنوب. أثناء هذا المزج، جعلنا من إبراهيم سابقًا ليعقوب، لأنه أثناء بداية رحلته مر بأماكن ترتبط بيعقوب،وبالخصوص سيشيم وبيت أيل.وهكذا بالنسبة

لكتبة يهوذا، أدمج يعقوب في السردية، ولكنه وضع ضمن سلالة إبراهيم.

**جاكلين الشابي**

وعن إسحاق؟

**توماس رومر**

وضعه أكثر تعقيدًا، ومريب؛ في تاريخ الآباء الثلاث في سفر التكوين، إسحاق ممحو. نعلم أن مستقرّه كان حول بئر السبع- أي بالاتجاه إلى الجنوب بالنسبة إلى الخليل أين توجد هضبة مامريه Mamré، المرتبطة بالسيرة الإبراهيمية- وهناك قلّة قليلة من التقاليد في شأنه، كل ما يروى عنه، أنّه قام بتقديم زوجته على أنها أخته، وأنّه كانت لديه مشاكل مع الفلستيين Philistins حول الآبار؛ ولكن يروى نفس الشيء بخصوص إبراهيم! فالسؤال يتمثّل في معرفة ما إذا كان- في الأصل- إسحاق ليس بالشخصية الأكثر أهمية وأنّه لم يتمّ ابتلاعه من خلال إبراهيم، أو أنّه لا يوجد ما يُروى عنه فقمنا باستعمال بعض العناصر من قصة إبراهيم... أميل أكثر إلى الحل الأول، لأننا فجأة نقرأ في سفر التكوين فصلين (22-21)، أين جعلنا إبراهيم حاضرًا في بئر السبع، وهو لم يكن لديه ما يفعله هناك. قمنا بتسفيره إذن بالرغم من أننا نعلم جيّدًا أنّه يقيم حول هضبة مامريه Mamré، وكأننا نحاول التقليل من قيمة إسحاق. ولكنني اعترف: نحن فقط نُخمّن حول هذه الموضوعات بالاعتماد على بعض المعطيات.

## قتال ضد الأصنام؟

**جون - لوي شليغل**

أتمنى منكم توضيح أكبر لسؤال " التوحيد"، وهذا يعني أنّه علينا أن نضع هذه الكلمة بين هلالين؛ هل يمكننا القول

أنّنا نشهد حملة فعلية ضدّ الأصنام في النصوص التوراتية – ضد آل ربما لا، ضد آلهة أخرى وضد الأشياء المصنوعة؟

**توماس رومر**

لا يوجد جدال ضد الإله آلEl، والذي نعرفه جيّدًا بفضل النصوص الاوغارية، والذي يشبه زيوسZeus الإله الأعلى. في سفر التكوين، إبراهيم ويعقوب يدعوان في الكثير من المواضع الإله آل وبأسماء متعددة (آل ملك El Roï، آل اولام El Olam، الإله إسرائيل). بالنسبة لكتبة هذه النصوص، كان من الواضح أن آل مرادف ليهوه.

في المقابل نجد الكثير من الجدل ضد الإله بعل، مثلًا في قصص النبي إيليا Elie (1 الملوك 18-17). يفسر هذا الجدال في أنّه لدى كل من بعل ويهوه نفس الكفاءات (كلاهما كانا آلهة للعواصف) وبالتالي يستحيل عليهما التعايش.

فيما يخصّ الحرب على الأصنام، يفضّل الحديث عن إيديولوجية شاذة ظهرت حوالي القرن السادس؛ في بعض النصوص مثل اشعيا الثاني Esaïe، يظهر في الواقع جدال بخصوص موضوع التماثيل، والتي هي ممنوعة. فالمنع يتكرّر في الوصايا العشر وكذا في نصوص أخرى: " لن تصنع صورة "، نستعمل في الغالب مفردة تسيليم tselem، والتي تعني التماثيل. إن الثورة الكبيرة للمرور نحو " التوحيد " تكون إذن بمنع التماثيل. إذن، بما أنّه تم منعها، هذا يعني أنها كانت موجودة، وبالعدد الكبير: من المرجّح، وأنا قلته، وجود تمثال ليهوه في الهيكل الأول لأورشليم. كثيرة هي الأدلة التي تسير في هذا الاتّجاه، وأنا بدوري على اقتناع- حتى وان اختلف المختصون حول هذا السؤال. ونتيجة للجدال ضد الصور، قرّرت اليهودية الناشئة ألّا تضع في المعبد " لا شيء "، كما يقول تاسيتوس Tacite، ولكن الشمعدان La Menorah، الذي يرمز

بلا شك إلى "الشجرة المشتعلة" كرمزية على حضور يهوه.

**جون - لوي شليغل**

لماذا استبعدتم عبارة " قتال ضد الأصنام "؟

**توماس رومر**

لأننا لا نعرف بالضبط، دائمًا، عما نتحدث؛ فإننا نفكر في أصنام، وتماثيل لكل أنواع الآلهة... إذا تتبعنا المصدر الشهير P(Le Priestercodex أو الشفرة الكهنوتية، التي كتبها كتبة كهنة، والتي تقترح نظرية لوحي اسم الإله على ثلاث مراحل: الوهيم، آل ويهوه)، فلا يوجد جدال ضد آل، لان يهوه، هو آل. عندما يتعلق الأمر بأصل البشر، فالشفرة الكهنوتية تستعمل دائمًا كلمة الوهيم. عندما يتعلذق الأمر بإبراهيم وذريته، يستعمل آل شدّاي ("اله الحقول")، وفقط ابتداء من موسى، في سفر الخروج6، أين نجد يهوه يقدم نفسه : "أنا يهوه" AniYhwh . فهو لم يُعرّف بنفسه بهذا الاسم في السابق.

تُقترح فكرة المعرفة المتتالية، أو التدريجية، ليهوه، ولكن لا يوجد جدال ضد آل ولا ضد الوهيم، فالاحتقار النبوي الكبير موجه ضد بعل؛ إذن يجب التذكير به : في الأصل، بعل ليس اسم علم. انه عنوان، مثل ادوناي Adonai للدلالة إلى " السيد "، و" الرب". بعل يعني إذن الإله، إله العواصف كما سبق وقلنا.

فيما يتعلق ب آل، في اشعيا الثاني، وفي قلب الجدال الواسع ضد التماثيل، نجد العبارة: "أنا (يهوه)هو أنا آل، ولا وجود لغيري"(22.45). هل في وسعنا القول أنّ "آل" يبقى اسم علم في هذه الحال، أو هو يعني بكل بساطة " الإله "؟ من الصعب معرفة ذلك، ولكن يهوه بكل تأكيد مساو ل آل. يوجد لدينا مثال آخر مع قصة هاجر أمة سارة والتي يصبح لإبراهيم منها ابن، هو إسماعيل، فعندما تفرّ هاجر إلى الصحراء، هربًا

مـن غـيرة سـارة، تلتقـي بمـلاك ("رسـول") مـن يهـوه والـذي يخبرهـا: " ستُسـمين ابنـك إسـماعيل"، الاسـم الـذي يعنـي: " آل سـمع"، لتفسـيرYishma ,Yahwe :، بمعنـى " يهـوه سـمع "(سـفر التكويـن11-16). ليـس الجـذر التأثيـلي Etymologieالكلمـة هـو المهـم في هـذه الحالـة، بـل هـي المسـاواة القائمـة يهـوه / آل. الاسـماعيليون، مـن ذريـة ابـن هاجـر، مـن القبائـل العربيـة المقيمـة في جنـوب النقـب، يتكلّمـون عـن آل، ولكنهـم يقصـدون نفـس الإلـه، يهـوه. فنحـن أمـام شـبه توحيـد شـامل، أي توحيـد قائـم عـلى إلـه واحـد، لا يهـمّ في ذلـك الأسـماء والعناويـن التـي نمنحهـا لـه.

**جون - لوي شليغل**

وبالرغـم مـن ذلك،فهـذا الإلـه "الواحـد" تـم توظيفـه لاحقًـا في كل التـوراة. فهـو موجـود في سـفر التكويـن، منـذ البدايـة.

**توماس رومر**

نعـم، يقصـد الوهيـم نفـس الإلـه مثـل يهـوه... في نظـر القُـراء اليهـود والمسـيحيين. سـجل عنـدك أنّـه تـم اختيـار اسـم الوهيـم مـن أجـل الحديـث عـن البدايـات الأولى في نـص الخليقـة الكهنوتـي (سـفر التكويـن1،1-2،3). ولكـن بالطبـع، في وسـعنا قـراءة التـوراة كاملـة وفـق هـذه الفرضيـة والتـي تعنـي دائمًـا " إلـه واحـد "، إنّـه عـلى أيـة حـال هكـذا وصلـت التـوراة وهكـذا تُقـرأ.

**جون - لوي شليغل**

ولكـن كل الروايـات الموجـودة في بدايـة سـفر التكويـن لا تحتـوي عـلى اسـم الوهيـم؟

**توماس رومر**

نعـم، ففـي الطبقـة المسـماة " يهويـة Yahviste "، نقـول اليـوم أنهـا غـير كهنوتيـة، الموجـودة في وصـف الجنـة (أو ربمـا " الحديقـة ")، فنحـن نتعامـل مـع يهـوه. في داخـل سـفر التثنيـة يوجـد لدينـا

نظريتـــان حـــول معرفــة اســم يهــوه وهمــا نظريتـــان متداخلتـــان تقريبــا؛ بالنســبة للروايــة الكهنوتيــة، كمــا رأينــا، فــان يهوه يكشــف اســمه لمــوسى فقــط (سـفر الخـروج3-6،2). ولكـن في قصـة قابيـل وهابيـل (سـفر التكويـن4)، عندمــا، في نهاية المطــاف، يلــد آدم وحواء الطفــل البديــل لهابيــل الــذي قتلــه أخــوه، هــذا المولــود المســمى ســيث Seth، والــذي بــدوره يلــد ابنًــا اســمه إدريــس Énosh، والــذي يمثــل نفــس الــشيء مثــل آدم، أي الإنســانية، يقــال إذن أنّــه منــذ هذا الوقــت بالــذات بــدأت الإنســانية في اســتعمال اســم يهــوه. فالنــص التوراتــي يعطــي انطباعــا بــأنّ يهــوه معــروف منــذ البدايــات- أو لنقــول: تقريبًــا منــذ البدايــات. يتعلّــق الأمــر هنــا بتصــور مختلــف عــن تصــور ســفر الخــروج 6. لدينــا بالتــالي روايتــان مختلفتــان مــن أجــل تفســير متــى عرفــت الإنســانية يهــوه.

**جاكلين الشابّي**

ومــاذا بخصــوص الإلــه بعــل، أو بعــل في صيغــة الجمــع، المذموم في التــوراة. أليــس بعــل (في صيغــة الجمــع) هــم آلهــة الســواحل المزدهرة؟

**توماس رومر**

إنّ بعــل يتوافــق مــع فينيقيــا، أي شــمال شرق بــلاد إسرائيــل، نحــو لبنــان الحــالي. خــارج التــوراة، نحــن نعرفــه خاصّــة بفضــل نصــوص الاوغاريــت، المدينــة القديمــة للســاحل الســوري- الفينيقــي (التــي صــارت مكانًــا لحفريــات شــهيرة)؛ فالمناطــق المزدهــرة للســاحل تتعــارض مــع الفقــيرة في الداخــل. ولكــن عنــد قــراءة وصــف وحــي يهــوه في ســيناء، والمرفــق برعــود وبــرق، نلاحــظ تشــابهًا مــع قصــة بعــل، عندمــا، في النصــوص الاوغاريــة، يأتــي هــذا الأخــير عــلى مرتفعــات زافــون Zaphon (جبــل الأقــرع اليــوم). هــذا التشــابه يحيــل إلى الاعتقــاد بــان الملــك عمــري Omri، في القــرن التاســع، جــاول بــدون شــك جلــب " بعــل الفينيقــي"، ربمــا الإلــه ملــكارت Melqart (إلــه مــن نــوع بعــل). أيــن، في إطــار مكافحــة

النيران، المشهد الكبير في عهد الملك أهاب Achab، ابن عمري، لمذبحة أنبياء بعل، والتي فشلت بفعل قوة نبي يهوه، إيليا Élie(1 الملوك18). سنتكلم بلا شك حول السلالة الحاكمة للاومريد Omrides- أي سلالة الملك عمري وذريته- ودورها التاريخي المهم.

**جون - لوي شليغل**

هل كان للإمبراطوريات الكبرى دورً ا ما، الأشوريون والبابليون، الأقرب جغرافيًّا من إسرائيل ويهوذا، في إحداث التطور نحو الإله الواحد؟

**توماس رومر**

أكيد، فالطريقة المعتمدة في وصف وظائف يهوه أو علاقته مع إسرائيل، وبالأخص في سفر التثنية أو في روايات الغزوات في كتاب يوشع Josué، متأثرة جدًّا بما نعرفه عن الأشوريين. فمجرد أن يصبح يهوه إلها وطنيا وحيدا هو بلا شك جزء من الإيديولوجية الأشورية المتعلّقة بمعاهدة التبعية، والتي وفقها يجب الخضوع كليا للحاكم الوحيد. هذا التصور تمّت ترجمته لاحقًا في تاريخ الإصلاح الذي قام به يوشع: تبعية إسرائيل (أي يهوذا) هي من الآن فصاعدًا بفضل يهوه. هذا الأخير يشبه الملك أوالإله الوطني للأشوريين، آشورAssur . بينما، في المقابل، لا نعرف الشيء الكثير عن البابليين، ولكن فقط أنّهم استمرّوا بشكل واسع في نفس الطريقة مع الأشوريين؛ ولكن معهم بدأت بشكل أكيد المنافسة والاختلافات بين الإله البابلي مردوخ Marduk وبين يهوه، كما سيظهر لاحقًا عند الفرس نقاش حول إلههم اهورا مازدا Ahura Mazda ويهوه، نقاش تأثّر به كتبة التوراة.

دائمًا ما أقول لطلبتي: من دون الأشوريين، ما كانت أبدًا

لتكـون لدينـا التـوراة! وبالفعـل، فالنصـوص الأولى التـي يمكـن أن نسـجلها حـول يهـوه ووحدانيتـه، في سـفر التثنيـة بالخصـوص، أو حتـى الطريقـة التـي وصفـت بهـا، مثـلًا، ولادة مـوسى، تُظهـر بوضـوح التأثـير الأشـوري. فأولئـك الـذي يُلعنـون بشـدّة في التـوراة هـم بالرغـم مـن كل ذلـك مـن أعطـى القوالـب الأوليـة للخطـاب والروايـات حـول يهـوه. فتأثيرهـم أكيـد. لمـصر أيضًـا دورهـا المهـم، ولكـن بالنسـبة لهـاذه الأخـيرة الأمـر أكثـر تعقيـدًا. نحـن نعلـم، مثـلًا، أنّـه في جزيـرة الفنتـين Éléphantine(القريبـة مـن أسـوان)، جزيـرة عـلى النيـل، توجـد طائفـة يهوديـة مهمـة والتـي امتزجـت مـع المصريـين، يوجـد يهـوه في معبـد محـلي يُعبـد رفقـة إلهـين آخريـن، بالرغـم المنـع في التمثيـل وعبـادة آلهـة أخـرى غـير آلهـة سـفر التثنيـة. عـلاوة عـلى ذلـك، فهـؤلاء اليهـود كانـوا يختفـون ممـا جعلهـم معروفـين بالقـدر القليـل في أورشـليم. بالإضافـة إلى يهـوه، نجـد في هـذا المعبـد الإلهـة "القريـن" La déesse parèdre، انّـات Anat، واشـيم بيـت أيـلAshim Bethel (ربمـا معبـد مجسـد)، ربمـا ابنهـم. مـن المؤكـد في كل الأحـوال أن الإمبراطوريـات والحضـارات حـول مملكـة إسرائيـل ويهـوذا تركـت أثارهـا في التصـورات التـي تكونـت حـول يهـوه.

## إله مؤنث جزئيًا

**جون - لوي شليغل**

في الفقـرة 1الملـوك22 التـي تـروي إصلاحـات يوشـع تقـول بـأنّ هـذا الأخـير طـرد الإلهـة أشـيرا Ashéra مـن المعبـد، بينمـا نحـن في نهايـة القـرن السـابع. وراء هـذه الأخـيرة قصـة طويلـة، اسـتطاعت، عـلى مـا يبـدو، مقاومـة " المـد التوحيـدي "...

**توماس رومر**

نعـم، نحـن نعرفهـا ابتـداء مـن الألفيـة الثانيـة. السـؤال الـذي

يُطرح في شأنها هو التالي: هل أشيرا إلهة محددة، يعني مستقلة، أم هي اسم نوعي لإلهة ترافق الإله الوطني؟ هي معروفة بشكل خاص من خلال كتاب الملوك، والذي ينتقد بحدة عبادتها. ولكننا عندما نضع أشيرا في المعبد، ماذا نضع؟ وفق بعض المختصين، نحن لا نضع بالضرورة صنما: إذ قد يعني أيضًا شجرة منمنمة. ولكن، هذا لا يُغيّر شيئًا: الإلهة ممثلة سواء بصنم أو بشجرة. إنّه غريب، ولكن بعض كبار العلماء لا يمكنهم تقبل بأن يكون ليهوه امرأة وصنم في المعبد! هل إيمانهم منزعج؟ بفعل سوابق لاهوتية أو لأسباب أخرى؟ لا أعرف. يبدو أنهم يجب أن يكون يهوه بالنسبة إليهم أعزب وغير مرئي.

### جون - لوي شليغل

طرحت عليكم هذا السؤال وأنا أفكّر في الحركات النسوية اليوم، والتي تُعيد النظر في الإله الواحد والذكر استثنائيًا. ولكن مع ما سبق وذكرتم، يمكننا التفكير بأنه وجد ولمدة إلهة ثنائية أو ثلاثية في ديانة إسرائيل؟

### توماس رومر

في الواقع، نجد في التوراة تلميحات على طرد أشيرا. في الكتاب المنسوب للنبي زكرياZacharie ، يروى (الفصل5) أن امرأة كانت موضوعة فيما يشبه المكيال تم اختطافها من طرف ملكين ونقلها إلى بابل، حيث سيكون لها معبدها. ربما هي طريقة للتعبير على طرد أشيرا. نحن نعرف أنها آتية من بلاد الرافدين، وهانحن نرجعها إليها. من المهم، بالنسبة إلى الخطابات الذكورية حول يهوه، تسجيل وجود بعض النصوص التي يظهر فيها هذا الأخير أنثويا: يُقال أنّه أنجب العالم، نمنحه صفات نمنحها في الغالب للنساء. نراه، خاصة، مرة أخرى، في الكتاب الثاني لاشعيا : يضع هذا الأخير

في المقدمة "إلها واحدا"، متضمّن لوظائف أنثوية. في الديانات الوثنية، الخصوبة، والإنجاب، الخ...، هي من اختصاص الآلهة؛ وفي ديانة تقول بوجود إله واحد، نجد وجوب تحمل هذه الوظائف بطريقة أو بأخرى من طرف هذا الإله الواحد.

في بعض النصوص المثيرة للدهشة، بالخصوص في تثنية-اشعيا (الفصول 55-40 من كتاب اشعيا)، القليلة جدًّا ولكنها لم تحذف، نجد أن العودة من منفى بابل توصف كولادة جديدة لشعب يهوه. يقارن ذلك بامرأة تعاني الألم وهي في العمل. هذا يظهر كإدماج، واعٍ أو غير واعٍ للأنثوي في خطاب حول "الإله الواحد"، والذي يشهد على مخيال الحقبة، الذكوري بشكل واسع كما هو الحال اليوم.

ولكن ما العمل مع كل ما قد تكون له صلة بآلهة؟ سنعود إلى نوع من التجسيد للحكمة(hokmah). في كتاب الحكم، الحكمة ناطقة، فهي تُعلن بأنها كانت إلى جنب يهوه قبل خلق العالم(الحكم8). هي تجسيد لرمزية أنثوية، لأنها تستأنف جزئيًّا الخطابات حول الآلهة. إذا قمنا بقفزة في التاريخ، نلاحظ أنّه في الكاثوليكية، يتمّ إحالة هذه الأنثوية إلى البداية، من خلال الدور الاستثنائي الممنوح لمريم، " أم الله".

## الحلف

**جون - لوي شليغل**

أحبّ أن أسألك حول كلمة مركزية أخرى. يقال إنّ كل التوراة هي " تاريخ لتحالف الله مع شعبه "(أنا كاريكاتوري طوعا). ما هو "الحلف" في التوراة؟

**توماس رومر**

ليس بالضرورة ما نعتقده: فهناك طرفان متساويان يتفاوضان حول طاولة. هذا قد يحدث، مثلًا بين يعقوب

ولابـان Laban، أن يتفقـا حـول الأقاليـم الخاصّـة لـكل منهمـا؛ ولكـن الكلمـة ليسـت مسـتعملة بهـذا المعنـى عندمـا يكـون الموضوع وصـف لعلاقـة يهـوه بإسرائيـل؛ ففـي هـذا الصـدد، يسـتعمل سـفر التثنيـة كلمـة بيريـت bérît، والتـي نترجمها بــ" حلف ".فهـو يأخذ مرجعيّتـه بوضـوح مـن معاهـدات الحلـف الأشـورية، والتـي تعنـي تعاهـد بالـولاء يمليـه الحاكـم عـلى تابعيـه: لـن يكـون لهـم ملـوك آخـرون، غـيره، ويجـب خدمتـه دون غـيره. مـن يحـاول التمـرّد ضـده يجـب التبليـغ عنـه. فالحلـف هـو تعاهـد بالوفـاء مفـروض، فالتابـع يمكنـه نقضـه طبعًـا، وهـذا مـا يحـدث في الغالـب. لقـد كان عنـصرًا مركزيًّـا في معاهـدات الحلـف التـي كانـت موجـودة في الألفيـة الثانيـة عنـد الحيثيـين. فالأهـم بالنسـبة لنـا كمـا هـو معـروف هـي المعاهـدات الأشـورية.

بعـد بـركات مقتضبـة نسـبيًّا، والتـي تصـف سـعادة التابـع الـذي يحـترم المعاهـدة، تأتـي عاصفـة غـير منتهيـة، مـن اللعنـات: تُذكَـر بـكل الآلهـة التـي قـد تتدخـل وتُذكَـر بـكل أشـكال العقوبـات، ونتوقـع كل أنـواع الرعـب للذيـن لا يحترمـون شروط الاتفـاق: سـيصبحون عميـان، يأكلـون أبناءهـم...

في هـذا السـياق، يصبـح اسـتعمال مصطلـح " الحلف " تعسـفي. يجـب في المقابـل الحديـث عـن" معاهـدة " أو عـن "قسـم" الوفـاء. فالأوسـاط الكهنوتيـة في القـرن السـادس تعيـد اسـتعمال هـذا المفهـوم للبيريـت bérît، ولكـن بطريقـة أكثـر سـلمية: نتكلـم عـن بيريـت اولامbérîtolam، عـن " حلـف أبـدي ". انـه مفـروض بـلا شـك، ولكنـه مـن طـرف يهـوه، الـذي يُقـره دون أن يُطالـب ضمنيـا بـأي مقابـل. في هـذه الحالـة، لا يمكـن للنـاس فسـخ هـذا الحلـف، فالحلـف أبـدىOlam، لأنـه مُقـرر بصفـة دائمـة مـن طـرف يهـوه.

**جون - لوي شليغل**

في خطاب الكنائس، " الحلف " فكرة مركزية.

**توماس رومر**

فعلًا، ابتداء من سنوات 1960م، في الكنيسة الكاثوليكية بالخصوص، تُقرأ التوراة في الغالب كتعاقب لكثير من التحالفات بين الإله والبشر. وهكذا، فالحلف مع نوح يعني البشر: بعد الطوفان3، يجب إعادة تنظيم العالم المخلوق، بالخصوص مع قبول استهلاك اللحم، لأنه وفق التوراة، فالإنسانية مثل عالم الحيوانات، خلقت آكلة للنبات (سفر التكوين1). لا أعلم إذا كانت الفكرة ذاتها موجودة في القرآن. في التوراة لم نخلق لنأكل بعضنا البعض: استهلاك اللحم لا يظهر إلا في الرواية التي تلي الطوفان.

**جاكلين الشابيّ**

لا يوجد حديث عن هذا الموضوع في القرآن. هذا ليس ممكنًا في مجتمع رعوي يستهلك الجمال.

**توماس رومر**

في اعتقادي، يتعلق الأمر بصناعة حديثة في التوراة. فهي تأتي في وقت تمّ فيه إدخال طابو الدم: يمكننا أكل اللحم، ولكن ليس بدمه، مبدأ حيوي إذ لا يسمح أبدا بالجمع بينهما. إنّه إذن "الحلف الأول". يأتي فيما بعد الحلف مع إبراهيم، المتعلّق بالختان (سفر التكوين17)، ثم الحلف مع موسى في سيناء (سفر الخروج24-19)، والذي سيصبح في الواقع حلف مع شعب إسرائيل. يمكننا القول إن "حقل التطبيق" للحلف يضيق: ننتقل من البشر والعالم المخلوق (نوح)، إلى ذرية إبراهيم وأخيرا شعب إسرائيل (موسى). هذا يتّفق بالضبط مع نظرية الوحي الإلهي على ثلاث مراحل في الوثيقة الكهنوتية التي سبق وتحدثنا عنها.

يمكننا قراءة التوراة وفق هذا المخطط. سفر التثنية

هو الآخر مبني حول هذا المفهوم للبيريت bérît، ولكن ليس صحيحًا القول بأنّ كلّ التوراة مبنية وفق هذا المنطق. بصفة عامة، إن قراءة مجمل النص التوراتي وفق مبدأ واحد ليس لها أي مصداقية؛ وأضيف القول بأنها مخاطرة، لأنّ التوراة هي تجميع غير متجانس.

**جون - لوي شليغل**

سأجعل من نفسي محامٍ للشيطان: من وجهة نظر سفر التثنية، في روايته الأولى التي كتبت في عهد الأشوريين ابتداء من القرن السابع والتي ستؤثّر فكريًّا على العديد من الكتب التوراتية الأخرى، يأتينا الانطباع بأنّ صيغة معينة للحلف ستصبح منتشرة بكثرة وذات حمولة: " إذا كنتم أوفياء " لحلفي "، ستستفيدون بكثير من الخيرات؛ وإذا لم تكونوا أوفياء سيصيبكم البؤس ".

**توماس رومر**

هذا صحيح، في الحقبة الأشورية، تفيد بيداغوجية الرعب هذه في إقناع المعنيين لأجل عبادة يهوه وحده. ثم، جعلنا منها قراءة مسبقة، من أجل تفسير تدمير أورشليم، التهجير والمنفى البابليان. بإمكاننا توظيف سفر التثنية كوسيلة لقراءة الأحداث المروية في كتب التاريخ4. مفهوم الحلف يعيد إنتاج نموذج آشوري من دون مضمونه ويجيب، بعد سقوط مملكة يهوذا، على المشكل التالي: كيف نفسر الخسائر العسكرية؟ بالنسبة للآلهة، هناك العديد من الخيارات: إما أنها غير نافعة بما يكفي- ويستحسن البحث عن غيرها، عند الآخرين-؛ وإما أنها تعاقبنا وتتخلى عنا- ويجب البحث عن إجابة، والعثور على أسباب المصيبة. في نصوص الشرق الأوسط، يُقال إن هذا الإله قد تخلى عن شعبه، نتحدث عن غضب يهوه، أو، في نصب الملك المؤابي ميشا، حول غضب إلهه كيموشKemosh.

في الكتب التي تبدأ من يوشع إلى غاية الكتاب الثاني للملوك، يُفيدنا المفهوم التثنوي للبيريت béritفي كونه وسيلة لتفسير أسباب المصيبة. إنّه لا يقصد بذلك تحالف بالمعنى الصريح، حيث "يفاوض " الإله العلاقة مع شعبه على قدم المساواة.

**جون - لوي شليغل**

قلتم أنّ التوراة ليست موجهة للتحالف فحسب وفق نموذج سفر التثنية. في أي كتب أخرى يظهرهذا الحلف، أو لا تظهر؟

**توماس رومر**

إذا تناولتم كل كتب الكتابات5، مثلًا، المزامير، نجد بعض المزاميرفقط تتكلّم عن الحلف؛ والأخرى تتجاهله. إذا تناولتم كل التقليد الخاص بالحكمة، مثلا كتاب الأمثال أو أيوب، فإنّه لا وجود لذلك الحلف. الحلف صار، في نظري، مهمة أكثر مسيحية، لأنه ليس لليهود هواجس في هذا الموضوع. فالتفسير المسيحي والمسيحيون بشكل عام يبحثون دائمًا عن " مركز " للتوراة. وهو ما يسمى بـ " لاهوت العهد القديم" فهم المهوسون بهذا السؤال. هل الخلق، الحلف، الخروج... هي ما يمثل مركز التوراة؟ عندما نطرح هذا النوع من الأسئلة، نقترح وجوده في التوراة، أو نرى فيها، عقيدة ما مبنية بطريقة منسجمة، والتي نستطيع رفضها حسب بعض المخططات. ولكن هذا التصور يؤدي إلى جهل حقيقي بالكتب التوراتية غير المتجانسة، والتي لا تكفي وسيلة موحدة لقراءتها أو أنها قد تضللنا أيضًا . صحيح أنّ الوسيلة تتغير حسب الحقب، إن "مُودة " الحلف انتقلت اليوم إلى الخطابات اللاهوتية المسيحية.

## القانون

**جون - لوي شليغل**

في حلف سيناء، فإن الغاية من القانون، أو من هبة القانون،

هو أمر مركزي بلا منازع. فالقانون وهبته يبدوان مُرتبطان بالحلف، أويرتبط الحلف أيضًا مع الشعب بواسطة موسى ويتضمن قانونًا.

**توماس رومر**

إنها شروط المعاهدة؛ ماذا يقول القانون؟ يجب فعل ذلك أو ترك هذا. فالقانون قد يعني العلاقة مع الآلهة (من خلال الأضاحي)، ولكن وبشكل خاص العلاقات بين الناس. في الحالتين، الإله قد يغضب، ويترك غضبه ينفجر. كثيرة هي النصوص التي تقول بأنّ يهوه غاضب لأنّ المساواة الاجتماعية غير محترمة، عندما نستولي على بيت شخص فقير... الخ. كما هو مُعرّف في أسفار موسى الخمسة، فالقانون يُمثّل جوهر الحلف، على كل حال في سفر التثنية وفيما نسميه " قانون العهد " في سفر الخروج. لدينا علاوة على ذلك قانونان أو مجموعتان من القوانين المتوازية في الأسفار الخمسة لموسى، في سفر الخروج 23-20 وفي سفر التثنية 26-12. هذا القانون الأخير كتب من أجل استبدال ما نسميه " قانون العهد " في سفر الخروج. الاختلاف الكبير بالنسبة للشرق الأوسط القديم يخصّ الوسيط لهذه القوانين. نراه بوضوح على مسلة حمورابي: إنّه إله الشمس والعدل من ينقل القوانين إلى الملك حمورابي من أجل أن يعمل على احترامها.

في النص التوراتي، يحدث هذا بشكل مغاير: لم يستلم ابسط القوانين أي من الملوك، ولكن كلّ الملوك يحاسبون وفقًا لدرجة وفائهم أو عصيانهم للتوراة. إنّه الفارق الكبير. من المؤكّد، أن موسى ذاته يتمّ تقديمه كشخصية ملكية، وبالخصوص لأنّه يظهر كوسيط في القانون. ولكنه ليس ملكًا. بالنسبة إليّ، فاليهودية اخترعت جزئيًّا الفصل بين السياسي والديني، لانّ قوانينها أعطيت في الصحراء، حيث لا يوجد هيكل

للدولة أو للسياسة، لا يوجد ملك، والحدود غير واضحة بحيث في وسعنا التوجّه أينما شئنا. لدينا قانون ولكن لسنا بحاجة إلى السلطة السياسية للملك من أجل تطبيقه. لدينا هنا ما يشبه "الدمقرطة"، حتى وان كانت هذه الكلمة في غير محلها. وهكذا، فشعب إسرائيل يعيد استعمال رغم ذلك أسلوبًا شرقيًّا أوسطيًّا يفيد في شرعنة الحكم الملكي، ولكن أسفار موسى الخمس تعيد تأويله، وفي الختام تقوم بفكه عن الملكية. فالقانون يصبح إذن مستقلًّا، من أجل ان يكون مكتفيًا بذاته، ويصبح موسى هو ذلك الوسيط للقانون الذي لم يحتل البلد أبدًا، سيموت ويدفن في (مكان مجهول) في أرض أجنبية. هذا القانون المستقل، المنفصل عن السلطة السياسية، يصبح في السرديات التي تتبعه، هو ما يسمى أسفار موسى الخمس (أو التوراة).

**جون - لوي شليغل**

ولكن كيف نفهم أهمية القانون في التوراة؟ فالقارئ غير الحذر لن يستطيع إلا ملاحظة الجسم التشريعي. فالروايات هي الغالبة في سفر التكوين، بينما النصوص التشريعية تمتد في فصول وفصول في الكتب الأخرى. ثم إنّ القانون يتمّ التذكير به في كل مكان ومن طرف الكل. بعض النصوص تدعونا إلى " حب القانون ".

**توماس رومر**

أكيد، ولكننا لا نعرف دائمًا ماذا تعنيه كلمة توراة. أحيانًا هي تعني النصائح التي يقدمها الكاهن بخصوص المدنس أو لا، فالتوراة ha-cohen (تعليمات الكاهن) قد تكون تذكير مقتضب. عند الأنبياء، فالتوراة لا تحيل بالضرورة إلى أسفار موسى الخمس، بل قد تعني بعض الدروس المختلفة جدًا. إنها السبتوجينت Septente(اقدم نماذج الترجمة لمجمل التوراة العبرانية التي كتبت باليونانية) من ترجم التوراة بـ " القانون

"، ولكن جذرها التأثيلي الحقيقي هو يراه yarah، والتي تعني " يُعلِّم " "يُثقِّف". هذا التعليم قد يكون سرديًا وقد يكون أيضًا تشريعيا، ولكن هذه الكلمة الأخيرة هي في غير محلّها (أو غير صحيحة)، لأنّ المقصود بالتعليم أنّه امر يتعلّق بالسلوك على نحو خاص، والأخلاق الفعلية، والأخلاق في المواقف. إحصائيًا، نصف نصوص أسفار موسى الخمس هي نصوص سردية، والبقية هي نصوص إلزامية.

يمكننا أيضًا التساؤل عما يخص التلقي: كيف ننفّذ كل ما هو مكتوب؟ وأيضًا : هل ننفذه؟ يبدو من غير الممكن أن نحترم كل شيء. بعض النصوص تقول: "عندما يشتم ابن ما أباه، يجب قتله". جيّد جدًا، ولكن لو تكلمنا بلغة الاقتصاد، سيكون ذلك كارثيًا. في الواقع بعض القوانين هي دروس ذات ابعاد بلاغية فحسب. بعض القوانين الأخرى تطرح إجمالًا أسئلة للتأويل. كيف نفهم إجبارية منح المولود الأول إلى يهوه؟ هل يعني ذلك قتل الابن الأول؟ لا، هل يمكننا الحديث عن استبداله بأضحية حيوانية.

إن اليهودية قائمة أكثر على تأويل مجموعتها الكبيرة من القوانين بدل الارتكاز على تطبيقها تطبيقًا صارمًا. حماية الأرملة، اليتيم، استضافة الغريب...: هذا أمور تمثّل جزءًا من القواعد التي تسمح للمجتمعات تسيير أمورها. ولكن تعليمات أخرى، كثيرة جدًا، كالختان أو الفصل بين الحيوانات الطاهرة والنجسة، هي في الأصل تعليمات تسمح لليهودية الناشئة بان تُعرّف بنفسها.

**جون - لوي شليغل**

غالبًا ما يذكر سفر اللاويين للدلالة على أهمية مدونة Corpus التعليمات المتعلقة بالنظافة الجسمية الواجب اتباعها في ظروف مختلفة. هل في الأخير، في الممنوعات الغذائية والجنسية،

أوالنجاسة الجسدية، يوجد شيء جديد فيما يتعلق بالرجس، الجسدي والأخلاقي، بالمقارنة مع المجتمعات القديمة الأخرى؟

**توماس رومر**

سفر اللاويين كتاب حديث، كتب في ظروف بناء الهيكل الثاني. حاولنا إذن تصنيف وتحديد وظائف مختلف الأضاحي (اللاويين 7-1). التمييز بين الطاهر والنجس (اللاويين 15-10) مهمّ جدًّا في كلّ المجتمعات القديمة، وبالأساس كذلك في حالات الأمراض المعدية من أجل تفادي عدوى قد تصيب كل الجماعة. إن طقوس كبش الفداء(اللاويين16) تسمح للجماعة بالتخلص من خطاياها بواسطة طقس يمكننا أن نكرّره كل عام.

**جون - لوي شليغل**

هل لرفض هذه القوانين من طرف الأنبياء (أو المزمار50، مثلا) من أجل اشتراط" العدالة بديلًا عن الأضحية أو الصيام"- باختصار،" أخلاق الأنبياء"- ما يوازيها في الشرق الأوسط القديم؟

**توماس رومر**

اشتراط العدالة الاجتماعية ليست بتاتًا خصوصية توراتية. يوجد في بلاد الرافدين أيضًا أنبياء يعاتبون الملك على عدم الالتزام بمسؤولياته. في الأيديولوجية الملكية، مهمّة الملك هي حماية الضعيف- ولكنها في الغالب هي مجرّد بلاغة.

1. كل التواريخ تتعلق بقرون " قبل التقويم الميلادي" (قبل عيسى المسيح)، هذه الملاحظة سيتم تجاهلها.

2. للتذكير فقط فان الإمبراطورية الآشورية (وعاصمتها نينوى، شمال العراق الحالي) مارست سلطتها من القرن الحادي عشر إلى القرن السابع.

خـلال نهايـة القـرن السـابع، تعرضـت للتهديـد والاسـتبدال (في605) مـن طـرف الإمبراطوريـة البابليـة (وعاصمتهـا بابـل، إلى الجنـوب)، والتـي بدورهـا هُزمـت مـن طـرف كـورش، ملـك الفـرس، في 539، ويأتـي بعـد الفـرس الاسـكندر، في 333. حسـب التـوراة، في التاريـخ المفـترض لمـوت سـليمان، خـلال الثلـث الأخـير مـن القـرن العـاشر، تنقسـم مملكتـه بسـبب شـقاق إلى مملكتـين: في الشـمال، سـتكون إسرائيـل (عاصمتهـا السّـامرة)، في الجنـوب سـتكون يهـوذا (عاصمتهـا أورشـليم). بالرغـم مـن كـون قصة الشـقاق غـير مؤكـدة تاريخيـا، هدفهـا توضيـح وجـود وحدتـين سياسـيتين، إسرائيـل ويهـوذا، واللتـين، تعبـد كلتاهمـا الإلـه يهـوه كإلـه الوصايـة.

3. الطوفـان هـو فيضـان غمـر الأرض كلهـا مـن اجـل معاقبـة البـشر عـلى شرورهـم، يـروى في سـفر التكويـن الفصـل 9-6. بالإضافـة إلى نـوح، فقـط أسرته وأنـواع الحيوانـات التـي جمعها في السـفينة اسـتطاعت النجـاة. بعـد الطوفـان، يعقـد الإلـه بواسـطة نـوح حلـف كونـي مـع البـشر (سـفر التكويـن 9،9،17).

4. تتكـون التـوراة العبرانيـة مـن ثلاثـة سلاسـل مـن الكتـب : كتـب التـوراة (الأسـفار الخمـس : سـفر التكويـن، سـفر الخـروج، سـفر العـدد، سـفر اللاويـين، سـفر التثنيـة)، كتـب وأسـفار الأنبيـاء (أو الكتـب الأخـرى). تحتـوي أسـفار الأنبيـاء عـلى كتـب مختلـف الأنبيـاء المُعـترف بهـم، ولكـن أيضًـا عـلى كتـب تاريخيـة بالمعنـى الضيّـق، التـي تـروي التاريـخ بـدءًا مـن دخـول ارض كنعـان والملكيـة وهـي الكتـب

التاليـة: يوشـع، القضـاة، الصموئيل 1و2، الملـوك 1و2، فتاريـخ الملـوك يُقـرأ لاحقًـا، وفـق هـذا المعنـى عـلى أنّ الأحـداث التـي وقعـت يتـمّ تفسـيرها بعصيـان الملـوك للقانـون الـذي اسـتلمه مـوسى في جبـل سـيناء، وفـق التقديـم الـذي يمنحـه سـفر التثنيـة (حيـث التأثـير قـويّ جـدًّا أيضًـا في الكتـب المسـماة " تاريخيـة").

5. الكتـب، أو الكتـب الأخـرى، وتحتـوي عـلى الكتـب التاليـة : المزامـير، سـفر أيـوب، سـفر الأمثـال، سـفر راعـوث، سـفر نشـيد الأنشـاد، زسـفر الجامعـة أو الكوهيليـث، سـفر مراثـي ارميـا، سـفر اسـتير، سـفر دانيـال، سـفر عـزرا، سـفر نحميـا، سـفر أخبـار الأيـام الثانـي.

# التوراة والتاريخ

## موسى، مؤسّس اليهودية؟

**جون - لوي شليغل**

إنّ السّؤال حول "مؤسّس" اليهودية وحول "تاريخيتها" كان- ويظل بالنسبة للكثير-، أحببنا ذلك أم كرهنا، ضرورة للبحث التاريخي في التوراة.

**توماس رومر**

إنّ " التّأسيس " المنسوب إلى موسى، يستند الى افتراض مفرط. لم يسبق أن ذكرته التوراة بوصفه مؤسس لديانة ما. في نهاية القرن التاسع عشر، حاولنا أن نجعل منه تلميذًا لاخناتون، فرعون من القرن الرابع عشر،والذي يُعتقد أنه كانت لديه، نزعات " توحيدية ". إن نجاح هذه الفرضية يتأتي من التوظيف الذي قام به سيجموند فرويد في كتابه موسى والتوحيد (1939م). ولكنها نابعة أيضًا من تخمين ليس له أساس في النص التوراتي ولا في غيره من النصوص. في الجانب الأخر، يظهر موسى في التوراة على أنّه ذلك الذي تلقّى كل القانون. بعبارة أخرى، فبواسطته ينتقل، كما يروي سفر الخروج، على امتداده ولكن بشكل خاص عند وصف الحلف بين يهوه واليهود: بعد عبور البحر من أجل مغادرة مصر،

عُقد الحلف في مشهد كبير، من خلال قراءة الأقوال العشر أو الوصايا العشر، المكتوبة على ألواح سُلّمت أولًا إلى موسى (سفر الخروج20-19). حلف تمّ فسخه على ما يبدو بعد مدة وجيزة، أثناء أحداث العجل الذهبي المصنوع من طرف اليهود الذين بقوا عند أسفل الجبل، عندما بدا لهم أن موسى لن يعود من حديثه مع يهوه في الأعلى. عند عودته، قام بتكسير ألواح القانون، غضبًا. لحسن الحظ، بعد معاقبة المذنبين، يستطيع موسى إعادة كتابة الكلمات العشر على ألواح جديدة (سفر الخروج34-32).

في هذه الروايات، لا يوجد شخص آخر يستلم القانون غير موسى، بينما في الشرق الأوسط، كما سبق وقلنا، فالملوك هم من يستلمونه. فموسى في الأسفار الخمس هو قبل كل شيء وسيط في القانون.

**جون - لوي شليغل**

**هذا بخصوص دوره، ماذا عن تاريخه؟**

**توماس رومر**

إنّ تاريخية الشخصية، هي شيء آخر. فالنصوص التي تصنع مشهد أسطورة موسى لم يتمّ كتابتها قبل القرن الثامن أو السابع. قد يكون وُجد تقليد شفاهي في السابق، ولكنه يبقى غير واضح، وبالخصوص، لا يمكن إثباته عمليًا. لنقلها بكل بساطة: لا يمكننا أبدا إنكار وجود شخص اسمه موسى كما لا يمكننا أبدًا إثبات وجوده. ماذا نستطيع " إثباته "، إذا لزم استعمال هذه الكلمة؟ يوجد أدلّة الذاكرة، لأجل إعادة استعمال عبارة عالم المصريات يان اسمان Jan Assmann، والتي مكنتنا من بناء شخصية موسى. نحن نعرف أنه في القرون الأخيرة للألفية الثانية، عمل في الديوان الفرعوني موظفون مصريون

كبـــار، وبالخصـــوص الرمسيســـيون: Ramsessides : والذيـــن يلقبـــون "بالأســـياوين Asiates" في المصـــادر المصريـــة، لأنهـــم قدمـــوا مـــن المـــشرق. في الغالـــب، هـــم ثنائيـــو الاســـم، ســـامي ومـــصري. حاولنـــا إثبـــات تاريخيـــة مـــوسى مـــن خـــلال هـــؤلاء الموظّفـــين. وهكـــذا نتكلـــم عـــن نصـــوص مصريـــة حـــول المدعـــو بـــاي Bay (لا نعـــرف تحديـــدًا كيـــف يُنطـــق اســـمه). بعـــض صفـــات هـــذا الشـــخص يمكـــن مقاربتهـــا مـــع مـــوسى. أثنـــاء مـــوت الفرعـــون، الـــذي كان يحكـــم في هـــذه الحقبـــة، قـــام هـــذا الموظـــف الســـامي، شـــبه الوزيـــر، بمحاولـــة تنصيـــب أحـــد أبنـــاء الملكـــة الأم تاوزيريـــت Taoseret والتـــي هـــي أيضًـــا مـــن أصـــول ســـامية، عـــلى كـــرسي العـــرش. ولكـــن هـــذا الابـــن يمـــوت، لا نعلـــم الســـبب. يربـــط بعـــض المفسريـــن هـــذا الحـــدث بمـــوت أوائـــل المواليـــد في قصـــة " ضربـــات مـــصر العـــشر "(ســـفر الخـــروج 11-7). ثـــم حـــدث مـــا يشـــبه الحـــرب الأهليـــة، أيـــن يقـــوم بـــاي عـــلى مـــا يبـــدو بتجميـــع مجموعـــة مـــن آل " العابـــيرو Apirou" حولـــه، الكلمـــة التـــي تتناغـــم مـــع " عـــبري Hebreux ". ويســـتولي بمســـاعدتهم عـــلى ذهـــب ومـــال المصريـــين. يمكننـــا هنـــا أن نضـــع هـــذا في علاقـــة مـــع المشـــهد التوراتـــي مـــن ســـفر الخـــروج، أيـــن يغـــادر العبرانيـــون مـــصر ومعهـــم هـــذه الغنيمـــة. لـــولا أن قصـــة بـــاي تتوقـــف هنـــا: نصـــوص مصريـــة تقـــول أنـــه تـــم إيقافـــه وقطـــع رأســـه قبـــل أن ينجـــح في الفـــرار. يســـتحيل إذن أن نجعـــل منـــه مـــوسى التاريخـــي. هـــذه الأســـطورة لا تثبـــت أبـــدا تاريخيـــة موسى،ولكنهـــا تجعـــل مـــن المعقـــول صناعـــة شـــخصية مـــوسى في صراع مـــع الفرعـــون، أو مـــوسى الـــذي يشـــتغل في البـــلاط المـــصري.

**جون - لوي شليغل**

وأنتم، ماذا تعتقدون؟

**توماس رومر**

بالنسبة إليّ، لا أعتقد بتاتًا أن وراء الشخصية الأدبية لموسى (موسى كما تقدمه الروايات التوراتية)، قد يكون المعني هو شخصية تاريخية محددة. لدينا نفس الظاهرة مع يوسف1. فقصته التي ينقلها سفر التكوين (50-37)، والمبنية وفق نفس السيناريو، لولا أنها تحدث في مصر وفي ظروف بهيجة، بينما بالنسبة لموسى فالأمور كانت سيئة. إنّ مصر تُقدّم بالنسبة له وجهًا إيجابيًّا أوّلًا، ثم سلبيًّا، في قصة موسى. تم إنقاذه من مياه النيل بفضل ابنة فرعون، ثم قامت بتربيته ليصبح شخصية مرموقة في بلاط الفرعون، يتعرّف موسى على أصوله العبرانية (الرواية التوراتية لا توضح كيف حدث ذلك)، وفي يوم ما، لأجل التضامن مع "إخوته"، يقتل مصريًّا كان يسيء معاملتهم، وهذا ما يُجبره على الفرار (سفر الخروج2). وهكذا تبدأ أسطورته: على جبل حوريب، بينما كان يرعى غنم والد زوجته، يقترب من شجرة تشتعل ولكنها لا تحترق. يكشف له الإله عن اسمه (يهوه) من وسط الشجرة ويرسله إلى مصر من أجل تحرير إخوته. فـ" تأثير الواقع"، كما يقول رولان بارت، ملفت للنظر، ولمدة طويلة، وإلى غاية الأزمنة الحديثة، فموسى، ويوسف وغيرهم من الشخصيات التوراتية سيُعتبرون شخصيات حقيقية وجدت فعلًا. ومع ذلك فهي ليست شخصيات تاريخية. لأجل القول إنها فعلًا شخصيات تاريخية، يجب أن تتكلم عنهم وتثبت وجودهم مصادر أخرى غير التوراة. ولكن هذا لم يحدث: خارج التوراة، لا يوجد أي شيء بشأنهم، لا وثائق ولا كتابات.

من المثير للاهتمام أن نسجّل بأنّ موسى هو الشخصية

الوحيدة في التوراة التي تنتظر ثلاثة أشهر قبل أن يصبح لها اسم. عند ميلاده لم تعطه أمّه اسمًا (سفر الخروج10-2،1). وكأنّ الراوي كان يعرف بأنّ موسى، والذي يعني اسمه بالعبرية" المنقذ من المياه"، هو اسم مصري، مثل رمسيس Ramsès وتحتمس Thoutmôsis (الذي أنجبه/ابن رع Ra، تحوت Thôt، الخ). كان يجب، إذن، انتظار قدوم ابنة الفرعون لتستطيع أن تمنحه اسمه.

**جون - لوي شليغل**

إنّ قصة الأميرة المصرية التي تخرج للنزهة على ضفاف النيل وتكتشف مهد موسى على الحافة قد تكون تفسيرًا لاسمه؟

**توماس رومر**

نعم، نستطيع قول ذلك، ولكنها تتكلم العبرية في هذه القصة وتقترح تفسيرًا عبرانيا. إنها تقول بالفعل: " لقد أنقذته من المياه "، بينما اسم " موسى " يتناسب مع جذر مصري والذي يعني: " ولد من هذا أو ذاك الإله ". قبل أن يصبح لموسى اسم، تُعرّفه الرواية كـ: "يلد" " yeled "، والذي يعني " الطفل ". إنّه المقابل العبراني للجذر المصري لدى موسى، والذي يعني " ابن لـ". مع "موسى"، لدينا بكل بساطة اسم،" أنجب من"، ولكن من دون العنصر الثيوفوري2. إنها ليست بالضرورة رقابة لاهوتية، لأنّ هذا النوع من الأسماء القصيرة كان موجودًا في مصر. في كل الأحوال، نحن في هذه الحال أمام اختصار، وكأننا نريد ترك الاسم قابلًا لان يحتوي اسماء كل الآلهة.

**جون - لوي شليغل**

لابد لنا إذن من جواب: ألم يكن هناك شخص إسمه موسى؟

لا، ليس هذا ما أقوله. ألاحظ بكل بساطة أن الطريقة التي تقدم بها النصوص التوراتية موسى، لا تسمح لنا أبدا بتكوين " بيوغرافيا تاريخية " له، لأننا بصدد قصص أسطورية. إننا لا نستطيع إلا كتابة بيوغرافيا أدبية له، وتبيّن كيف، أنه كلما ازداد النص ثراء شيئًا فشيئًا، تغيرت معه وظائف موسى حتى صارت وبوضوح شخصية ملكية. تاريخ مولده مبني على أساس قصة من القرن الثامن والتي تشير إلى المؤسس الأسطوري للسلالة الآشورية في الألفية الثالثة، سرجيون Sargon، ولكنها كتبت لإضفاء الشرعية إلى سلطة سرجيون الثاني، المُغتصب. لقد كان سرجيون هذا واعيًا بأنه ليس من أصول " نقية "؛ ويُقرّ بأنّه لا يعرف بالضبط من كان والده، ولكنه يقول عن نفسه بأنه تم انتشاله وتبنيه من طرف الآلهة عشتار Ishtar، التي تستأمنه على المُلك.

ألواح كثيرة تسجّل مولد سرجيون كانت متداولة في القرن الثامن؛ القصة التوراتية لمولد موسى جاءت بعدها زمنيًّا وهي مستوحاة منها. إنّها تظهر بالفعل كاستنساخ قويّ لقصة الملك الآشوري، مع اقتراح، مع موسى، نوع من الشخصية المضادة. إذ لا يعقل أن يكون الآشوريون هم من تأثّر بقصة موسى. هذه الإمبراطورية الكبرى لم تكن لتهتم بالقصص المتداولة في أورشليم.

## تأريخية القصص التوراتية

**جون - لوي شليغل**

لقد تطرقت، بالفعل، إلى موسى كأنموذج عام فيما تعلّق بسؤال التأريخية، حتى لا أثير ذلك المتعلق بالآباء الآخرين.

**توماس رومر**

نعم، والجواب مشابه: لا نستطيع أن ننفي بأنّ وراء تبجيل إبراهيم وإسحاق، يوجد مؤسّس لعشيرة اسمه إبراهيم أو إسحاق، والذي يكون قد ترك ذكريات على المدى الطويل. ولكن يستحيل كذلك تأكيده بنوع من اليقينية.

**جون - لوي شليغل**

ألم يتمّ تداول قصصهم شفهيًّا؟

**توماس رومر**

من المؤكد أننا قمنا بسرد بعض الأشياء حول هذه الشخصيات، ولكن باستعمال القصص المكتوبة المتبقية والتي تروي لنا حياتهم من أجل إعادة بناء الوقائع التاريخية بدقة هو أمر مستحيل. بالرغم من أنّه، حتى في نسخ التوراة الحديثة، فإنك تجد تواريخ: " في حدود 2000 (أو1750) قبل التقويم المسيحي، يغادر إبراهيم مع جماله..."، فالجمال هنا في غير موقعها الصحيح لأنه في هذه الحقبة لم تكن الجمال موجودة، أو انه لم يتم بعد تدجينها! فالذين يقدمون هذه التفاصيل الكرونولوجية ينسون " الفخاخ العلمية " التي تظهر في كل ناحية، وبالتالي فهم سيجدون أنفسهم مضطرين على مضاعفة فرضيات مُغامرة.

تسيطر دائمًا الفكرة، وبالخصوص في الأوساط الأصولية بعض الشيء، القائلة بأن قيمة النصوص التوراتية نابعة من

وثُوقيتها التاريخية، ولولاه لانهار كل شيء. يحدث أيضًا أن يقول لي بعض الطلبة: " بالنسبة لكم، فإنّ عبور البحر هو أسطوري؟" إذا أجبت "نعم" – وأجيب بـ" نعم " -، سيردون: " إذن فالتوراة هي تجميع لأكاذيب! ". بالنسبة لعدد من القراء المؤمنين، فان التأريخية تتدخل كنوع من الدليل على الوحي.

**جون - لوي شليغل**

أليس هذا مشكلًا مسيحيًّا أكثر تحديدًا؟ اقصد بالقول: أن اليهودي قد يعتبر هذا جزء من " القصص الوطني " لشعبه، دون " الاعتقاد " بأن الأمر يتعلق بأحداث وشخصيات حقيقية...إلا إذا كان ذلك نتيجة لبحث تاريخي ونقدي: بعد كل شيء، بالنسبة له أيضًا، فالسؤال الاسطوري (الذي يفهم بـ " لا واقعي " أو لا " حقيقي ") كان أساسيًّا، أو من الأجدر القول إن الكل كان أسطوري، أو لأجل التفرقة بين ما هو أسطوري وما هو واقعي أو حقيقي.

**توماس رومر**

من الصحيح أن اليهودية هي أقلّ هوسًا بإثبات تأريخية القصص الواردة في الأسفار الخمس، وبالخصوص، في مقابل الأوساط التي تعتمد القراءة الحرفية المسيحية، بالرغم من أننا قمنا في إسرائيل، ولمدة طويلة، بتدريس التوراة ككتاب تاريخي. قال لي أحد الحاخامات يومًا: " لا يهم إن كان قد وجد موسى أم لم يوجد، لدينا 613 وصية أبلغنا إياها والتي علينا فهمها والعمل على تطبيقها ".

**جون - لوي شليغل**

إذا حاولتم سرد القصص التوراتية للأطفال، يكون من الصعب ألا تقدّم أي دليل تاريخي.

**توماس رومر**

أنتـم عـلى صـواب، ولكننـي جـد خائـف مـن رؤيـة الطريقـة التـي تُـدرس فيهـا التـوراة لهـم. عندمـا كانـوا صغـارًا، يخبرنـي أبنـاء وبنـات إخوتـي أنهـم تعلّمـوا في المدرسـة أن خـروج اليهـود مـن مـصر وقـع عـام 1270 قبـل التقويـم المسـيحي، وفي وسـعهم أيضًـا أن يقدمـوا لي بالتحديـد الشـهر واليـوم! نعـم، في وسـعنا أن نحكـي قصصـا خرافيـة للأطفـال حـول الجنيـات، لأنهـم يحبـون تلـك القصـص، ولكـن لا بـد أن يفهمـوا يومًـا مـا أننـا في مجـال القصـص وليـس في مسـتوى تأريخيـة الأحـداث. ينطبـق الامـر ذاتـه عـلى التـوراة.

كمـا سـبق وذكرنـا، فالتـوراة هـي إعـادة بنـاء للمـاضي. بعـض النصـوص قديمـة، ولكنـه تـم دمجهـا في وحـدة أو كرونولوجيـا سرديـة والتـي هـي أبعـد مـا يكـون لتكـون دائمًـا تاريخيـة. نجـد أسـماءً لملـوك نعـرف أنهـم وجـدوا، لأنهـم ذُكـروا لـدى الآشـوريين والبابليـين، ولكـن الطريقـة التـي يتـم بهـا تقديمهـم تحكمهـا المصالـح اللاهوتيـة والإيديولوجيـة. ليـس لأنـه لدينـا ملـك مـا تشـهد بوجـوده بعـض الكتابـات الآشـورية، يصبـح في وسـعنا القـول بـأن التـوراة "تاريخيـة "، بالمعنـى الـذي تتبنـاه " هـذا مـا وقـع فعـلا ".

**جون - لوي شليغل**

بعض الباحثين لا يزال يستعمل هذا النوع من الحجج؟

**توماس رومر**

فعـلا، مـع شـخصية داوود مثـلًا. وهكـذا في تـل دان، شـمال إسرائيـل، تـمّ العثـور عـلى آثـار على مـا يبـدو مسـجلًا عليهـا العبارة التاليـة " بيـت داوود " (بعضهـم أراد قـراءة هـذه العبـارة ذاتهـا في نصـب ميشـا، والتـي سـبق وتحدثنـا عنهـا، ولكـن في اعتقـادي هـذا مسـتحيل): تـم الاسـتنتاج أن هـذه الشـخصية التاريخيـة قـد وجـدت

فعلًا، بينما تُبيّن لنا العبارة فقط أنّه في وسعنا تسمية السلالة الملكية اليهودية في القرن الثامن باسم مؤسسها، والتي لا تقول أي شيء بالنسبة لتأريخية هذا الأخير. وبالخصوص، إنّ المؤرخين غير المتخصّصين في هذه المناطق وفي هذه النصوص يسقُطون بسرعة في هذا الفخ، والكتب التاريخية الموجهة للجمهور الواسع والتي يسهمون فيها هي في الغالب تعتمد على كرونولوجيا توراتية قد تبدو مؤكدة، بينما هي في الواقع أبعد ما يكون عن ذلك. لقد سبق وألححت على هذا الموضوع: الكرونولوجيا التوراتية،إلى غاية حقبة الملوك، هي مُختلقة بصفة كلية، بطريقة واعية أو غير واعية، نعيد بناءها وكأنها حقيقية وندخل بالتالي في بناء أيديولوجي. انه يدعو للخيبة، يجب أن نقول: لم توجد حقب متتالية اسمها الآباء. ابتداء من موسى، إلى حملة يوشع، إلى المرحلة المسمّاة بسفر القضاة، لا وجود لأي أثر اركيولوجي، لا توجد أي وثيقة، لا يوجد أي أرشيف يثبت الشخصيات والأحداث التي تُروى لنا.

فـ" التتابع التاريخي " هو طريقة لتنظيم تقاليد مختلفة من خلال ترتيبها في أحداث متتالية – وهذا ما قام به من كتبوا التوراة. يجب إذن أن نكون حذرين عندما نستعمل هذه الوثائق من اجل إعادة بناء حقبة تاريخية. فضلا عن أن الحذرالواجب فيما يخص سهولة ومقبولية الأسلوب من دون نقد من قبل القراء والذين هم في الغالب يجهلون (هذا ليس انتقاصا!) هذه المسائل. يجب أن يفهم قراء التوراة، بمن فيهم المؤمنين، أنهم ليسوا أمام كتاب في التاريخ. لقد كتبت التوراة في ظروف تاريخية، والتي بطريقة ما، تظهر في أسلوب عرض الأشياء. فالعناصر من كلّ " جنس "(بالمعنى الأدبي للكلمة) والتي نجدها تُحيل قبل كل شيء إلى زمن الذين كتبوا هذه النصوص وليس إلى الوقائع " الموضوعية " أو إلى " ما حدث فعلًا ".

**جون - لوي شليغل**

كل النصوص " التوراتية الجميلة " تحتوي في الخاتمة على كرونولوجيا وعلامات.

**توماس رومر**

لا اعتراض على ذلك، ولكن حسب رأي، يجب أن نبدأ الإشارات الكرونولوجية، بالانطلاق من حقبة ملوك إسرائيل ويهوذا، أي في القرن التاسع. فالشخصيات "التاريخية" في التوراة، بمعنى: " الذين عاشوا فعلًا "، تبدأ معهم. سنعود إلى هذا الموضوع لاحقًا: من الصعب فهم تأريخية الملوك الأوائل، شاؤل، داوود، سليمان ونحن لا نعرف الشيء الكثير حول ورثتهم المباشرين، يربعام الأول في مملكة الشمال، إسرائيل، ورحبعام في مملكة الجنوب، يهوذا. ولكننا متأكدون أنّ الملك عمري قد وجد فعلا في إسرائيل، والذي قام ببناء العاصمة السّامرة، كما أننا نعرف الذين خلفوه، لأنّ البعض منهم ذكر في الوثائق الآشورية والبابلية.

## ماذا نعرف عن ملوك إسرائيل؟

**جون - لوي شليغل**

نعم، يجب التأكيد على هذا إذ انه فقط انطلاقا من الملوك يصبح في وسعنا تقديم إشارات ونحن مطمئنون،إذن،حسب رأيكم،فقط ابتداء من عمري وورثته،الاومريد في القرن التاسع،يصبح في مقدورنا تكوين كرونولوجيات. لكن، قبلهم، كان هناك شاؤول، داوود وسليمان، في القرنين العاشر والتاسع... وهم عمليًا الوحيدون الذين تعرفهم الأجيال القادمة. بعد إذنكم، عليّ أن أذكّر بأنّه وفق التقليد الذي وصلنا، فإنّ شاؤول، أول ملك لإسرائيل، يكون قد حكم في نهاية القرن الحادي عشر، أي حوالي سنة 1030(1 الصموئيل 31-8)؛ جاء بعده داوود حوالي

سنة 1000 (1الصموئيل31-2:16الصموئيل)؛ ثم استلم العرش ابن هذا الأخير، سليمان (1الملوك). ماذا نعرف عن هؤلاء الملوك الثلاث لإسرائيل؟ اطرح هذا السؤال لأنّه من جهة، فنحن نجدهم الأكثر شهرة، بالإضافة إلى حضورهم في الثقافة الغربية، ولكن من جانب أخر، قامت الاركيولوجيا بأدوار حاسمة في شأنهم خلال السنوات الثلاثين الأخيرة، وذلك من أجل التبيين... بأننا لا نعرف بشأنهم إلا الشيء القليل من وجهة النظر التاريخية.

**توماس رومر**

بخصوص شاؤول، نحن لا نعرف أي شيء. بالنسبة لداوود،لدينا الكتابة الشهيرة لتل دان والتي أشرنا إليها والتي تتكلم عن " بيت داوود". ولكنها مُؤرّخة في القرن الثامن، وهذا يعني فقط أنّه في تلك الفترة، كنا نعتقد بأنّ السلالة اليهودية تعود إلى المسمى داوود. هذا لا يقوم دليلًا كافيًا، برغم ما يقوله البعض، على وجود " داوود التاريخي".

من جهتي، أقول أنّه وجد بلا شك داوود تاريخي، في وقت كان فيه على ما يبدو تابعا للفلستيين، وليس ملكًا بعد. تُروي عنه أشياء استطعنا بصعوبة خلقها، والقصص ليست دائمًا لصالح مجده. لماذا احتفظنا بها؟ يقال عنه مثلا أنّه سيقوم بابتزاز شعبه لفائدة الفلستيين3. يُقترح أيضًا أنّ الممالك الأولى – بدلًا من المشيخات – لشاؤول وداوود قد تمّ "التسامح معها" من قبل الفلستيين، وهو محتمل جدًا بالنظر إلى علاقاتهم المتصارعة. في وسعنا أيضًا أن نرى خلف شاؤول شخصية تاريخية. والقول بأنّه تم استبعاده من طرف يهوه لأجل داوود هي مجرد صناعة إبتكرها الكتبة اليهود. من المحتمل أن يكون شاؤول وداوود التاريخيان قد حكما في نفس الفترة الزمنية وفي مناطق مختلفة.

**جون - لوي شليغل**

ومـــاذا عـــن ســـليمان؟ الـــذي تقدّمـــه التـــوراة ابنـــا لـــداوود، هـــل هـــو نفـــس الـــشيء؟ عندمـــا تقـــول بأنـــه لا يوجـــد أي شيء بخصوصـــه، فهـــذا يعنـــي كذلـــك أن اســـم ســـليمان لا يظهـــر في مـــكان آخـــر مـــا عـــدا التـــوراة؟

**توماس رومر**

في الواقـــع، ليـــس لدينـــا شـــهادات بخصـــوص الأســـماء لا بالنســـبة لشـــاؤول ولا بالنســـبة لســـليمان.

**جاكلين الشابّي**

ماذا يعني اسم سليمان؟

**توماس رومر**

مـــن المحتمـــل انـــه مرتبـــط بكلمـــة اوروشـــالام Ouroshalem، أي أورشـــليم. فهـــذه المدينـــة تســـتمد اســـمها مـــن الإلهـــة شـــاليمو Shalimu، المعروفـــة في اوغاريـــت كإلهـــة للفجـــر. في التقاليـــد التوراتية، يتـــمّ ربـــط اســـم الملـــك بكلمـــة شـــالوم Shalom، والتـــي معناهـــا " الســـلم "، هـــذا معـــروف، بالرغـــم مـــن كـــون هـــذا ليـــس هـــو الأصـــل الصحيـــح للتســـمية. كمـــا هـــو الشـــأن بالنســـبة للشـــخصيات الأخـــرى المذكـــورة، قـــد يكـــون وُجـــد فعـــلًا ســـليمان تاريخـــي. مـــن المهـــم أن نـــرى أنّـــه وجـــد ابـــن آخـــر لـــداوود اســـمه ابســـالوم(ab-shalom)، والـــذي يعنـــي " الأب (الآلهـــة) هـــي شـــاليمو" – الآلهـــة المحليـــة لأورشـــليم، إذن.

**جون - لوي شليغل**

تاريـــخ ســـليمان، ابـــن داوود والـــذي يكـــون قـــد حكـــم خـــلال الثلث الثانـــي مـــن القـــرن التاســـع (بـــين970إلى 930، إذا بقينـــا عنـــد هـــذا التخمـــين البســـيط)، يتـــمّ سرده في الكتـــاب الأول للملـــوك (الإصحـــاح 1-11). يـــروى عنـــه أنّـــه " ملـــك عظيـــم " مُذهـــل، حاكـــم صاحـــب

حكمة لا نظير لها، تأتيه الزيارات من الأماكن البعيدة، كُلِّف ببناء " بيت يهوه " الفخم، الذي يشبه قصر الفرساي بلا نظير. فالتناقض بين، من جهة، هذه الفخامة والتشدّق الكبير من أجل الإشادة بـ" بيت يهوه "(الهيكل) الذي كلّف سليمان ببنائه، وبين من جهة أخرى، الصمت الكلي للاركيولوجيا حول حُكمه يبقى مُحيّرًا، أو مذهلًا بعض الشيء.

مما لا شكّ فيه فقد أعادت الاركيولوجيا النظر حول الأفكار المتعلقة بـ" الأنوار" السليمانية، وفي المملكة التي يُفترض أنّها اتّسعت في ظل حكمه من الفرات إلى مصر. نحن نعلم اليوم أنّه لم يسبق أن وجدت "إمبراطورية سليمانية". ونعرف أيضًا أنّ القصة حول ملكة سبأ الشهيرة التي يُقال إنها قامت بزيارته لم يتمّ خلقها إلّا ابتداء من القرن السابع، أي بعد قرنين من العصر المفترض لوجود سليمان، لأنه في هذه الحقبة فقط وجدت ملكات سبئية. فنحن نرمي بشكل مركز حول شخصية سليمان وعظمته عدد من الأحداث والحقب التي لا علاقة لها به. بعض النصوص تصفه كملك آشوري، يُجبر شعبه على الأعمال الشاقة، ويعقد اتفاقيات تبعية مع ملك فينيقي، وفي قصص أخرى مثل تلك التي حول ملكة سبأ أو حول قضاء سليمان، فإنّنا نجدها تشبه كثيرًا حكايات ألف ليلة وليلة.

من أجل قوله في كلمة: إن الاركيولوجيا، وبصفة حاسمة في هذه الحال، لم تعثر أبدًا على عناصر حول شاؤول، أو داوود، أو سليمان الذين يُعتقد أنهم حكموا، أي بين 1030و930: لا شيء، أبدًا، لا شيء. لقد بيّن إسرائيل فلكنشتاين Israêl Finkelstein أنّنا أخطأنا بقرن من الزمن في التقدير الكرونولوجي. ما ننسبه لسليمان (إسطبلات ميجيدو، مدينة هازور) هي في الواقع تتوافق مع أحداث تعود إلى قرن من الزمن بعد هذه الفترة:

إنّها تخصّ الملك عمري!

**جون - لوي شليغل**

ولكن ألا نجد، بالرغم من ذلك، آثارًا لأشياء أو لأحداث من القرن الحادي عشر والعاشر مُدوّنة في الروايات التوراتية؟

**توماس رومر**

نعم، يوجد لدينا آثار اركيولوجية حول الحقبة التي تسبق شاؤول وداوود. في ميجيدو، في هازور، في وسعنا مشاهدة مباني رائعة تسبق عصر الملكية الإسرائيلية. إنّها تثبت أنّه وجدت في هذه المنطقة مدن-دول لها قيمة ما، تخضع نسبيًّا لمراقبة المصريين. إنّها كيانات سياسية، ولكن هل يمكن الحديث عن وجود " ممالك"؟ يصعب كثيرًا تحديد ذلك. أيًّا كان، فقبل القرن التاسع، لا نجد آثارًا لما ترويه لنا النصوص التوراتية.

**جون - لوي شليغل**

إذا اعتمدنا بصفة دائمة على الفرضيات الكرونولوجية القديمة (والتي صارت غير صالحة)، فإنّ احتلال كنعان قد يكون وقع بين 1250 و1200. لا شيء هنا كذلك، على ما أعتقد، من الجانب الاركيولوجي. ماذا نقول إذن حول قصة هذه الحملة، التي تحتلّ ما يقرب جلّ كتاب يوشع؟

**توماس رومر**

ما سبق وقتله يفترض أنّ يوشع جاء إلى أرض كنعان4 (وهذا ضعيف الاحتمال!)، ووجدت بلا شك بعض الشعوب أوالعشائر المحلية التي لزم القضاء عليها. الرواية التوراتية أعادت بخصوص كنعان صناعة الأسطورة الكبيرة التي يصنعها كل مُحتل من أجل تبرير حملته: "الثقافة" لم تكن موجودة قبل مجيئنا، وبالتالي صار وجودنا ضروريًّا... بالإضافة إلى كونها وعدًا إلهيًّا! وهكذا كان الأمر أيضًا في أمريكا الجنوبية، وفي

أمريــكا الشــمالية، في إفريقيــا وفي غيرهــم.

## مولد إسرائيل: كونفدرالية قبلية

**جون - لوي شليغل**

يــروي لنــا كتــاب يوشــع إقامــة إثنــي عــشرة قبيلــة إسرائيليــة في أرض كنعــان. ســنرى، مــع جاكلــين الشــابيّ، كــم كان مهمًّــا دور القبائــل في مولــد الإســلام. ولكــن مــاذا تعنــي بالنســبة للتــوراة؟

**توماس رومر**

هاهــي حقيقــة تاريخيــة لا نملــك حولهــا إلّا القليــل مــن المعطيــات. عكــس القبائــل الحقيقية (حتــى المعروفــة نســبيًّا) والتــي مــن المؤكّــد أن جاكلــين الشــابّي ســتتكلم عنهــا، فــان الإثنــي عــشرة قبيلــة إسرائيليــة التــي هــي مــن رحــم أبنــاء يعقــوب الإثنتــي عــشر، تُمثّــل بنــاءً أدبيًّــا. فبعــض مــن أســماءهم هــي ليســت أســماءً لقبائــل ولكنّهــا أســماء لمناطــق أو قــرى قُمنــا بتقبّيلهــا*. لكــن مــن المؤكّــد أنّــه وجــد، في الأصــل نــوع مــن الكونفدراليــة لمجموعــات مــن القبائــل، والتــي ربمــا احتفظــت جزئيًّــا بأســمائها في النصــوص القديمــة كمــا في نشــيد ديبورا (ســفر القضــاة 31-5،1). يتعلّــق الأمــر بوجــود إلــه قبــلي يصبــح، فيمــا بعــد، في عــصر ملــوك ســلالة الاومريــد، إلــه "وطنــي" أو ملكــي. يُحتمــل أنّ أصــل الإلــه يهــوه يعــود إلى الأراضي القاحلــة مــن الجنــوب؛ وهــو مــا تُشــير إليــه شــهادات مــن خــارج التــوراة، والتــي تتكلّــم عــن قبائــل بدويــة جنــوب المــشرق وفي شــبه جزيــرة ســيناء تعبــد إلــه اســمه يهــوا Yahwa. يوجــد في التــوراة الكثــير مــن النصــوص التوراتيــة التــي تجعــل جبــل يهــوه في الجنــوب. بعــض النصــوص التوراتيــة تتكلّــم عــن آم يهــوه am yahvé، "شــعب يهــوه". غــير أنّ كلمــة آم am تعني في الأصــل عشــيرة، أي علاقــة قرابــة، وليــس شــعبًا أو أمّة، كمــا فُهمت هــذه الكلمــة في فــترات لاحقــة. آم Am، هــي قبــل كلّ شيء عشــيرة،

وفي الغالب تحمل دلالة عسكرية. "إسرائيل" المكتوبة على نصب الفرعون مرنبتاح هي نوع من الكونفدرالية لعشائر أو لقبائل معينة والتي، في مرحلة ما، تبنّت الإله يهوه. علاوة على ذلك، فاسم "إسرائيل" هو أقدم من يهوه. في وسعنا استنتاج ذلك من مجرد تفكير بسيط في تأثيل الكلمة: في إسرائيل، نجد الاسم الإلهي " آل "، وليس اسم يهوه. فإسرائيل إذن تعني أن " آل يحكم ". يوجد نص قديم تمّ إدماجه في سفر التثنية (الإصحاح 33) يتكلم عن اجتماع لـ "عشيرة يهوه" مع زعماء إسرائيل. لدينا انطباع بأنّ هذا النص يحتفظ بذكرى وجود فدرالية تضمّ عشائر إسرائيلية مع عشيرة تسمى "آم يهوه"، وهذه الفدرالية الجديدة تبنّت الإله يهوه مع الاحتفاظ باسم إسرائيل.

**جون - لوي شليغل**

لنأتي إلى الدور المركزي لاسم الآلهة -هنا يهوه- من أجل جمع القبائل. ولكن وفق أيّ سيناريو؟

**توماس رومر**

في الأصل بالنسبة ليهوه، كان في وجود إله صحراوي. هذا يمكن مشاهدته، في التوراة، مع قصّة الخروج، والتي تتكوّن من حلقات تفتقد للمعقولية. فالهدف الرئيسي لتاريخ الخروج هو أن يتمكّن العبرانيون من مغادرة مصر. ولكن، بعض النصوص ربّما تقول العكس. مثلًا، موسى عندما يُفاوض الفرعون ويقول له بأنّ الإله يسكن على مسافة ثلاث أيّام من السير في الصحراء، ولذا يتوجّب منح العبرانيين إجازة لغرض دينيّ حتى يتمكّنوا من تكريمه، لأنّه إله خطر، والذي قد يُعاقب بالطاعون والسيف عندما لا نخدمه. هذه الحجة لا تعني أبدًا أنّ العبرانيين يريدون مغادرة مصر بصفة نهائية... في تقديري، هذا العنصر ليس بالجديد وليس بالُمختلق: هي

ذكرى قديمة بأنّ هذا الإله يهوه مرتبط بالجبل - من المؤكّد أنّها ليست سيناء الحالية، لكن بالأحرى في أقاليم الايدوم، التي تتواجد على مسافة ثلاث أيام شرق الدلتا المصري. تظلّ إذن هناك ذكريات والتي وفقها يكون يهوه قادم من الجنوب، وكان بلا شك المعبُود من طرف عدّة قبائل، والتي اجتمعت كآم يهوه. ثم قامت بنقله نحو كونفدرالية إسرائيل، والتي تبنته كإله رسمي. ففي البداية، لم يكن أبدًا إله وطني، ولكنه صار كذلك فيما بعد.

### جون - لوي شليغل

تبدو الرواية التوراتية وكأنّها تقدم هذه الكونفدرالية من القبائل على أنها تستولي على الأرض. أليس في صميم هذه الرواية المتعلقة بـ " الأرض الموعودة " في بلاد كنعان، لا يوجد صناعة لأجل تبرير السيطرة والطمع في الأرض؟ ماذا تريد أن تُبيّن؟ أليست أسلوبًا لشرعنة الحق في هذه الأرض قبل الجيران؟

### توماس رومر

إنّ " الأرض" موضوع السؤال لم تكن أبدًا محددة بشكل واضح. أحيانًا يقال لهذا الأب أو ذاك: "أمنحك هذه الأرض eretz" ولكن eretz قد تعني أيضًا "الموطن"، أكثر من "الأرض". بالإضافة إلى ذلك، فنحن نمر باستمرار من eretz " الأرض"، " الوطن"، إلى أداماadama، " التراب". إذن فإنّ " هبة " الأرض، وبالخصوص في سفر التكوين، ليست أبدًا مفهومًا " سياسيًّا" محدّدًا. في تاريخ الآباء تظهر أسئلة الإقليم، ولكن عكس التقليد في كتاب يوشع، فإنّ المقصود هو التفكير في التعايش على نفس الأرض وتقاسم الملكية بين مجموعات عديدة. في قصة إبراهيم ولوط (سفر التكوين13) أو في قصة يعقوب مع لابان(سفر التكوين30-29)، اللذان يتخاصمان من أجل الأرض، نجد ذكريات قبلية بالمعنى الصحيح لكلمة " قبيلة ". لدينا

انطباع بأنّه في الأصل، كان هناك عشيرة(أو قبيلة) تصبح مهمّة جدًّا وتدخل في نزاعًا مع جارها أو يجب عليها أن تنقسم إلى نصفين. يجب إذن التفاوض حول قسمة الأراضي، قدر الإمكان بطرق سلمية.

إنّه بالفعل ما ترويه قصة لوط وإبراهيم: لقد صار الرجلان أكثر قوة وعليهما التقاسم. إنّه حتمًا بسبب الإعداد لقصة سدوم وعمورة، والتي تنتمي إلى إقليم لوط، ولكن السيرة السيئة لسكّانهما ستؤدّي بهما إلى الزوال: إنّ إبراهيم لم يختر فقط الجزء الأفضل من الإقليم فحسب، ولكن أيضًا السلالة التي تنال كل الوعود مستقبلًا. فالانفصال لأجل الأرض حدث في سفر التكوين13 بطريقة سلمية، بينما في البداية، في قصة يعقوب ولابان، فليس أبدًا الأول هو من يذهب إلى الثاني. ففي النواة الأصلية للقصة، ينتمي يعقوب فعلًا إلى عشيرة لابان، ثم ينفصل بطريقة عدائية (سفر التكوين 31-27). بعد الخصام، يأتي العقد الذي يضبط الحدود، ويُشيّد زعيمَا العشيرتين نوعًا من ركام الحجارة التي ستصبح رمزًا لهذا العقد.

الوضع مختلف في سفر يوشع، أين يجب طرد الجميع، كل السكان الأصليون من أرض كنعان من أجل الإقامة فيها. ومع ذلك، في قصص الحملات، لا تلعب القبائل أي دور؛ بل الحديث هو بالأحرى عن إسرائيل.

فيما يتعلّق ببناء السردية، كل هذا يحثنا على التفكير. في لحظة ميلاد الدعوة (على "جبل الإله"، حسب سفر الخروج3)، لم يكن موسى يعرف اسم يهوه. إنّه يسأل: " بأي اسم أحدّث العبرانيين، الذين هم في مصر، عنك "؟ فالذكرى كانت إذن أنّ يهوه لم يكن دائمًا إله المجموعة المسماة إسرائيل قبل أن تصبح كيانًا سياسيًّا. قصة الآباء تحتفظ بذكريات القبائل والتي بعضها لم تعبد ربّما يهوه بل آل شدّاي أو آل. في السردية

الكبيرة للأسفار الخمس، فإنّ قصة الآباء تمثّل مرحلة قبل الوحي اليهوي.

**جون - لوي شليغل**

إنّ سفر القضاة، الذي يُقدّم، دائمًا وفق النص التوراتي الذي لدينا، عن المرحلة التي تلي احتلال كنعان، يشير بالرّغم من ذلك إلى نزاعات بين القبائل.

**توماس رومر**

نعم، وبعض القبائل علاوة على ذلك يتمّ انتقادها في نشيد ديبورا (سفر القضاة5) والذي يتضمنه هذا السفر. أين يعتمد أصحاب سفر القضاة، على ما يبدو، على ذكريات قديمة: يتعلّق الأمر بقبائل مثل ماكيرMakir بما في ذلك – أسماء لن تظهر بعد ذلك. تبقى إذن وبلا شكّ ذكريات لكونفدرالية قبائل والتي تختلف كثيرًا عن البناء اللاهوتي المتأخّر للقبائل الإثنتي عشر.

## " شعب " إسرائيل

**جون - لوي شليغل**

كيف نفهم كلمة توراتية هي حاضرة بقوة بدءًا من قصة الخروج، ونقصد بها كلمة "شعب". من هو شعب إسرائيل هذا أو أبناء إسرائيل؟

**توماس رومر**

كما سبق وقلنا، في البداية كانت هناك العديد من "الشعوب"، والذين هم في الواقع "عشائر". إنّه الحال أيضًا بالنسبة لـ: آم يهوه، لـ " شعب يهوه". إنّ كلمة آم تعني في الغالب العشيرة المحاربة. عندما يوجد تنظيم للدولة حول نظام ملكي ما، فإنّه قد يُقصد به شعب ما ويصبح مرادفًا

لكلمـة " Goy غـير اليهـودي". قـد تنطبـق هـذه الكلمـة عـلى كل الشـعوب بمـن فيهـا إسرائيـل؛ اسـتعمال "Goy" مـن أجـل الدلالـة عـلى كل الشـعوب الأخـرى مـا عـدا إسرائيـل أو "اللايهـود" هـي اسـتعمال حديـث، جـاء في مرحلـة لاحقـة عـلى كتابـة النصـوص التوراتيـة.

**جون - لوي شليغل**

هـل " مـوسى " وبالرغـم مـن كونـه شـخصية أدبيـة خالصـة، لـم يتـمّ تقديمـه كمؤسّـس لشـعب واسـع، وهـو" أبنـاء إسرائيـل"؟ لدينـا عـلى الرغـم مـن ذلـك انطبـاع بوجـود نـوع مـن "التخثّـر" حـول الوعـي بأنّنـا شـعب، شـعب واحـد أمـام إلـه واحـد. في العمق، كيـف تفهمـون – مـن وجهـة نظـر تواجدنـا- هـذا الوعـي أو هـذا الوهـم المجنـون (والخطـير!) أن نكـون موضـوع اصطفـاء إلهـي؟

**توماس رومر**

صحيـح أنّ السرديـة في سـفر الخـروج تهتـمّ بـ " شـعب" إسرائيـل، أثنـاء الوحـي في سـيناء، بقـدر مـا سـيصبح شـعب يهـوه. ولكـن هـذا ليـس فيـه مـا يثـير العجـب: لـكلّ إلـه رسـمي "شـعبه"، الـذي يفـترض أنّـه يرعـاه. إنّ مفهـوم الانتخـاب أو الاصطفـاء الإلهـي يظهـر فقـط في الوقـت الـذي نقـول فيـه بـأنّ يهـوه هـو الإلـه الوحيـد الـذي يحكـم أقـدار كل الشـعوب. كيـف نفـسر إذن أنّ الإلـه الواحـد لـه علاقـة مميّـزة مـع شـعب واحـد، إسرائيـل؟ هنـا تتدخـل فكـرة الانتخـاب.

**جون - لوي شليغل**

مـن أجـل العـودة إلى سـفر القضـاة، هـل في وسـعكم أن تقولـوا لنـا مـا هـو دوره؟ إنـه مـا، يجـب التذكـير بـه، ليـس القضـاة هـم مـن يـترأس المحاكـم، ولكنهـم بالأحـرى أبطـال أسـطوريون (شمشـون Samson، جدعـونGédéon، الـخ)، إنّهـم زعمـاء

كاريزمائيـون مـن يدافـع عـن بعـض القبائـل الإسرائيليـة التـي تتعـرّض لاعتـداءات مـن طـرف جيرانهـا. ولكـن، لـو وافقنا التفسـير التقليـدي، فإنّنـا سـنجد أنفسـنا في الحالـة الوسـيطة بـين إقامـة القبائـل في بـلاد كنعـان وبدايـة الحكـم الملكـي. فالكتـاب يسـاعد إذن عـلى تبريـر مولـد النظـام الملكـي مـن أجـل مواجهـة الفـوضى المنتـشرة في البـلاد.

### توماس رومر

هنـاك العديـد مـن التفسـيرات الممكنـة. في شـكلها الحـالي، فـإنّ سـفر القضـاة يفيـد في القـول بأنّـه مـن دون نظـام ملكـيّ، فلـن تسـير الأمـور كمـا ينبغـي في إسرائيـل. إنّـه يأتـي في الأخير كنـوع من المانـع: "في هـذه الحقبـة، لـم يكـن هنـاك ملـوك، وكلّ فـرد يتـصرّف كمـا يطيـب لـه!". بالنسـبة لكاتـب هـذا المانـع، فـإنّ المجتمـع صـار فوضويًّـا. فوجـب إذن وجـود ملـك، وكلّ شيء سـيصبح أفضـل! مـن وجهـة النظـر التاريخيـة، مـن المحتمـل أنّ التقاليـد لبيئـات مختلفـة أو لقبائـل، بـلا شـك في الشـمال، تتحـدّث عـن قـادة كاريزمائيـين- القضـاة بشـكل دقيـق- والذيـن يظهـرون في ظـروف التهديـد، العسـكري أو غـيره، ويسـتلمون السـلطة، عـلى غـرار مـا سـيفعل محمـد في الجزيـرة العربيـة في القـرن السـابع للميـلاد. ولكـن ليـس لحكمهـم أيّ اسـتقرار ويبقـى محـدودًا في هـذه القبيلـة أو تلـك. فالكتـاب يؤسّـس تقاليـد لهـؤلاء القـادة الكاريزمائيـين، والذيـن في الأصـل لا توجـد روابـط تجمعهـم، وكأنّنـا مـع تتابـع لأبطـال؛ لكـن لـو نقـرأ بتمعّـن قصـص هـؤلاء "المنقذيـن"، سـنلاحظ بـأنّ إنجازاتهـم حدثـت في مناطـق ولـدى قبائـل تختلـف في كلّ مـرة. إنّـه تجميـع لقصـص. يتكلّـم المختصّـون عـن " كتـاب للمنقذيـن " والـذي يكـون هـو الأصـل لكتـاب القضـاة، لأنّنـا نجـد فيـه تجميعًـا لسلسـلة مـن إنجـازات الزعمـاء الكاريزمائيـين. إنّـه بـلا شـك الهـدف الأول مـن الكتـاب. فيمـا بعـد، فـإن همنـا لهـذه السرديـات،

يعكس مرحلة انتقاليةً متخيّلة بين غزو كنعان ومولد الملكية. يتعلّق الأمر إذن بالتحضير للمرحلة اللاحقة، والتي هي كتاب الصموئيل، والذي سيُختار لأجل مساندة شاؤول وتنصيبه إلهيًّا كملك.

**جاكلين الشابيّ**

نحن إذن نخترع تتابعًا مُتخيّلاً لأجل الإعداد لنظام ملكي؟

**توماس رومر**

في الواقع، كل كرونولوجيا السردية التوراتية، منذ الآباء (إبراهيم وخلفائه) وإلى غاية الملوك الأوائل لإسرائيل، هي خياليّة. في الواقع، لم يوجد حقبة لغزوة: نحن نعرف من خلال الاركيولوجيا أنها لم توجد. حروب أو نزاعات عسكرية قد تكون وقعت، أثناء انهيار المدن- الدول الكنعانية، هذا كل شيء. لو أعدنا كرونولوجيا كتاب يوشع، فإنّ غزو كنعان استمر... أسبوعين! فالقصة المرعبة، تخبرنا عن حرب خاطفة، فغزاة كنعان يهدمون كلّ شيء في طريقهم في ظرف أربعة عشر يومًا. ولكن لا يوجد أي أساس تاريخي خلف هذه الملحمة. فالكاتب أو الكتّاب يستلهمون أفكارهم من الايدولوجيا العسكرية للآشوريين، الذين يروون إراديًّا هذا النوع من القصص أو يرسمونها على النقوش. بتعبير آخر، إنّهم يستعيرون أشكالًا أدبية، ويستلهمون من عادات وتقاليد مختلفة. الحرب تحتمل تحدّيات اقتصادية: يجب أخذ الأسرى، القدرة على استغلال الأراضي المحتلّة ويجب بالخصوص تفادي موت المقاتلين. من المحتمل أن تقول هذا أيضًا جاكلين الشابيّ فيما يخص النزاعات بين القبائل: في الشرق الأوسط القديم، للحرب أبعادها الدينية، والاقتصادية، والسياسية.

**جون - لوي شليغل**

إنّ الغـزوة المرويـة في كتـاب يوشـع هـي إذن خيـال أدبـي، وهـل يمكننـا افـتراض، قسـوة الإبـادة للسـكان المحليـين أيضًـا ؟

**جاكلين الشابيّ**

كمـا في السـورة التاسـعة الشـهيرة مـن القـرآن التـي تأمـر :" اقتلوهـم جميعًـا"، ولكـن فيمـا بعـد، يقـال: " يجـب التعامـل مـع هـذا أو ذاك وفـق هـذه الطريقـة أو تلـك". فـ"القتـل" قـد لا يعنـي أكثـر مـن كونـه أسـلوبًا بلاغيًّـا.

**جون - لوي شليغل**

أفكـر بـدوري في أغنيـة رولان، أيـن قُتـل الآلاف مـن المحاربـين بالسـيف ...

**توماس رومر**

نجـد في نصـب ميشـا وفي التـوراة، كلمـة حـرمherem، والتـي تتضمـن فكـرة أن كل ضحيـة يجـب أن تحـرق مـن أجـل تقديمهـا للآلهـة. عـلى نصـب ميشـا، يُقـال بـأن أسرى ميشـا تـمّ التضحيـة بهـم في حـرم herem إلى الإلـه كيمـوش- فالفكـرة الأساسـية هـي أنّ الإلـه أعطانـا النـصر ولـذا ينبغـي أن تعـود إليـه بالمحصلـة كل الغنيمـة. ولكـن في الواقـع لـم تحـدث هـذه التضحيـة، أوانهـا حدثـت فقـط بشـكل محـدود جـدًّا: ربمـا أخذنـا حمـارًا مسـكينًا، أو حتـى إنسـان مـن أجـل التضحيـة بـه وحرقـه، ولكـن الغنيمـة البشريـة والمادية تُمثـل مخاطـرة اقتصاديـة لا يمكننـا " تبذيرهـا". وهكـذا نجـد عـلى نصـب ميشـا، أن الملـك يؤكّـد تنفيـذه الحـرم، ولكـن في جمـل أخـرى لاحقـة، تتحـدث الكتابـة عـن أسرى قـام باسـتغلالهم في أعمـال البنـاء. فالطابـع الإيديولوجـي لتوكيـد الحـرم ليسـت بالمخفيـة.

**جون - لوي شليغل**

القصـة التوراتيـة سـتبحث عـن أصـول إبراهيـم في مدينـة أور، عنـد الكلدانيـين. وهـي في مـصر بالنسـبة لمـوسى. هـل هـذا مـن أجـل إضفـاء الشرعيـة عليهـم مـن خـلال الإمبراطوريـات؟

**توماس رومر**

لا، لا نضفـي الشرعيـة عـلى الإمبراطوريـات. قصـة إبراهيـم الـذي خـرج مـن أور مـن أجـل الذهـاب إلى كنعـان قصـة حديثـة. إنّ الفكـرة بـأنّ إبراهيـم قـادم مـن بابـل تـم اختراعهـا بعدما اسـتوطن المنفيـون اليهـود بابـل. إنهـا مـن اخـتراع الأوسـاط اللاهوتيـة والذين كانـوا مـن بـين المُهجّريـن، والذيـن في الحقبـة الفارسـية، أرادوا تشـجيع المنفيّـين لأجـل العـودة إلى أورشـليم وإلى يهـوذا: فـإذا كان إبراهيـم قـام بهـذا السـفر الطويـل، فنحـن نسـتطيع أيضًـا القيـام بـه، كان هـذا هـو مضمـون رسـالتهم.

مـع مـوسى ربمـا تـمّ الاحتفـاظ بذكـرى العلاقـات المعقـدة جـدًّا بـين مـصر والـشرق في النصـف الثانـي للألفيـة الثانيـة. الكثـير مـن النصـوص المصريـة وأيضًـا الاركيولوجيـا تشـهد بوضـوح عـلى رقابـة المصريـين عـلى الـشرق. قصـة يوسـف، هـي بدورهـا، تُذكّـر بالمجاعـات المتكـررة في منطقـة الـشرق. خـلال هـذه الحقـب، كانـت هنـاك محاولـة للإقامـة في مـصر أو لـشراء الغـذاء. لقـد كان هنـاك تجـارة ومـرور بـين مـصر والـشرق. ثـم، تأخـذ هـذه العلاقـات في الروايـات التوراتيـة مسـارًا رمزيًـا: يقـف مـوسى وإلهـه في مواجهـة فرعـون وربـه. إن الأصـل في هـذه الأسـطورة والتقليـد في سـفر الخـروج، أنّـه قـد يكـون هنـاك ذكـرى نهايـة الرقابـة المصريـة عـلى الـشرق في عهـد أسرة الرمسيسـيين. في الواقـع، ولأسـباب قليلـة الوضـوح، فـان مـصر تخفـف القبضـة أو الضغـط عـلى الـشرق، قبل أن تنسـحب كليًّـا، وهـو مـا يـؤدّي إلى انهيـار المدن-الـدول الكنعانية التـي كانـت تحـت سـيطرتها.

إنّ هــذه المــدن- الــدول ســتندثر، فتجتمــع الجماهــير وتتداخــل فيمــا بينهــا. إنّــه في هــذه الظــروف تنشــأ إسرائيــل. كمــا يبــيّن ذلــك إسرائيــل فنكلشــتاين وغــيره، فمولــد إسرائيــل في كنعــان يجــب أن يفهــم وفــق هــذا المضمــون كتجمــع لســكان أصليــين، وليــس نتــاج مســاهمة لســكان أجانــب. مــن الممكــن أنّــه فيمــا بعــد انضمّــت إلى هــذا التجمــع جماهــير أخــرى قادمــة مــن مــصر: إذا تكلمنــا تاريخيًّا، في الواقــع، فــانّ إسرائيــل المكتوبــة لأوّل مــرة، كمــا ســبق وقلنــا، عــلى نصــب الفرعــون مرنبتــاح، توصــف ككيــان موجــود، ولكنــه ليــس سياســيًّا. يســتعمل المصريــون التســميات لأجــل تعيــيّن مدينــة، جبــل، مجموعــة مــا أو كيانــات أخــرى. عــلى هــذا النصــب، كلمــة " إسرائيــل" متبوعــة برجــل وامــرأة مــع ثــلاث خطــوط عموديــة، وهــذا يعنــي أنّ إسرائيــل تفهــم كمجموعــة مهمّــة بشــكل كافي ممــا يجعــل الفرعــون يفتخــر بهزيمتهــا. كانــت نوعًــا مــن التجمــع القبــلي، تعيــش في جبــال افراييــم، متكونــة مــن عشــائر، أفلتــت مــن رقابــة المــدن- الــدول، التــي تراقبهــا مــصر.

## بقايا اركيولوجية، بقايا الذاكرة

**جون – لوي شليغل**

في الروايــة التوراتيــة، هنــاك شــعوب أو قبائــل حولنــا، مثــل ايدوم أو مــؤاب5، والتــي ينظــر إليهــا كتهديــدات دائمــة. هــل فعــلًا هنــاك مــا يثبــت مــن طــرف الاركيولوجيــة وجــود هــذه البلــدان المحيطــة؟

**توماس رومر**

نعــم، بالفعــل، نجدهــم عــلى الكتابــات. في ايــدوم بالخصــوص (جنــوب الأردن الحــالي، حــول موقــع البــتراء وإلى غايــة البحــر الأحمــر)، الكثــير مــن الحفريــات تــمّ إنجازهــا والتــي كشــفت عــن وجــود معابــد. كمــا اكتشــفنا بالخصــوص كتابتــين في كونتيلــة عجــرود Kuntillet Ajrud، في شــبه جزيــرة ســيناء، والتــي تعــود

للقــرن الثامــن، تُوثّــق الحديــث عــن " يهــوه تمــان". إذ أنّ تمــان هي منطقــة موجــودة في إقليــم الايدوميــين. هــذا يعنــي أن هــذا اليهــوه للقــرن الثامــن كان معروفًــا في الممالــك المتواجــدة حــول إسرائيــل ويهــوذا، وبالخصــوص لــدى الايدوميــين. عــلاوة عــلى ذلــك مــن الممكــن جــدًّا أن يكــون يهــوه إلــه مهــم جــدًّا لــدى الايدوميــين، وهــو مــا يفــسّر أيضًــا أنــه في ســفر التكويــن نجــد، يعقوب(إسرائيــل) وعيســو (ايــدوم) يُذكــران كإخــوة.

يمكننــا أن نلاحــظ كذلــك بــأنّ التــوراة تعطــي أســماء الآلهــة عنــد المؤابــين Moabites(كيمــوش) وعنــد العمونيــون Ammonites (ميلكــوم)، ولكــن ليــس أســماء الآلهــة عنــد الايدوميــين. هــذا يعنــي أن يهــوه كان إلــه معبــد في مناطــق الايدوميــين قبــل أن يصبــح الإلــه الوطنــي في إسرائيــل ويهــوذا.

أمــام هــذه القصــص والنصــوص التوراتيــة المبنيــة بشــكل جيّــد، لدينــا مــع ذلــك مــا نهتــمّ بــه وهــو مــا ســماه يــان اســمان بـــ " آثــار الذاكــرة". نصــوص أكثــر حداثــة (مــن القــرن الســادس والخامــس) تســتطيع أن تقــدّم ليــس أحــداث حقيقيــة، ولكــن قبــل كل شيء ذكريــات، آو ذاكــرة لتغــيّرات دينيــة، سياســية، جغرافيــة أو مناخيــة.

### جون - لوي شليغل

ولأنّكــم تتكلّمــون عــن يــان اســمان، هــل في وســعكم أن تقدمــوا لنــا رؤيتــه بخصــوص اخناتــون، فرعــون مــن القــرن الرابــع عــشر والــذي قــد يكــون " توحيديًّــا "، والأصــل في ديانــة مــوسى؟ هــل في وســعنا القــول أنّــه شــخصية اســطورية؟

### توماس رومر

اســمان ينتقــد بشــدة الذيــن يريــدون أن يجعلــوا مــن اخناتــون ملهمًــا لمــوسى، أو مشــابهًا لهــذا الأخــير. إنّــه يُبــيّن بــأنّ أســطورة

تعريف أخناتون من خلال موسى بدأت مع مانيتون Manéthon، وهو راهب مصري كان يكتب بالإغريقية في حدود 300 قبل التقويم الميلادي وقد وضع قائمة لكل الأسر الفرعونية. هذا المانيتون ذاته يروي قصة أناس أجانب مصابون بالجذام عُزلوا أولًا في معسكرات في مصر؛ وبعد أن طُردوا، قاموا بالتجمع فيما بعد تحت سلطة راهب اسمه اوزرسيف Osarseph، الثائر والمعروف بقلّة احترامه للديانة المصرية. اوزارسيف هذا، هو بلا شك صورة كاريكاتورية لاخناتون، وفي نهاية قصة مانيتون، الذي ذكره المؤرخ اليهودي فلافيوس جوزيف، نجده يُعرّف على أنّه موسى. إن هذا التعريف، الذي يفيد ربما في تصريحات مضادة لليهودية، هو أصل الأسطورة المعروفة بدءًا من القرن التاسع عشر للميلاد بفضل شيلر وبالخصوص فرويد. بالنسبة لعلماء المصريات اليوم فإنهم لا يشكّون أبدًا في تاريخية اخناتون ولكن مماثلته بموسى أو أي تقارب آخر بين الشخصيتين يعتبر لديهم ضرب من الخيال.

### جون - لوي شليغل

من أجل التلخيص، إذا ما اعتمدنا على وجهة نظر الاركيولوجيا أو الحفريات والتي تسمح بالتأكّد من التاريخ التوراتي من خلال التاريخ العام، نستطيع القول إنّها لا تقدم شيئًا، أو أي شيء، قبل القرن التاسع أو الثامن.

### توماس رومر

إنّها تكتشف عناصر مهمة من الألفية الثانية، ولكنها لا تتوافق مع ما تعرضه التوراة! انه منذ القرن التاسع، في ظلّ حكم الاومرييد(الملك عمري وورثته في مملكة الشمال)فقط، نجد أنفسنا على أرضية مؤكّدة بالنسبة للتاريخ التوراتي. لقد سبق واقترحته: بالنسبة للمؤرّخ فان المؤسّس الحقيقي لإسرائيل ليس هو داوود أو سليمان، ولكن عمري. فقالباحثون من ذوي

النظـرة "التبسـيطية" يقولـون أنّـه إلى غايـة عمـري، كل شيء تـم "اختلاقُـه" فعـلًا؟ عندمـا نختلـق شيء مـا، فمـا هـي القاعـدة التـي ننطلـق منهـا؟ لا يوجـد بدايـة دون سـابق.

لقـد سـبق وذكرنـا "آثـار الذاكـرة" التـي تكلّـم عنهـا يـان اسـمان. سـوف أبّـين بدقـة فكرتـي مـن خـلال مثـال: قصة يوسـف في سـفر التكويـن هـي قصـة " مُختلقـة "، إنّهـا لا تـروي حدثًـا تاريخيًـا. وبالتـالي فهـي تُختلـق أو تُبنـى بالاعتمـاد عـلى معطيـات تاريخيـة يعرفهـا مـن أرسـلت إليهـم القصـة: المجاعـات المتكـررة في الـشرق والتـي تسـببت في حركـة للجماهـير باتّجـاه مـصر، أو لأنّ شـخصًا مـن الـشرق يسـتطيع أن يكـون الرجـل الثانـي بعـد ملـك مـصر. لقـد سـاعدت الاركيولوجيـا أيضًـا في تحويـل النظـر. مثـلًا، لقـد اكتشـفت مواقـع مهمـة، لـم تذكرهـا التـوراة أو نـادرًا مـا حـدث ذلـك. هـذا يثبـت أنّ حـوادث كثـيرة وقعـت لـم يشـأ كتبـة التـوراة أو لـم يسـتطيعوا سردهـا، لأسـباب متعـددة.

**جون - لوي شليغل**

هل من مثال واحد على ذلك؟

**توماس رومر**

نلاحـظ صمتهـم بخصـوص بعـض المعابـد. لقـد اكتشـفنا أثنـاء حفريـات للإنقـاذ- أنجـزت عنـد إعـادة تهيئـة الطريـق الرابـط بـين تـل أبيـب وأورشـليم – معبـدًا رائعًـا كان في الخدمـة بـين القـرن التاسـع والقـرن الثامـن: بنايـة مـن المحتمـل أنهـا ليهـوه، غـير مذكـورة في التـوراة لأنّـه موجـود في موتسـاMotsa، قريـب- ربمـا كثـيرًا...- مـن أورشـليم. لا نعـرف أسـباب هـذا الصمـت. نقـوم حاليًـا بحفريـات كريـات يعاريـمKiriat Jéarim، والتـي توجـد هي الأخـرى قريبـة جـدًا مـن أورشـليم( 12 كلـم شـمال غـرب). يقـال في التـوراة أنّ هـذا المـكان كان يحـوي تابـوت العهـد لمـدّة حـوالي

عشرين عامًا (1 الصموئيل 2-7،1). بينما، بيّنت حفرياتنا وجود جدار حول الأرضية التي توجد في أعلى الهضبة. هذا الجدار لا يمكن تفسيره إلّا من خلال النظرية التي مفادها أنّه قد يكون بُني من أجل إحاطة وحماية بناية مهمة، هي معبد ما. تم افتراض ما يلي: هذه الأماكن كانت معابد ليهوه منافسة لأورشليم. فجأة، بسبب وجهة نظر أورشليمية، فُرض الصمت حولها.

1.ليعقوب، ابن إسحاق، اثنتا عشر ولدًا، والذين أعطوا أسمائهم إلى قبائل إسرائيل: ستة من ليئة ( روبيل، شمعون، ليفي، يهوذا، يشجر، زبالون)، اثنان من خادمة ليئة المسماة زلفة (حاد واشر)، اثنان من رحيل (يوسف وبنيامين) واثنان من خادمة رحيل بلهة (دان ونفتالي). (سفر التكوين 30-29و35).

2. الاسم الثيوفوري هو اسم علم ويتضمن اسمًا لآلهة.

3. بلد الفلستيين الذي يذكر بدءًا من القرن الثاني عشر، يقع جنوب غرب أرض كنعان، إذن جنوب شرق أورشليم. على الشريط الساحلي الذي يتضمن اليوم قطاع غزة. الفلستيون غالبًا ما يعرّفون "كشعوب البحار". لا تعرّفهم التوراة كغزاة بل أقلّ من ذلك، تعرّفهم كمغيرين على أراضي جيرانهم أي في مملكة يهوذا وإسرائيل. من مفردة فلستين جاءت كلمة فلسطين.

4. كنعان اسم غير واضح بالنسبة للمشرق، سبق ذكره في وثائق مصرية. حسب يوشع 6، يصل اليهود إلى أرض الميعاد بعد عبور نهر الأردن،

وأول مدينـة يحتلونهـا هـي أريحـا، بفضـل ليتورجيـا حربيـة تهـدم جـدران المدينـة. لـم تثبـت الحفريـات أقـل دليـل عـلى انهيـار جـدار هـذه المدينـة في الألفيـة الثانيـة.

5. انظر الخريطة.

* تقبيلهـا هـي تعريـب للكلمـة الفرنسـية tribaliser ويقصـد بهـا ان قبائـل بعينهـا اقتبسـت اسـماء لهـا عـن مناطـق جغرافيـة.

# كتابة التوراة

## الكتابة في إسرائيل القديمة

### جون - لوي شليغل

الكتابـة، كمـا سـنرى ذلـك بـلا شـك، لـم تكـن موجـودة في مكـة. عكـس ذلـك، فـإن "المكتبـة " التوراتيـة اسـتطاعت التشـكّل بـدءًا مـن القـرن الثامـن لأنّ الكتابـة كانـت ممارسـة مـن قبـل الكتبـة، مـن المحتمـل أنهـم كانـوا في خدمـة السـلطة الملكيـة (إذن هـم عـلى مسـافة مـن البـلاط) والسـلطة الدينيـة (إذن هـم موظفـون في المعبـد). مـاذا في وسـعكم قولـه في هـذا الشـأن؟ كيـف اسـتطاعت الكتابـة أن تفـرض نفسـها لتخلـق هـذا الصـرح والـذي هـو التـوراة؟

### توماس رومر

هنـاك نقـاش كبـير حـول بدايـات الكتابـة في إسرائيـل القديمـة. إذا تتبعنـا، اليـوم، أعمـال بنيامـين سـاس Benjamin Sass، مـن جامعـة تـل أبيـب، في وسـعنا القـول أنـه وجـد نوعًا مـن القـدرة على الكتابـة بـدءًا مـن الجـزء الثانـي مـن القـرن التاسـع(800-850). ولكـن مـا يسـميه الانجليـز بمحـو الأميـة، أي القـدرة عـلى القـراءة والكتابـة المنتـشرة نسـبيًا، تبقـى بالتأكيـد ضعيفـة 5: إلى 10% مـن السـكان كانـوا إذن معنيـين، لا أكثـر. لكـن هـذه التقديـرات هـي

صعبة التحديد، لأنّه ليس لدينا إلا القليل من المعطيات حول تعليم الشباب في هذه الحقبة.

**جاكلين الشابيّ**

هل كانت الكتابة بحروف ساكنة؟ هل وجدت حروف متحركة؟

**توماس رومر**

كانت كتابة بحروف ساكنة، ولكنها تسمح بتمييز، في بعض الحالات، الحروف المتحركة بواسطة حروف تسمى أم القراءة. هذا النظام موجود أيضًا على نصب ميشا، المؤرخ في 850-810. وهكذا فإنّ "وافwav"، وهيhé، ويودyod، قد تُعبّر على التوالي على الأصوات "آوo" و " أووou "،" أa"أو "أوo"،أو أيضًا " إيi".

**جون - لوي شليغل**

ماذا نسمي هذه اللغة:هل هي " العبرية القديمة "؟

**توماس رومر**

التوراتيون يتكلمون عن " أبجدية عبرية قديمة " أو " كتابة فينيقية ". فالحروف هي بذلك فينيقية؛ والتي ستُعتمد لاحقا ويتبناها الإغريق.

فالشهادة الأقدم لحروف ساكنة، تأتينا من اوغاريت (حوالي 1400 قبل التقويم الميلادي). يوجد بعض العلامات أكثر قدما تم اكتشافها في شبه جزيرة سيناء، وهو ما أدى ببعض الابيغرافيين Epigraphes* إلى افتراض وجود كتابة أو حروف كنعانية أولية/بدائية قديمة. في كتابات سيناء هذه بعض الحروف يمكن التعرف عليها لأنها قريبة جدًا من الفينيقية أو من العبرية القديمة، ولكننا لم نتمكن بعد من فك كل

تشفيراتها. قبل الكتابة العبرية كما تسمى، والتي هي كتابة آرامية، كان لدينا إذن العبرية القديمة أو الفينيقية. فالكتابة على نصب ميشا، بالرغم من كونها بلغة مؤابية، فهي مكتوبة وفق هذه الكتابة العبرية القديمة.

**جاكلين الشابيّ**

ولكنه نص قصير نسبيًّا؟

**توماس رومر**

نعم صحيح، ولكنه الأطول بالنسبة لكل النصب أو كتابات الشرق: في الأصل، كان يحتوي على خمسة وثلاثين سطرا! فالأسطر الثلاث الأخيرة ضاعت للأسف، ولكن المجموع يمكن فهمه بشكل جيّد. إنّه نصب للنصر حيث ملك المؤاب، ميشا، يفتخر، أنّه بفضل إلهه كيموش، استطاع أن ينهي الاحتلال الإسرائيلي لشرق الأردن. عمري، ملك إسرائيل، مكتوب أيضًا . نفس الحدث يُروى في التوراة (2الملوك3)، ولكن وفق منظور مختلف جدًّا. فالنوع الأدبي للنصب هو كتابة ملكية. هذا النوع من الكتابة كان يوجد بلا شك في القصر والمعبد على السواء، لأنّ هذا النوع من الكتابة، كما هو في كل مكان في الشرق الأوسط القديم أو مصر، يُفيد في التعريف وفي شرعنة السلطة الملكية.

**جون – لوي شليغل**

لقد تحدّثتم في مناسبات عديدة عن النصب. ولكن بمعزل عن النصب، أين يمكننا أن نجد الكتابة؟

**توماس رومر**

لدينا أيضًا الشقفات، شظايا السيراميك التي يُعاد استعمالها لكتابة النصوص الظرفية. وهكذا، في لخيش، المدينة الثانية في مملكة يهوذا، في الجنوب الغربي من أورشليم، المحاصرة من

طـرف الآشـوريين في نهايـة القـرن الثامـن، وجدنـا شـقفات تقـول "يجـب أن تُرسـلوا إلى نجدتنـا لأنّ الآشـوريين قادمـون، وستسـقط المدينـة". بعـض الدراسـات المعـاصرة لهـذه الكتابـات سـمحت بالتعـرّف عـلى وجـود عـشرات الأيـدي المختلفـة. هـذا يعنـي بـين أفـراد الجيـش، يوجـد عـدد معتـبر مـن النـاس يعرفـون الكتابـة، يعرفـون عـلى الأقـل الأشـياء السـهلة كطلـب النجـدة. وبالنتيجـة، يعرفـون أيضًـا القـراءة. يتعلّـق الأمـر بحـروف قصـيرة وليسـت ببنيـات أدبيـة.

في وسـعنا طبعـا أن نتسـاءل: متـى جاءتنـا الفكـرة أو الرغبـة لكتابـة تاريـخ الآبـاء، أو تاريـخ الخـروج؟ في الواقـع، كمـا سـبق وقلـت، إنّ الآبـاء الذيـن يتكلّـم عنهـم سـفر التكويـن، وبالخصـوص إبراهيـم، جـاءوا في روايـات متأخّـرة. إنّ أول سـلوك لإبراهيـم، تمـت كتابتـه مـن المحتمـل في حـدود القـرن السـادس؛ أمـا بالنسـبة ليعقـوب، فـإنّ الروايـة الأولى قـد تكـون كُتبـت في مملكـة الشـمال، ربمـا في معبـد بيـت أيـل، في القـرن الثامـن. إنّـه مـن الصعـب أن نُحّـدد بدقـة روايـة سـفر الخـروج. هنـا أيضًـا نعـرف أنّـه تـم تداولـه في الشـمال، ولكـن مـن الصعـب إعـادة بنـاء الروايـة المكتوبة في هـذه الحقبـة.

السـؤال الكبـير الآخـر يبقـى لغـزا: إلى مـن كُتبـت هـذه النصـوص، ومـا الهـدف؟ هـل فقـط لأجـل الاحتفـاظ بالتاريـخ المـاضي كمـا تـمّ تداولـه شـفاهيًا؟

**جون - لوي شليغل**

ألا نكتشـف فيـه أدلـة عـلى "روايـة وطنيـة "، حتـى نسـتعمل العبـارة المسـتعملة بخصـوص تاريـخ فرنسـا (عندمـا تبـدأ بسـرد قصـة فرسـينجيتوريكس Vercingétorix، مثـلًا)؟ بالنسـبة لتاريـخ يعقـوب، يبـدو لي ذلـك بديهيًـا في وقـت جعلنـا مـن يعقـوب إسرائيل، وبالتـالي تحويـل أب إلى "بطـل وطنـي" لمملكـة إسرائيـل.

## كتابة التوراة

**جون - لوي شليغل**

نعـرف بالرغـم مـن كل شيء بعـض الأشـياء الصغـيرة عـن الخُطـا|ط أو الكتبـة، والذيـن عملـوا عـلى الكتابـة أو الذيـن وضعـوا بشـكل نهائـي كتبًـا توراتيـة بـين القـرن التاسـع والقـرن الخامـس (أو الرابـع والثالـث) قبـل التقويـم الميـلادي؟

**توماس رومر**

إذا كنـا نعـرف أسـماءهم، سـنكون قـد حقّقنـا تقدمًـا! ولكـن الأدبيـات التوراتيـة، وبالخصـوص التـوراة العبرانيـة، هـي أدب مجهـول الهويـة: لا وجـود لإمضـاء، الأمـر ليـس كمـا هـو عنـد الإغريـق، أيـن نعـرف أسـماء المؤرّخـين، مثـل هـيرودوت أو ثوقيديـدس. أن نتحـدّث عـن كتـاب هنـا هـو في حـد ذاتـه تحيّـز. هـل يجـب الحديـث عـن " جامعـين " أو عـن " محرّريـن "؟ كل مـا يمكـن قولـه، هـو أن الكتابـات التـي سـتصبح كتابـات توراتيـة هـي قبـل كلّ شيء عمـل أنجـزه، عـلى الأقـل بالنسـبة للعـدد الأكـبر منهـا، مجموعـة صغـيرة مـن الكتبـة والرهبـان (الذيـن يعرفـون أيضًـا الكتابـة والقـراءة).

**جون - لوي شليغل**

عندمـا أقـول: "كل الذيـن قامـوا بكتابـة الكتـب"، أفهـم منـه حتمًـا كلّ هـذا، أي كلّ هـذه الأدوار (الكتـاب، الجامعـين، المحرريـن).

**توماس رومر**

إذن كل الذيـن وضعـوا الأشـياء كتابيًـا. أوّل شيء للتذكـير: لـم يوجـد لدينـا أبـدًا "أنـا" الكاتـب الـذي يتكلّـم بصفـة شـخصية، فقـط ربمـا في سـفر الجامعـة Qohélet، هـذا النـص الـذي يعـود للمرحلـة الهلنسـتية أي مـن القـرن الثالـث أو القـرن الثانـي، والـذي

يقترح نوعًا من التفكير الفلسفي. نجده يُلحّ في عدة مناسبات على أنّ الإنسان لا يستطيع معرفة غايات الله.

إنّها رؤية مختلفة بالمقارنة مع ما لدينا في مجمل الكتب الذي يغطّي سفر التثنية، يوشع، القضاة، الصموئيل، والملوك. وفق القصة المذكورة هنا، والتي تبدأ من موسى وإلى غاية تدمير أورشليم والنفي البابلي، فإنّ يهوه غضب من شعبه وأرسل إليهم البابليين، الذين اقتادوهم إلى الأسر والمنفى (2 الملوك 25-24). فالمختصّون في السردية يتكلّمون في هذا الموضوع عن " رواة علماء": رواة هذه الكتب يعرفون ما يفعله الله، ففي وسعهم تفسير كل شيء.

الرواة المسؤولون عن هذه اللوحة التاريخية لم يتركوا لنا أسماءهم، حتى بالنسبة لسفر الجامعة، الذي يُقدم كاسم لصاحب الكتاب، هو ليس اسم علم؛ يبدو بالعكس أنّه يشير إلى وظيفة. ماعدا بالنسبة لهذا الأخير ربما، فالكتب التوراتية لم تكتب أبدًا دفعة واحدة. نحن أمام مسار للكتابة والمراجعة، معروف في الشرق الأوسط القديم (نراه بالخصوص في ملحمة جلجامش). إنّ نقل مكتوب، هو أيضًا يعني دائمًا تغييّره حسب الظروف؛ قد نضيف فقرات جديدة، وقد ننسى أيضًا بعض الأشياء. ملحمة جلجامش تُقدّم لنا الأدلة المادية، إذ أنّ الألواح الأكثر قدمًا تختلف كثيرًا على الرواية القياسية والتي تطوّرت خلال الألفية الأولى قبل الحقبة المسيحية. إنّه مسار دائم للكتابة. فقط، مرة أخرى، بالنسبة لسفر الجامعة (أو ربما سفر راعوث)، لا يوجد أيّ نص غيرهما في التوراة كتبه شخص واحد.

**جاكلين الشابّي**

ولكن الذين كتبوا- دعونا نتوخى الحذر بشأن هذا المصطلح - الكتب التوراتية، هل أعادوا إنتاج تقاليد شفاهية أو

أنها كانت مكتوبة مسبقًا، والتي كانت متداولة بين مجموعات حول المعبد والبلاط الملكي؟

**توماس رومر**

على الأقل بالنسبة للسرديات في الأسفار الخمس لموسى، أغلب التقاليد السردية هي في الأصل شفاهية، هذا مؤكد تقريبًا. ولكن هنا أيضًا يجب التخلّص من وهم النقل الوفي للنصوص التي ولدت من التقاليد الشفاهية. عندما كنت طالبًا، كان يُقال لنا أنّه حتى وإن كانت الكتابة الأولى قد حدثت في القرن التاسع، فان التقليد الشفاهي سينقلنا بطريقة مؤكّدة إلى غاية القرن الثالث عشر. إلّا أن علماء الاناسة قاموا بعدة تحقيقات تحتوي على نماذج ناطقة جدًّا تحتوي العكس: التقاليد الشفاهية تتغير باستمرار. في صربيا مثلًا، يعود علماء الاناسة كل خمس سنوات إلى نفس الشعراء ليسمعوا منهم- لست أدرى أي ملحمة عشائرية، والشعراء أنفسهم يتساءلون لماذا يعود إليهم دائمًا هؤلاء الأشخاص لسماع قصصهم. لم يكن لديهم أدنى وعي بأنهم لا يروون بالضبط نفس القصة عند كل زيارة. حتى عندما نبدأ بكتابة الروايات الشفهية، فالفكرة بأنّنا ينبغي ألا نُغيّر وأن ننقل بأمانة لا نستحضرها ذهنيا بدقة. في قمران مثلا، عثرنا على عدد متنوّع من الروايات لنفس المخطوطات التوراتية. أن ننقل، يعني أيضًا أن نغيّر، نحيّن، نحذف، أحيانًا وبكل بساطة لأنّ المحتوى لا يعجب أو لا يتلاءم. في التوراة، مسار إعادة الكتابة قد يكون أخذ وقتا طويلًا، وشمل مجمل النصوص. إنّ تاريخ إصلاح الملك يوشيا، مثلًا كُتب لأوّل مرّة في القرن السابع، ولكن تمّ تحويله في عدّة مرّات بعد تدمير المعبد.

ولكن من أجل العودة إلى سؤال " المؤلّفين " للنصوص التوراتية، فإنّه يفسح المجال لتخمين مثير للاهتمام. فقصة

إصلاحات يوشيا(في 2ملوك 23-22)يتمّ فيها عرض مشهد راهب وكاتب، بالإضافة إلى عائلاتهم. إذا استنبطنا بعض الشيء، نستطيع القول بأنّ حلقيا الراهب، وشافان الكاتب (موظف من رتبة عالية بلا شك)، قد يُمثّلان قادة لمجموعتين، الأولى للرهبان والثانية لكتبة البلاط. فمن الممكن أنهما قاما بنظم هذا النص لأجل شرعنة إصلاحات يوشيا، وكذلك بالإضافة إلى نصوص أخرى بالخصوص الرواية الأولى لكتاب سفر التثنية.

إن هذه الفرضية تعتمد بالتأكيد على التخمين. على الجانب الأخر، حتى وإن قلنا إنّ العلوم الإنسانية تبقى تخمينية، يجب ألا نتخلى عن تتبع مسار تكوين الكتابات التوراتية التي تمثّل طبقات. إنّها إجراءات مشابهة لمسار الاركيولوجيا. نبدأ بالطبقات الأخيرة؛ نلاحظ توترات، وتناقضات، وتغيّرات في الأسلوب تسمح بالتعرّف على الإضافات الأخيرة من أجل الوصول إلى الطبقة الموالية، وهكذا هلم جرا. يجب بعد ذلك، بفضل مقارنات مع نصوص توراتية أخرى ومع وثائق ونصوص من خارج التوراة، محاولة وضع مختلف الطبقات هذه في إطارها التاريخي على التوالي.

يوجد احتمال أنّ أوّل محاولات الكتابة لبعض النصوص بدأت في مملكة الشمال، في حدود القرن الثامن. ولكن هذا يبقى غير مؤكّد، بالرغم من كونه معقول. تتضح الأمور أكثر مع القرن السابع، عندما يُعاد إنتاج كل التقاليد وفق منظور الجنوب، مملكة يهوذا. من المؤكّد أنّه لدينا طبقة جديدة من الكتابة خلال المنفى في بابل، بدءًا من سنة 587، أو مع بداية الحقبة الفارسية في القرن السادس، ثم تدقيقًا لغويًّا إلى غاية الحقبة الهلنستية، في القرنين الرابع والثالث. على نقيض بعض ممثّلي القراءات المسماة " تزامنيّة 1"، يبدو لي أننا مزوّدون بما يكفي من الأدوات من أجل تقفّي مختلف هذه المراحل التي تتعلّق

بكتابة النصوص التوراتية.

**جون - لوي شليغل**

جل العلماء مثلكم يعتقدون أنّ الوسطين اللذين كتبا النصوص هما اللذان ذكرتهما: كهنة وكتبة الديوان الملكي؟

**توماس رومر**

نعم، إنهما المجموعتان الرئيسيتان. في الحقب الأكثر حداثة، قد يكون هناك آخرون، بعض الأشخاص الذين ربّما يمتلكون مدرسة خاصة، كالكوهيليث. لماذا هم؟ لأنّه، مثلما في مصر وبلاد الرافدين، فهاتين المجموعتين هي الأكثر انجذابًا حول السلطة. هم ليسوا بالضرورة كثيرو العدد، ولكنّهم يراقبون الاقتصاد والسلطة السياسية. فالدين، الاقتصاد والسياسية يسيرون جنبًا إلى جنب. هذه الفئات قد تتنافس فيما بينها أو تتحد، مثلما هو اليوم. يمكننا ملاحظة ذلك في التوراة بفضل النصوص أين الكهان والكتبة متّحدان ضد الأنبياء. ولكن هناك أيضًا الأنبياء القريبون من السلطة السياسية أو الكهنوتية.

**جاكلين الشابّي**

ولكننا، لا نعلم ماذا سيتنبأ الأنبياء، بحكم التعريف هم" خارج السيطرة "!

**توماس رومر**

بالضبط، على الأقل بالنسبة للبعض منهم. في الواقع، عندما ندرس التوراة وأسفار موسى الخمس، نلاحظ أنّه لا يوجد تقريبًا أقوال للأنبياء، ماعدا تلك التي لموسى، والذي هو بدوره يتمّ تقديمه كنبي. فالخطاب الغيبي- وصف آخر الزمان، وماذا سيحدث في نهاية الأزمنة- يكاد يكون غائبًا في الأسفار الخمس لموسى: فالفكرة أنّ كلّ شيء سيكون جميلًا غالبًا، عكس، مثلًا، الوعود في أشعيا الثاني2.

**جاكلين الشابّي**

فأقوال الأنبياء تأتي عندما تكون الوضعية حرجة أو ميئوس منها .

**توماس رومر**

في الواقع، بعد العودة من المنفى في بابل، أي في بداية الحقبة الفارسية، فإنّ الكهان والكتبة المتّحدون راضون جدًّا بسبب سيطرة الاخمينيين. إنّ قورش Cyrus، ملك الفرس، الذي يضع حدًّا للإمبراطورية البابلية في 539، لا يُقدّم كعاهل لصالح اليهود فحسب، ولكن كمسيح ليهوه، أرسل لأجل تحريرهم. فالكهان والكتبة لا يريدون البتة لنبوة ما أن تعلن عودة داوود، فالاستقلال السياسي أو أي وضعية أخرى لا تلبي رغباتهم. ولهذا من المحتمل أنهم قاموا باستبعاد عناصر من الأسفار الخمس لموسى تتصف بنزعة أخروية أكثر وضوحا، والتي قد تثير استياء الملوك الفرس.

يجب قول هذا الأمر وتأكيده: التوراة العبرانية تختلف في هذه النقطة عن التوراة اليونانية (التي تحتوي كتبًا كتبت بالإغريقية في القرنين الثاني والأول قبل التقويم الميلادي3). بالنسبة لها، فالتأريخ فيها يتوقف مع قصص أو نصوص نبوية تذكر ملوكًا فرس،ب الرغم من أننا نجد نصوصًا تمت مراجعتها أو كتابتها في الحقبة الهلنستية، أكثر تأخرًا. في التوراة " اليونانية " نستطيع قراءة قصة المكابيون، ثورة اليهود ضد الإغريق ثم الرومان، والتي تقع في القرن الثاني قبل التقويم الميلادي. ولكن، هذه القصة لا توجد في التوراة اليهودية. لدينا إذن انطباع، بأنه بالنسبة لها، أو بالنسبة لمن كتبوها، فالتاريخ يتوقّف مع الفرس الطيبين، ربما مثل فوكوياما الذي اعتقد في 1989م أن نهاية الستار الحديدي تعني نهاية التاريخ، وأنّ كل شيء سيصبح على ما يرام من الآن فصاعدًا. في التوراة اليهودية،

الكلمة الأخيرة تمنح في الواقع لملك الفرس، والذي يعلن: " كلّفني يهوه بنفسه أن ابني له بيتًا في أورشليم، التي هي في يهوذا. فمن منكم يأتي بكل شعبه؟ ليكن إلهه يهوه معه وليصعد... " (2الصحاح 36،23). هذه المقولة هي في الأصل عليا Alia، الصعود إلى أورشليم... وكأنّ الفرس يمثّلون إنجاز الأزمنة.

## لماذا نكتب التوراة؟

### جون - لوي شليغل

لنطرح السؤال بصيغة أخرى: لماذا يظهر، في حدود القرنين التاسع والثامن، هذه الحاجة إلى كتابة كل هذه الكتب المهمة، "هذا النوع من " القصة البطولية "، والتي تشكّل بالرغم من كل انقطاعاتها وكل منعطفاتها، أسفار موسى الخمس؟ هل هي مرتبطة بمولد الدولة، مملكة إسرائيل؟

### توماس رومر

نعم، عند مولد الملكية والتي تنتظم، ولديها ديوان وتشعر بالحاجة إلى التباهي. في كل مكان، كل ما كان هناك وجود لنظام ملكي، نجد " حوليات " تسجّل الانجازات الكبرى للحاكم: نؤرّخ للسنوات حسب أسماء الملوك، الأحداث وقعت في ظل هذا أو ذاك الحكم. في البداية، لم يكن هذا الإنتاج إيديولوجي بالضرورة: تتمنى الملكية بكل بساطة التزوّد بنوع من الذاكرة المستدامة، أي المكتوبة. من المحتمل أنه في الأصل قام كهان من جهتهم بكتابة تنظيم الأضاحي على لفائف صغيرة، ولكن ربّما أيضًا تعليمات أخرى كالتمييز بين الطاهر والمدنس لصالح التلاميذ الكهان. إنها نوع من الدليل الإرشادي vade-mecum ، وليست بالضرورة أدبيات كبرى.

في ظل حكم يربعام الثاني، في القرن الثامن، نلاحظ من جديد غيابًا للإمبراطوريات (آشور لا تتدخل إلّا بشكل متقطع في

الـشرق). ويسـتفيد الملـك مـن هـذا لتوسـيع لمملكتـه. يحـاول إذن أن يكتسـب الشرعيـة. وهكـذا يُغّـير اسـم الجـد يعقـوب إلى " إسرائيـل "، كمـا يمكننـا أن نـراه في قصـة المعركـة ليعقـوب (سـفر التكويـن 32). يعقـوب اسـم عشـيرة، إنّهـم بنـي يعقـوب، "أبنـاء يعقـوب". لمـاذا نغـيّر اسـمه؟ في الاصحـاح32 مـن سـفر التكويـن تُـروى هـذه القصـة الشـهيرة: يقـاوم يعقـوب ليلـة كاملـة حتـى الصبـاح ضـد شـخص مجهـول، والـذي سـيتضح أنّـه كائـن إلهـي- وليـس مـلاكًا كمـا فُهـم ذلـك لاحقًـا. في سـياق النـص، السـؤال لا يتعلـق بـ" مـلاك ".فالكاتـب أو الكتـاب يسـتخدمون في الواقـع اللعـب على كلمـات فعـل مـا لأجـل تمريـر تأثيل"خاطـئ" ولكنهـا لاهوتيـة: قـاوم " يعقـوب مـع الإلـه". وبـدءًا مـن هنـا نقـوم بتغيـير اسـمه إلى إسرائيـل، مـن المحتمـل أنّـه مـن أجـل أن نجعـل منـه بطـلًا وطنيًـا- والـذي لـن يكـون بالنسـبة لمملكـة إسرائيـل إذا بقـي اسـمه يعقـوب. نسـجّل عـلى الجانـب الآخـر أنّ إبراهيـم لـم يُغـيّر حالتـه، لـن يصبـح شـخصية "وطنيـة " في أيّ مـكان. يبقـى في يهـوذا، في الخليـل، أيـن تعيـش الكثـير مـن القبائـل العربيـة، بالخصـوص الشـهيرة بـ" الاسـماعيليين"، والذيـن يـتردّدون جميعهـم بـلا شـك عـلى نفـس المعبـد الموجـود في الخليـل. فجـأة، نجعـل مـن إبراهيـم أيضًـا أبًـا لإسـماعيل. لـم يذهـب إبراهيـم أبدًا إلى أورشـليم (الإشـارة الوحيـدة حـول أورشـليم موجـودة في سـفر التكويـن الإصحـاح 14، نـص حديـث، والتـي فحواهـا لقـاء بـين إبراهيـم وملكيصـادق Mélkisédeq، الملـك الكاهـن لشـاليم).

مـن أجـل العـودة إلى سـؤالكم: لدينـا أولًا حوليـات، ثـم نحـاول كتابـة قصـص تمنـح الشرعيـة للمؤسّسـين، الأجـداد، نسـترد تقاليـد شـفاهية ونقـوم بكتابتهـا، بالخصـوص لأجـل شرعنـة هـذا المعبد أو ذاك، مثـل الـذي في بيـت آيـل، والـذي يُقـال أنّـه مـن صنـع يعقـوب (سـفر التكويـن 22-28،10). مـن المحتمـل أنّ الكتابـة تفيـد في

شرعنة استرداد " يهوه " للمعابد المكرسة للإله آل، مثلما في بيت أيل وبينوال(والتي تعني على التوالي " بيت آل " و" وجه آل").

**جون - لوي شليغل**

إذا عدنا بطريقة دقيقة إلى الكتب التاريخية (تلك التي للصموئيل، الملوك، أو سفر أخبار الأيام)، قد يأتينا انطباع بوجود غاية أخرى من كتابة الحوليات: تبدي هذه الكتب في الغالب قسوة نسبية، أو كبيرة، تجاه العديد من الملوك.

**توماس رومر**

نعم، تصبح القصص قاسية تجاه الملوك... بالخصوص عندما تصبح المملكة غير موجودة. يمكننا تمييز وجود مرحلتين. إنّ إعادة قراءة وإعادة كتابة القصص للتعبير عن مجد الملوك تبدأ بتقديم صورة سلبية عن ملوك الشمال بعد 722، فعندما تمّت إبادة مملكة الشمال، إسرائيل، من طرف الآشوريين وأدمجت في التنظيم الآشوري للأقاليم. فانّ يهوذا مملكة الجنوب "ترث" إذن، حوليات الشمال، كما سبق وقلنا. فالكتبة اليهود يقومون إذن ببناء "تاريخ مقارن" لملوك إسرائيل وملوك يهوذا. ولكن مع هذه العملية، فكلّ ملوك الشمال ينظر إليهم كملوك مرعبين، والذين لم يحْترموا معبد يهوه في أورشليم وقاموا ببناء معابد في أماكن أخرى وعبدوا يهوه في صورة عجل. فهم يُوصفون بصفتهم حكامًا منبوذين، بينما بالنسبة لملوك الجنوب فإنّه لم يتمّ بعد انتقادهم بشكل عام.

ولكن بدءًا من 587، عندما تمّ تدمير هيكل أورشليم هو الأخر ونفيت الأسرة الملكية في الجنوب إلى بابل، فإننا نُعيد مراجعة هذه النصوص ونُقرر تجنب بعض الملوك، مثل حزقيا،

يوشـيا و...داوود. هـذا الأخـير لـم يتـم تجنبـه إلا جزئيًّـا: فقصّـة حكمـه تتضمّـن نصوصًـا ايجابيـة جـدًّا، ولكـن ليسـت كلهـا، بعيـدًا عـلى ذلـك. يُمـدح جيّـدا حزقيـا ويوشـيا، لأنهمـا عـلى مـا يبـدو شـجّعا الميـول المركزيـة. حزقيـا محـترم، لأنّـه في ظـل حكمـه توقّـف الأشـوريون عـن محـاصرة أورشـليم سـنة 701. لكـن، مـن الناحيـة التاريخيـة فقـد قـاد هـذا الملـك سياسـة انتحاريـة أدّت إلى تدمـير لاخيـش ونجـم عنهـا تبعيـة ثقيلة(وهـو مـا يضطـر إلى إقـراره كتبـة سـفر الملـوك).

بعـض الملـوك يُحاكمـون بقسـوة، حتـى سـليمان، بالرغـم مـن كونـه هـو مـن شـيّد هيـكل أورشـليم. عندمـا نفكـر في سـقوط الأسرة الملكيـة في يهـوذا، فإنّنـا نرمـي بالذنـب عليـه، ونحمّلـه تبعـات فصـل ممالـك الشـمال عـن ممالـك الجنـوب. في الحقيقـة، هـذه القسـوة لا تكلـف غاليًـا أصحابهـا، لأنّهـا تأتـي في وقـت لا يسـتطيع فيـه الملـوك التدخـل، فالملكيـة سـقطت...

**جون - لوي شليغل**

ولكـن وفـق أي مخطّـط أو بالرجـوع إلى أيّ حجـة يقـوم هـذا الاسـتنكار؟

**توماس رومر**

نفـسّر خسـارة مـا مـن خـلال أفعـال مسـتهجنة قـام بهـا هـذا أو ذاك الملـك "السـيئ" في نظـر يهـوه، أو مـن خـلال إسـقاط اللـوم عـلى هـؤلاء الملـوك لعـدم احترامهـم قوانـين يهـوه. لأنـه في الإيديولوجيـة الملكيـة في الـشرق الأوسـط القديـم، الملـك هـو بشـكل مـا ممثـل لشـعبه وهـو وسـيط بـين الشـعب والآلهـة، وقـد يصبـح كبـش فـداء بامتيـاز. بسـخرية، كبـش الفـداء الـذي حمّلـوه وزر الكثـير مـن الأخطـاء هـو ملـك يسـمى مانيسـا بـن يوسـف Manassé، يعتـبر مـن أذكـى مـن عرفـت يهـوذا. حكـم

لمدّة خمسين عامًا، حقبة لم تحدث فيها أي حرب؛ كان يدفع ضرائبه لآشور، وكان الشعب مرتاحًا. ولكنه، بالنسبة لكتبة التوراة، هو الأسوأ بينهم جميعا: إنهم يلبسونه كلّ الشرور. ولكن الاتهامات تجاهه هي من نوع النمطية الزائدة. الكثير من الاركيولوجيين اليوم يعتقدون بأنّ كل الانجازات العظيمة التي تنسبها التوراة إلى حزقيا هي في الحقيقة أنجزت في ظل حكم مانيسا بن يوسف. فنحن ننسب كل الأشياء الجميلة للملك الذي نحب، بينما سياسيًّا كانت أفعال حزقيا كارثية، كما سبق وقلنا. هذا الملك الذي يُمجّده بإعجاب كتبة التوراة كان في الحقيقة واحدًا من الذين هم الأسوء. إلى درجة أنّه يجب قلب الترتيب في التوراة: الملوك الذين يُوصفون بالسيئين هم بشكل عام من استطاعوا التصرّف بشكل جيد سياسيًّا!

## التوراة، انتقاء لروايات

**جون - لوي شليغل**

أتحتفظ التوراة بكل القصص الموجودة في إسرائيل ويهوذا؟

**توماس رومر**

لا، بل نعرف قصصًا شعبية لم يتم إدماجها في التوراة. يمكننا مثلًا ذكر" رواية احيقار"، الحكيم والذي مصيره يجعلنا نستحضر جزئيًّا مصير يوسف. لدينا الكثير من الروايات عنه. في جزيرة إلفنتين المصرية، اكتشفنا إحداها: فهو يُمثّل كقائد عسكري آشوري يتبنى ولدًا، ولكن هذا التبني لا يسير على ما يرام. تتضمن هذه القصة مجموعة من الأمثال والنصائح من نوع الحكمة. ورد ذكر احيقار في سفر طوبيا، وأيضًا في نصوص هلنستية وإغريقية، وهو ما يدل على أنّه كان شخصية أدبية معروفة جدًّا.

يوجد أيضًا تقاليد حول موسى لم يتم دمجها في التوراة.

في الإصحاح 12 من سفر العدد، يتم التأكيد، في آية واحدة (12، 1)، على أنّ موسى تزوج امرأة ثانية، كوشية. بينما يذكر رواة القرن الثالث أو الثاني أنواع مختلفة من القصص حول هذا الموضوع، من خلال صناعة مشهد يمثّل موسى وهو يقوم بحروب في النوبة ويتزوج أميرة. بالنسبة لبعض التوراتيين، هذه القصص هي من اختصاص المدراش، قصص مُتخيّلة حول هذه الآية الوحيدة من سفر العدد. ولكن في وسعنا أيضًا التساؤل، وهو الحال بالنسبة إليّ، إذا كانت هذه الآية هي ليست بالأحرى دليل على قصة شائعة وجدت في الحقبة الفارسية، والتي ليس لدينا أي رغبة لأسباب مختلفة، لإعادة إنتاج المحتوى في الرواية المكتوبة، والتي ستصبح في الجزء الثاني من الحقبة الفارسية، نوع من الرواية " الرسمية ".

التوراة ليست شاملة: إنها تُمثل انتقاء لروايات وبعض النصوص الأخرى. ماذا تركنا جانبًا؟ سنكون سعداء لمعرفته، ولكن هذا النقص لم يتمّ تداوله، مع بعض الاستثناءات طبعًا كالتي تكلّمنا عنها. نحن نعرف أنّ هذه النصوص كانت موجودة، لأنّه لدينا مخطوطات، كما في حالة احيقار أو إدريس، أو إشارات إلى تقاليد موسى "المحظورة" من طرف رواة يهود، مثل فلافيوس جوزيف (37/38/100)، أو مسيحيين مثل يوسابيوس القيصري (حوالي 339-265).

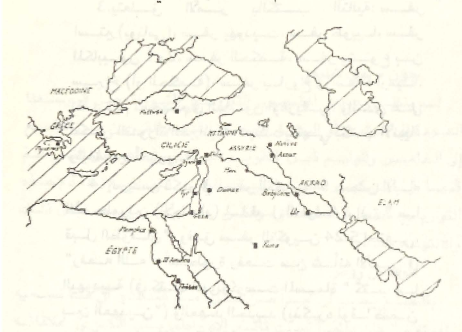
**جون - لوي شليغل**

وهل لديكم مثال آخر؟

**توماس رومر**

نعم، لنعد إلى التقليد المتعلق بإدريس4،والغائب في التوراة. فالمخطوطات المحفوظة هي إثيوبية وحديثة نسبيا، ولكن إدريس مذكور في نصوص قمران5. كان موجودًا على ما يبدو

في اليهودية نوع من الإعجاب بهذه الشخصية. بعضهم يعتقد أيضًا أنّه كان منافسًا لشخصية موسى. هل من أجل هذا السبب قمنا باختزاله إلى أقلّ ما يمكن وأنّ "تقاليد إدريس"، المزدهرة جدًّا على خلاف ذلك، تم حجبها؟ فيما بعد، في القرن الثاني من التقويم الميلادي، ما نسميه "القانون"، التجميع لكل هذه النصوص، لم ينجز بحافز جمع كل شيء. لقد جمعنا أشياء متناقضة، ولكننا لم نحتفظ بكل شيء.




**Le Proche-Orient ancien**

## الشرق الأوسط القديم

1 .تقترح القراءات المسمّاة "تزامنية" قراءة النص في "صيغته النهائية"، دون الأخذ في الاعتبار طبقاته والأسئلة التعاقبية. إنّها منهج يتجنب البعد التاريخي للنصوص.

2.كتاب النبي اشعيا Esaïe، الأول في قائمة الأنبياء التوراتيين، حرّر في حقب متباينة، ومنه صار لدينا "الأول"، "الثاني"، واشعيا "الثالث".

3.يتعلق الأمر بالكتب التالية: سفر استير (يوناني)، سفر يهوديت، سفر طوبيا، سفر المكابيون 1 و2، سفر الحكمة، سفر يشوع بن سيراخ (أو الحكمة)، سفر باروخ ورسالة ارميا. لقد تمّ دمجهم في القانون الإغريقي، والذي على عكس التوراة العبرانية، نجده ينتهي بكتب الأنبياء وتباشير أخروية.

4. إدريس ذكر في سفر التكوين 5 ضمن الآباء الأسطوريين (الأجداد) لما قبل الطوفان، إذن " ما قبل الطوفان". وفق سفر التكوين 5،24 اختفى، "رفعه الله"، أسطورة رفعت من شأنه الأدبي في اليهودية (في كتب الهولوكوست المسماة " كتب ما بين العهدين") والعهد الجديد (يذكره لوقا ضمن جينيالوجيا يسوع 3،37).

5. في 1947م، اكتشف فجأة رعاة بدو، في كهف في أعالي البحر الميت، بالقرب من موقع قمران، مخطوطات قديمة للعديد من الكتب التوراتية وليست توراتية. مصدرها، ووظيفتها، وكتابتها، ومعانيها ولّدت منذ اكتشافها اكتشافات مكثّفة واختلافات.

*الابيغرافيين Epigraphes هم علماء مختصون في دراسة الكتابات المنقوشة.

# تأثير الإمبراطوريات

**جون - لوي شليغل**

لـم ننظـر بعـد في المضمـون التاريخـي للتـوراة. هـل في وسـعنا العـودة إلى الشرق أو الشرق الأوسـط القديـم للقـرون مـن التاسـع إلى الخامـس والرابـع قبـل التقويـم الميـلادي، في القـرون التـي تـمّ فيهـا إلى حـد كبـير كتابـة وتأليـف الكتـب التوراتيـة؟ أقـدِّم هـذه التواريـخ كنقطـة للانطـلاق، ولكـن ربمـا يجـب البـدء قبـل ذلـك والانتهـاء بعـده.

**توماس رومر**

بالطبـع يجـب أن نبـدأ مـن قبـل، مـع التذكـير أنّ مـا نسـميه "المـشرق" كان دائمًـا تحـت تأثـير الإمبراطوريـات الكـبرى. علاقاتـه بـدأت مـع مـصر في الألفيـة الثانيـة. عندمـا تراجعـت مـصر، تلتهـا فـترة هـدوء، وهـو مـا سـمح بظهـور بعـض الممالـك الصغـيرة. ثـم، بـدءًا مـن القـرن التاسـع، احتـلّ الآشـوريون مجمـل أراضي المـشرق، وبـلاد الرافديـن طبعًـا، لقـد حاولـوا أيضًـا فـرض الرقابـة عـلى مـصر. بعدهـم، جـاء دور البابليـين في بسـط سـيطرتهم (مـن 605 إلى 539) ثـم الفـرس (539 إلى 333)؛ ثـم صـارت الغـزوات تأتـي مـن البحـر الأبيـض المتوسـط، مـع الإغريـق والرومـان.

لا نسـتطيع فهـم تاريـخ مولـد النصـوص التوراتيـة دون الأخـذ

بعين الاعتبار التأثيرات "الأيديولوجية " لهذه الحقائق السياسية والتي هي الإمبراطوريات والحضارات المجاورة: في الجنوب، مصر، في الشرق، بلاد الرافدين، في الغرب، العالم الإغريقي. فقصص الخليقة والطوفان في التوراة، مثلًا، قد تعطينا قراءة خاطئة إذا كنا نجهل ملاحم بلاد الرافدين. إنّ سفر الأمثال، يعيد إنتاج نصوص مصرية، الخ. فالتفاعلات مع هذه القوى الكبرى تتميّز بالثبات، فتأثيراتهم قد تستأنف أو ترفض.

## تأثير مصر

**جون - لوي شليغل**

كيف كان تأثير مصر خلال كل هذه القرون؟

**توماس رومر**

خلال الجزء الثاني للألفية الثانية، كانت مصر هي القوة المسيطرة، والتي في مقدورها التدخّل في أيّ مكان من المشرق. فالمدن- الدولة التي كانت موجودة كانت إذن كلّها تحت رقابة مصرية. خلال الألفية الأولى، وبمجرّد أن ظهر الضعف لدى الإمبراطوريات المنافسة، وبالخصوص آشور والإمبراطورية البابلية، حاول بعض الفراعنة إعادة فرض الرقابة على سوريا-فلسطين. فالتوراة تعكس هذه السياسات المصرية في العديد من النصوص: بعض نصوص الأنبياء تنتقد الملوك الإسرائيليين واليهود من الذين يبحثون عن السند عند مصر. يروى في 2 سفر الملوك 23 أنّ الملك يوشيا قُتل من طرف ملك مصر في مجيدو. لا نعرف بالضبط ما هي الأسباب (قد يكون يوشيا في نظر المصريين حليفًا غير موثوق به)، ولكن الرواة التوراتيون يحتفون كثيرًا بهذا الملك، إذ لو كانت لديهم حرية الكتابة، لما اصطنعوا هذا الحدث. هذا يعني أن مصر قد استعادت في هذه الفترة الرقابة على مملكة يهوذا. سيظلّ التأثير المصريّ قويًّا أيضًا خلال جزء من الألفية الأولى، وكذلك

الاتصالات معها بالطبع. بشكل عام، لقد تركت مصر دائمًا بصماتها على الثقافة المادية، الفن، فن نقش الحجارة عند هذه الممالك، كما يثبت ذلك العديد من الأشياء التي عثر عليها أثناء أعمال الحفريات في المشرق.

من أجل فهم اليهودية بعد تدمير أورشليم من طرف البابليين (في587)، من المهمّ التذكر بأنّ جزءًا من الشعب يهاجر نحو مصر فرارًا منهم: لم يحدث أي تهجير نحو مصر. يروي سفر ارميا عن النزول نحو هذا البلد ويُبيّن بعض المواقع في الدلتا التي أقام فيها اليهود (سفر ارميا 44-43). ولكننا نعرف من خلال الاركيولوجيا وجود جماهير إسرائيلية ويهودية في أقصى الجنوب، في جزيرة الفنتين أين وجدنا وثائق كتبت بالآرامية تخبرنا عن هذه الجماهير.

**جاكلين الشابّي**

هل في وسعنا القول إنهم لاجئون؟

**توماس رومر**

الذين في الفنتين يعملون في الغالب كمرتزقة. يحتفظون بنوع من الاستقلالية، لأنّه- فهو ذو دلالة خاصة- في القرن الرابع كان لديهم في الجزيرة معبد، بالرغم من كون كل معبد خارج أورشليم يعتبر ممنوعًا " رسميًا ". لا يعبدون يهوه وحده (ياهو Yahô في نصوص الفنتين) : إلى جنبه نجد، انّات - إلهة معروفة في اوغاريت – واشيم-بيتيل(ربما ابنهما). إنّه نوع من "الثالوث وفق التصور المصري". وهو ما يعني أنّه بالنسبة لمولد التوحيدية، فالأمور أكثر تعقيدًا بالمقارنة مع ما تُفيده بعض الخطابات: أقل ما يمكن قوله، كما سبق التأكيد عليه، ليس الجميع كان على يقين بضرورة اعتناق التوحيد. قام المصريون بتدمير معبد الفنتين لأنه اتّضح وجود أضاحي لحيوانات مقدّسة هي رموز لآلهة. ولكن تمّ العثور على رسائل

لمسؤولين في الفنتين، أرسلت من جهة إلى أورشليم وإلى السّامرة، تطلب المساعدة والعون لأجل إعادة بناء المعبد. فالتأريخية التوراتية، دون مفاجأة، تصمت تجاه كل هذه الأحداث لأنها عكس أيديولوجيتها.

في الحقيقة، وعكس ما تريدنا التوراة اعتقاده، في الحقبة الفارسية كانت توجد معابد أخرى خارج أورشليم والسّامرة، ربما أيضًا في بابل. يجب أن نضع هذا في ذهننا. أنه مثل موضوع الأحاديث في الإسلام1: فالتوراة مثل الحديث، لأنها بعد كل شيء هي إعادة بناء للماضي.

## الحضور الآشوري

**جون - لوي شليغل**

لقد ذكرتم في الغالب التأثير المتعدد، وبالخصوص في التمثّلات الثقافية والسياسية، للآشوريين. هل المنفى في بابل هو الذي سمح بذلك؟

**توماس رومر**

لا، هذا التأثير بدأ قبل ذلك: لقد كان الآشوريون موجودين في المشرق، بالخصوص، خلال القرنين التاسع والثامن، بينما بدأوا في التراجع في القرن السابع. إن " أيديولوجيتهم " معروفة اليوم: كانت غايتهم بسط سلطتهم على المناطق الأربع للأرض وانتهاج سياسية توسعية. لقد عقدوا معاهدات ولاء، والتي سبق وتحدّثنا عنها، وعملوا على تكرار وتعميم نفس المعاهدة مع البلدان المحتلة: لا سيّما وقد عُثر على معاهدة واحدة تعود إلى 673 في ستة أو ثمانية نسخ تفرض الولاء لصالح خليفة اسرحدون Assarhaddon، أي ابنه آشوربانيبال Assurbanipal. واحدة من هذه النسخ اكتشفت في معبد بطينات Tayinat، في الأناضول، جنوب تركيا الحالية. نستطيع إذن تخيل وجود نسخة أخرى في هيكل أورشليم. آشور كانت إمبراطورية، مركزية وامبريالية

وكانت أول من قام بتعميم هذه الوثائق بصفة واسعة. هذه الوثائق، وبالخصوص معاهداتهم وقصصهم الدعائية، قد تكون أسهمت في تكوين نماذج بالنسبة للجماهير التي كانت في مواجهة مع الدعاية الآشورية.

**جاكلين الشابّي**

**"نموذج " بأي معنى؟**

**توماس رومر**

إذا نظرنا إلى رسم الإيقونات عند الآشوريين، سنلاحظ أنهم يجدون متعة في رسم احتلال المدن، أسلوبهم في ربط الأشخاص على أوتاد وسلخهم أحياء: أحداث مروعة! لقد كانوا بتعبير أخر يحكمون بفعل الترهيب.

أكثر من ذلك أهمية أيضًا هي الوثائق التي يعملون على تعميمها في نسخ عدّة، وبالخصوص معاهدات الولاء التي سبق ذكرها، وأيضًا نصوص مثل المتعلقة بمولد سرجون Sargon. لقد سبق وأشرت أعلاه أنّ نموذج قصة موسى، والذي وضع في سلة تمّ إلقاؤها في النيل واصطيادها من طرف بنت فرعون، هي آشورية. فالملك سرجون الثاني، والذي كانت لديه مشاكل تتعلّق بالشرعية- من المؤكّد أنّه كان مُغتصبًا، في كل الأحوال نحن لا نعرف أباه-، قد عمل على كتابة هذه القصة بغية صنع مشهد للأسطوري سرجون الأول، والذي أخذ اسمه. ثم نعلم أن والدته(كاهنة ربما أجبرت على حياة العزوبية) أنجبته سرًا وبالتالي لم يعرف أبدًا والده.

وضع في سلة ألقيت على الفرات، فنقلته مياه النهر إلى أكي Aqqi، نوع من البستاني السماوي. هذا الأخير ينقله إلى الإلهة عشتار، والتي تتبناه وتسمح له بدخول الملكية. تمّ تناقل هذه القصة في عدة نسخ عبر كل الإمبراطورية، لقد عثرنا على أربع أو خمس نسخ إلى غاية يومنا هذا، وهو ما يجعل الفرضية في

كـون الكتبـة اليهـود يعرفـون هـذه القصـة معقـولًا.

ولكـن، مـوسى أيضًـا لا يعـرف والـده وهـو أيضًـا قـد أنقـذ مـن المـيـاه. لقـد حاولنـا أن نضـع قصتـه بالتـوازي مـع قصـة سرجـون: تصبـح عشـتار هـي ابنـة فرعـون، ويتحـول الفـرات إلى النيـل. في الحقيقـة، بالنسـبة لـرواة التـوراة، قصـة مـوسى هـي طريقـة للتأكيـد بـأنّ قصـة هـذه الشـخصية لا تقلّ قيمـة عـن قصـة الملـك سرجـون الآشـوري. يتعلـق إذن بـــ" قصـة مضـادة " : نعيـد إنتـاج قصـة المُضطهـد بإعطائهـا معنـى آخـر، في الغالـب ضـد الايدولوجيـا الأصليـة. يوجـد أمثلـة أخـرى لهـذا النـوع مـن إعـادة الإنتـاج: نسـتطيع بالخصـوص تبيّـن، كمـا سـبق وأشرت2، أنّ كل البنـاء لغـزوة كنعـان كمـا تـمّ عرضهـا في سـفر يوشـع مسـتقاة بشـكل كبـير مـن القصـص والإيقونـات الآشـورية.

ومـع ذلـك، فهـذه التأثـيرات عـلى إسرائيل-يهـوذا بـدأت قبـل المنفـى.

**جون - لوي شليغل**

بشـكل عـام، مـاذا كانـت ديانـة الآشـوريون؟ كيـف نُعرّفهـا؟ مـا الفـرق بينهـا وبـين ديانـة البابليـين؟

**توماس رومر**

اليـوم، نقـول عنهـا ديانـات وثنيـة مركـزة حـول بانثيـون- ولكـن علينـا الحـذر مـن كلمـة بانثيـون، والتـي هـي مـن صنـع المؤرخـين في القـرن التاسـع عـشر. اتّفـق مـع مارسـيل ديتيـان Marcel Detienneعندمـا يـرى أننـا لا يمكننـا تمثّـل البنثيـون مثل مجلـس للـوزراء في القرنـين التاسـع عـشر والعشريـن! فللآشـوريين " آلهـة عظيمـة ": آشـور، الإلـه الوطنـي، عشـتار، إلهـة مهمـة، رمـز الجنـس والحـرب، شـمش، إلـه الشـمس والعدالـة، سـين إلـه القمـر... وفـق الملـوك، فهـذا الإلـه أو ذاك يكـون أقـلّ قيمـة مـن غـيره، ولكـن هـذه "الآلهـة العظيمـة" موجـودة باسـتمرار خـلال

كل تاريخ الإمبراطوريات الآشورية والبابلية. إلى جانبهم، يوجد على مستوى "الدين الشعبي "، وأيضًا على مستوى الدين الملكي، كائنات وسيطة مثل الثور المجنح، أنواع من الشيروبيم، كائنات هجينة لها رؤوس بشرية وأجسام حيوانات (مثل التي يمكننا مشاهدتها في متحف اللوفر)، وكذلك ملائكة وعفاريت.

**جاكلين الشابّي**

هل الإله الأعظم هو نفسه الملك الأعظم؟

**توماس رومر**

وفق الايدولوجيا الملكية، الملك صورة أو انعكاس للإله الرسمي. في وسعنا البرهنة على ذلك جيدًا من خلال النقوش والمجسمات الآشورية. أبيّنه بكل سرور للطلبة لأجل شرح ما الذي تعنيه " صورة الإله "، لقب ملكي نجده عند الآشوريين، وكذلك عند المصريين. فيما نسميه أحيانًا بـ " الايدولوجيا الملكية "، نتخيل الإله في صورة الملك، والعكس صحيح. لو نأخذ التمثيل الايقوني للملك الآشوري اسرحدون Assarhaddon (668-680) ونضعه إلى جانب التمثيل المُجّسم للإله آشور، سنلاحظ أن الإله والملك ممثّلان بنفس الطريقة: نفس اللحية، نفس المعطف، نفس الحركات. ما نلاحظه أيضًا، هو أن بعض الملوك يفضلون عبادة هذا الإله أو ذاك، وهو ما يقترب من فكرة توحيد إله واحد، مثل اخناتون في مصر، ويوشيا في يهوذا. لماذا عبادة إله واحد؟ لأسباب مختلفة: لأجل التحالف مع هذا أو ذاك الفريق من رجال الدين، التحالف مع هذه المدينة أو تلك... فالآلهة في الحقيقة مرتبطة بمدن ونفس الآلهة قد تُعبد بأشكال مختلفة حسب المدينة التي تكون موجودة فيها: يوجد عشتار لنينوى وعشتار لاربيل- أين يوجد للإلهة معبد مهم جدًّا.

**جاكلين الشابّي**

عندنا نفس الشيء مع الإلهة العزة " القوة"، نجدها في

تدمر، عند النبط في البتراء والحجر، ثم فيما بعد بالقرب من مكة. فالتأريخية الإسلامية في نهاية القرن الثامن تجعل منها حامية لقريش، قبيلة محمد، قبل استقرارهم في مكة. بالنسبة لهم، إنها إلهة الطرق التي تحميهم أثناء رحلتهم. ولكن العبادة التي كانت مخصصة لها في أماكن أخرى لم تكن للاستجابة إلى نفس الوظائف.

## التأثيرات الأيديولوجية

**جون - لوي شليغل**

لو نقارن بين "الإمبراطوريات"، قد يولد لدينا انطباع بأنّ إمبراطوريات الشرق- آشور، بابل، الفرس، على أية حال- كانت أكثر أهمية، من وجهة النظر الدينية، بالنسبة للتوراة، بالمقارنة مع مصر.

**توماس رومر**

ربما على مستوى الاقتباسات الأدبية والإيديولوجية. ومع ذلك، يجب عدم الاستهانة بدور مصر. لقد أثرت في إيديولوجيا الحكمة التوراتية، وقدّمت القالب لقصة يوسف وقصة الخروج. من خلال مصر، أيضًا، تأتي فكرة الحساب بعد الموت، والتي أثّرت في الديانة التوراتية: في كتاب الموتى، المتعدّد الروايات، والمعروف كثيرًا طيلة زمن الفراعنة نقرأ فيه أن الإنسان يحاسب على خطاياه، وهو ما لا نجده أبدًا في عالم ما بين النهرين.

**جاكلين الشابّي**

هنا، نذهب إلى الأرض بعد الموت، إلى شيول.

**توماس رومر**

بمجرد أن نصبح في شيول (هذا الاسم يظهر في النصوص التوراتية دائمًا في صيغة المجهول)، لن نستطيع الصعود مجددًا. إنها تصوّر منتشر بكثرة في الشرق الأوسط القديم. كل البشر،

بمن فيهم الملوك، عليهم النزول. فكرة الحساب غائبة. يوجد في المشرق وفي بلاد الرافدين نصوص تصور لنا آلهة تنزل إلى الجحيم لأسباب مختلفة؛ ولكنها عكس البشر فهي " تصعد ". وهكذا فالموت و"بعث" الإله بعل في اوغاريت يفسر تناوب فصول الجفاف والفصول الممطرة والخصبة.

**جون - لوي شليغل**

في الغالب، يذكر الإسهام الثقافي الآشوري. هل المكتبة الشهيرة في نينوى خرافة؟

**توماس رومر**

لا، نعرفها جيدًا الآن ونحن ندين بذلك إلى الملك آشوربانيبال (631-669)، ملك مثقف جدًّا وصاحب فكرة جمع الألواح. يتعلّق الأمر بمجموعة تحتوي على حوالي خمسة وعشرين ألف لوحة طينية تتعلق بكل أنواع النصوص. هذه " المكتبة " تمثّل المجموعة الأكثر أهمية في الحضارة الآشورية، وكذا في بلاد الرافدين. فهنا مثلًا وجدنا الملحمة الأكثر اكتمالًا لجلجامش. في الأصل، هي سومرية تعود إلى الألفية الثالثة. ولكن وجدت "صيغة جديدة" لها في حقبة البابليين القدماء، في الألفية الثانية. في الحقبة الآشورية، نجد لها صيغة قياسية تفرض نفسها. من المهم ملاحظة كيف يتغيّر المضمون، من النصوص الأكثر قدمًا إلى النص الآشوري. لقد وجدنا قطعًا من هذه الملحمة في مناطق متعدّدة حول الهلال الخصيب؛ في إسرائيل، وجدنا قطعة في مجيدو، ويُذكر جلجامش كذلك في نص لقمران. بالنسبة إليّ، من الواضح: بعض الرواة التوراتيين يعرفون ملحمة جلجامش. فقصة داوود وجوناثان هي في كل الأحوال قريبة جدًّا من قصة جلجامش وصديقه انكيدو. إنها ليست " نسخة ‹›، ولكننا يمكن أن نتكلم عن تحويل أو إعادة صياغة. نفس الشيء، فإنّ قتال داوود مع جالوت يشبه قتال جلجامش مع خومبابا، العملاق...

**جون - لوي شليغل**

إذًا كان تأثـير آشـور حـاضرًا قبـل المنفـى والتّهجـير، فمـاذا غـيّر ا التّهجير ؟

**توماس رومر**

لنذكّـر أولًا أن التـوراة تقـدّم الأحـداث قبـل كل شيء وفـق منظـور الجنـوب. قبـل المنفـى البابـلي كان هنـاك تهجـير كثـير. في 722، في وقــت ســقوط مملكــة إسرائيــل، قــام الآشــوريون بتهجـير جــزء مــن ســكان مملكــة الشــمال القديمــة نحــو شــمال المشرق، وعملــوا عــلى توطــين ســكان آخــرون في مملكــة إسرائيــل القديمــة. فالفكــرة كان أساســها خلــق نــوع مــن المجتمعــات المختلطــة، حتــى لا يــترك المُهجّــرون لوحدهــم. وهكــذا عمــل الآشــوريون- وهــو مــا لــن يفعلــه البابليــون- بإدمــاج ســكان آخريــن (جــاءوا بهــم مــن بــلاد العــرب وســوريا، مثــلًا) في قلــب المُهجّريــن الإسرائيليــين. بعــض المُهجّريــن تــمّ تجنيدهــم في الجيــش، واســتُغلّ آخــرون في الأعمــال الشــاقة. خلط جماهــير مــن أصــول مختلفــة يســمح بمنــع ظهــور بــؤر للاحتجــاج أو للتمــرد. في يهــوذا، قــام الآشــوريون أيضًــا بتهجــير جــزء مــن ســكان مدينــة لخيــش، عندمــا ســقطت هــذه الأخــيرة، في 701.

لقــد اســتأنف البابليــون فكــرة التهجــير. ولكــن في المقابــل تركــوا المهجّريــن يعيشــون فيمــا بينهــم لوحدهــم في مســتوطنات، دون، حســب مــا نعــرف، إعــادة إســكان المناطــق التــي قامــوا بنفيهــم منهــا. عــلى مــا يبــدو، قامــوا بإعــادة توزيــع الأراضي عــلى الســكان المتبقــين في المنطقــة. وبمــا أنّهــم قامــوا بتهجــير مــا نســميه اليــوم " الانتلجنســيا"(النخب، أي الذيــن يعرفــون القــراءة والكتابــة، بالخصــوص الكهــان والكتبــة)، تكونــت إيديولوجيــا جديــدة مفادهــا أن الشــعب الحقيقــي ليهــوه موجــود في المنفــى، بينمــا العــدد القليــل مــن الشــعب المُتبقــي في البــلاد، يختلــط ويتطــور بصفــة مســتقلة. إنهــا وجهــة نظــر جــولا Golah، مفــردة ترتبــط بالمنفيــين البابليــين. إنهــا تعنــي " الوجــود عــلى المكشــوف "، " اقتيــد إلى المنفــى ".

فالفكرة التي مفادها أنّ إسرائيل " الحقيقية " موجودة في المنفى تتطوّر في هذه الفترة. فيما تظل، بابل، على الأقل إلى غاية التوسع الإسلامي، أحد أكبر المراكز الدينية والثقافية لليهود، أين ظهر بالخصوص تلمود بابل.

**جاكلين الشابّي**

على ما يبدو فإنّ المنفيين استطابوا المكان؟

**توماس رومر**

نعم، لقد شيّدوا في المكان ذاته ما يشبه " أورشليم الجديدة "، وربما أيضًا معبد، بالرغم ما يقوله سفر التثنية في هذا الصدد (الإصحاح 12). لقد كانوا مرتاحين جدًّا، بعضهم يُشغّل العبيد. بعض اليهود اتّخذ أسماء بابلية. بالطبع، ما سيتغيّر خلال هذه الحقبة ويتدعّم مع الفرس، هي الفكرة بأن الاستقلال السياسي قد فُقد، نستثني من ذلك الاستراحة الوجيزة للمكابيين في القرن الثاني. ولكن هنا أيضًا، ستظلّ بعض الشكوك قائمة، وعن حق: إذا كان المكابيون غير مقبولين عند الرومان- إذن كانوا في الحقيقية مرتبطين بهم-، فإنّ السلالة الحشمونية لن تستطيع البقاء لمدة طويلة.

**جون - لوي شليغل**

إنّها فكرة متناقضة. هل تريدون القول إنهم لم يكن لهم أبدًا دولة أو أنّه لا يوجد أي دولة (واحدة من الإمبراطوريات التي ذكرنا) قد ابتلعتهم؟

**توماس رومر**

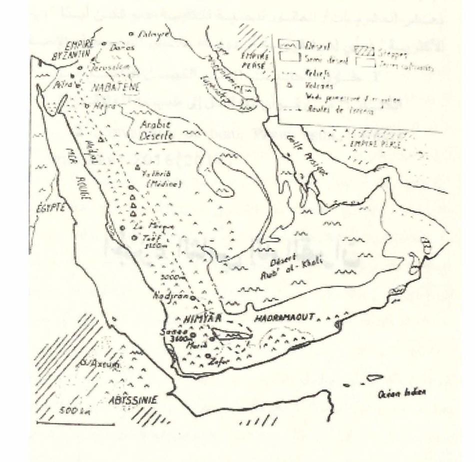
اليهودية القديمة لم تكن أبدًا منشغلة بسلطة الدولة، وهو ما يصنع الفارق مع الديانات الأخرى. في مصر، يصبح مهمًّا في الحقبة الهيلينستية والرومانية، بالخصوص بسبب فرع الإسكندرية، أين يتأسّس المركز الثقافي الأكثر أهمية في اليهودية. (وفق التقليد، فإنّ رسالة ارسطياسAristée، الأسفار الخمس لموسى قد تمت ترجمتها إلى الإغريقية في الإسكندرية). وبسرعة،

في القــرون الموالـيـة والتــي تتبـع الدخـول في عصرنــا، ينتــشر اليهـود أيضًــا في الحـوض المتوسـط. يقيمــون في المغــرب، في إيطاليــا، يذهبون إلى إسـبانيا... هـذا الانتشــار المُبعثـر يحـدث بفعـل الرومـان، لأنهـم يســتفيدون مــن طرقـات الرومــان، وتســهيلات التنقــل داخــل الإمبراطوريــة. ولكــن اليهوديــة إلى غايــة 1948م، إذا تركنــا جانبًــا بعــض العشريــات/ العقــود للحقبــة المكابيــة، لــم تكــن أبــدًا "ديانــة الأكثريــة" في أي إمبراطوريــة أو دولــة، عكــس المســيحية والإســلام.

1. حــول الأحاديــث، انظــر الفصــل التاســع مــن الكتــاب: " مــن قــرآن القبائــل إلى حديــث المعتنقــين".

2 .L'INVENTION DE DIEU, PARIS, SEUIL," POINTS HISTOIRE",2016(2014)

# الجزء الثاني إله القرآن




جزيرة العرب في القرن السابع للميلاد

# مولد الله

**جون - لوي شليغل**

إلــه الإســلام اســمه اللــه. مــن أيــن جــاء هــذا الاســم الــوارد في القــرآن؟ مــاذا نعــرف عــن أصولــه بصفتــك المُؤرخــة الانثروبولجيــة؟ كيــف صــار ذلــك مفروضًــا؟

**جاكلين الشابّي**

في القــرآن، اســم اللــه غــير حــاضر في البدايــة. أتكلّــم هنــا، طبعًــا، عــن التاريــخ كمــا يســتطيع المــؤرخ إعــادة بنــاءه مــن خــلال اكتشــاف الطبقــات المتتاليــة للكتابــة القرآنيــة، وليــس عــن بدايــة الكتــاب المســمى "قــرآن": كلّنــا نعلــم أن تتابــع الســور لا علاقــة لــه بكرونولوجيــا الأحــداث. بالنســبة للمــؤرخ، ليــس اســم اللــه، بــل كلمــة "ربّ" هــي التــي كانــت واردة أول الأمــر. في اللغــة العربيــة، هــذه الكلمــة (المعروفــة أيضًــا في اللغــات الســامية الأخــرى) تعنــي أيضًــا البــشري بالإضافــة إلى الخــارق للطبيعــة المُمثــل بصفتــه "الســيد"، راعــي مــكان إقامتــه. فكلمــة الــربّ تتضمّــن بوضــوح نوعًــا مــن المجــاورة. وهكــذا فالســورة القصــيرة 106 تتكلّــم عــن "رب هــذا البيــت": هــذا الــرب هــو في الواقــع ســيد مــورد المــاء المكــي الموجــود بالقــرب مــن البيــت ( يتعلّــق الأمــر بالبــئر المُســماة زمــزم والموجــودة إلى غايــة يومنــا هــذا في مكــة إذ يســتقدم الحجــاج زجاجــات مليئــة مــن ماءهــا، والــذي يُضفــون عليــه قيمــة تقديســية

أو فوائـد علاجيـة).

عندمـا يدخـل مصطلـح الخلـق في القـرآن، تظهـر صـورة إلهيـة مسـمّاة الرحمـان، "الرحيـم": هـذا الاسـم الإلهـي المنقـول بشـكل واضـح مـن اليمـن أيـن يظهـر في العديـد مـن الكتابـات عـلى الصخـور. إنّـه فقـط بعـد ذلـك يظهـر اللـه ويصبـح إلـه القـرآن بامتيـاز. بفضـل دور الخالـق لـكل شيء الممنـوُح لـه، فإنّـه يسـتبعد ثـلاث إلهـات محليـة قديمـة والتـي يقـول عنهـا القـرآن بأنهـا لا تنفـع شركائهـا البـشر، لأنهـا تفتقـد للقُـدرة عـلى الخلـق.

## آلهة مكة

**جون - لوي شليغل**

وهـل محمـد هـو مـن يعلـن هـذه الأسـماء الثـلاث والتصـورات المتتاليـة للإلـه القرآنـي؟

**جاكلين الشابّي**

بالنسـبة لرجـل يحمـل إلهامًـا مفارقًـا للطبيعـي كالـذي يُعلـن عـن تلقيـه، مـن الطبيعـي جـدًّا أن يتوجّـه أولًا إلى قبيلتـه. خطابـه الأول تمحـور في قولـه بـضرورة عبـادة الإلـه الـذي يرعـى مدينتهـم. لكـن إذا كان المكيُـون يعبـدُون رب البـئر التـي تسـقي مدينتهـم، فهم يفعلـون ذلـك أيضًـا مـع آلهـة أخـرى خارجيـة، والتـي كان يُنظـر إليهـا كحاميـة لممـرات التمويـن والتنقـلات خـارج مكـة. فالإبـداع القرآنـي سـيتمثل في الإعـلان بأنـه يجـب ألا نُخطـئ في معرفـة الراعـي. يجـب عبـادة رب الكعبـة لأنّـه سـيد سـقاية المدينـة، ولأنـه بالإضافـة إلى ذلـك سـيد ترحـال القوافـل وبالتـالي ممـرّات التمويـن للمكيـين.

**جون - لوي شليغل**

فاللـه ليـس هـو الأول إذن، ولكـن قبـل العـودة إلى هـذه النقطـة، هـل في وسـعنا التوقـف عنـد مكـة؟ ألا يسـتطيع سـكانها التبضُّـع في المـكان ذاتـه؟

**جاكلين الشابّي**

مكة ليست واحة، وهذا أساسي. لا يوجد أي مورد للعيش في المنطقة. فهي لا تستطيع إيواء إلا قبيلة ذات قيمة صغيرة والتي لا تُقرن أبدًا بالطائف المنطقة الجبلية أو بيثرب (المسماة المدينة لاحقًا)، والتي تحتوي كل منهما على موارد فلاحية واسعة. لا يوجد كل هذا في مكة أين يجتمع عدد قليل من السكان بالقرب من مورد ماء مقدس.

**جون - لوي شليغل**

هل أنا على خطأ؟ يبدو إليّ أنني قرأت بأنّ مكة كانت مدينة مهمة للقوافل!

**جاكلين الشابّي**

الجميع يقول ذلك ولا يزالون يردّدونه في أغلب الأحيان. أنا أيضًا، كتبته اقتداء بأساتذتي. ولكنني أدركت بعد ذلك بأنه خطأ. في الحقيقة، الكثير من المراجع التبسيطية، تُعيد دون تمحيص نقدي، إنتاج الموروث الإسلامي، القائل بأنّ مكة كانت مدينة مهمة، مكان عبُور العديد من القوافل المتّجهة إلى كل مناطق جزيرة العرب. بينما، مكة متمركزة ناحية الغرب، في تضاريس بركانية يصعب اجتيازها، في اتّجاه ساحل البحر الأحمر. هي ليست أبدًا موجودة في الطريق الكبيرة للقوافل، والطريق القديمة لتجارة البخور توجد على مسافة ثلاث أيام، من الجهة الشرقية. ليس في صالح أصحاب القوافل تحويل سيرهم عن الطريق المباشر من أجل التّوقف في منطقة معزولة، تنعدم فيها كل مصادر العيش المحلية.

هناك فكرة أخرى متداولة تصور لنا محمد صاحب القافلة، وقد قطع كل جزيرة العرب. هذا من صميم الأسطورة. إذ أن تعزيز صورة محمد استجاب لمتطلبات لاحقة للمرحلة القرآنية.

**جون - لوي شليغل**

فالمدينة إذن تعيش بالاعتماد على مورد الماء هذا، غير المضمون في محيط جغرافي قاحل؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، ولكن أيضًا هذه الطبيعة غير المضمونة هي من جعل من المكان مُقدسًا. مع تقديس مكان مثل هذا، عديم الزرع، تُمثّل مكة استثناءً في جزيرة العرب. إنّه مكان مُقدّس اكتشف منذ مدّة، بلاشك بصفة مفاجئة، لأنه يحتوي على نقطة ماء دائمة، تلتقي عندها الوديان. بالرغم من عدم وجود الشجر، نستطيع العيش فيها، ولكنّه مكان صغير جدا للعيش، ولأنه موجود، حتمًا، لأنّ قوة غير طبيعية ترعاه. إنّ نقطة الماء الدائمة، هذه " البئر المكية "،كما نسميها، لها راع: سيد البئر، الضامن بأنّ الماء لن ينفذ منها.

**جون - لوي شليغل**

ما هي العلاقة بين البئر والكعبة؟

**جاكلين الشابّي**

الكعبة شُيّدت على أرض مفتوحة وسط المكان الذي توجد فيه البئر. إنها تُخفي الوظيفة الفعلية للمكان، وهي حماية نقطة الماء الدائمة الموجودة عند جهتها الشرقية. الكعبة، هي قبل كل شيء جدار أين رُفعت على زاويتين منه حجر مقدسة، الحجر الأسود على الزاوية الشرقية (جهة شروق الشمس)، والحجر الأسعد على الزاوية الجنوبية. نحن إذن بلا شك أمام وجود نصب "بيت الإله"، حجر مقدس. موجّه، بشكل دلالي نحو الاتجاهات الأربع الرئيسية، هذا البناء قد سمح بكل بساطة بحماية الصخور المقدسة من الفيضانات، والتي من حين لآخر، تصبّ في الأرضية المحيطة بالمبنى.

**جون - لوي شليغل**

هل في وسعنا معرفة أي نوع من العبادة كانت مرتبطة بالكعبة؟

**جاكلين الشابّي**

هــي بــلا شــك عبــادة موســمية، بفضــل طقــوس جماعيــة تهــدف إلى طمأنــة الســكان بــدوام نقطــة المــاء. إنّــه إذن مــن خــلال الانخــراط في وظيفــة محليــة يقــوم القــرآن، في المرحلــة الأكثــر قدمًــا، بجعــل الإلــه المفــترض حاميًــا المدينــة، "رب هــذا البيــت" (الســورة106، الآيــة 3).

ولكــن علينــا أن نضــع في أذهاننــا، أن المكيــين كانــوا عــلى الــدوام في تنقّــل لأجــل ضمــان معيشــتهم اليوميــة، فأمــن رحلاتهــم لأجــل اســتمرارية الحيــاة في المدينــة كان يشــكّل الاهتمــام المركــزي لديهــم. كان الاعتقــاد في مجتمعــات تلــك المرحلــة، حتمًــا، أن هــذا الأمــان يشــترط توفــر حمايــة مــن قــوى مفارقــة للطبيعيــة.

## الآلهة التي تحمي الممرات

**جون - لوي شليغل**

من كان يضمن هذه الحماية؟

**جاكلين الشابّي**

ســكان مدينــة مكــة يعتمــدون عــلى حمايــة خارجيــة، "إلهــات الممــرات الثــلاث". يتعلّــق الأمــر في الواقــع بكيانــات مؤنثــة، عكــس إلــه البــئر الذكــر. كل واحــدة مــن هــذه الإلهــات تــمّ تعيــين مكانهــا بدقــة عــلى مختلــف الطــرق المعتــاد اتخاذهــا مــن طــرف المكيــين.

**جون - لوي شليغل**

يبدو، أن القرآن قد حذفها؟

**جاكلين الشابّي**

تُبــيّن الكلمــة القرآنيــة الأولى الإلــه الأكثــر نفعًــا. والجــواب قطعــي عــلى الفــور: إنّــه رب البيــت لا غــير. يتعلّــق طبعــا بــ" رب البــئر" والــذي يحتــوي بيتــه عــلى حجــارة مقدســة، أيــن تُبرهــن الحجــارة المقدســة ذاتهــا، عــلى الحضــور النافــع. ولكــنّ الإبــداع القرآنــي، والــذي يدخــل في مواجهــة مــع تقاليــد الأجــداد، تمثّــل في توســيع

مجال قدرات إله البئر نحو حماية المرات الخارجية، كما سبق وقلت.

**جون - لوي شليغل**

ولكن لماذا استبعاد تلك التي سبق لك وصفها بحامية المرات؟ لماذا لا يحتفظ بها؟

**جاكلين الشابّي**

القرآن لا يذكرها إلا من أجل تحدّيها. يظهر بسرعة كبيرة أن صاحب الوحي القرآني شخص مُجدّد. في هذا المجتمع، يُصنّف هذا النوع من الأشخاص والذين هم خارج المعتاد ضمن الكهان، الشعراء أو السحرة. ليس غريبًا إذن، وفق القرآن، أن يُنعت محمد بهذه الأوصاف من قبل خُصومه.

في جزيرة العرب، الماء هو الحياة. في مجتمع الجفاف الحاد، هذا يعني بكل سهولة أنّ الحياة المهدّدة باستمرار يُنظر إليها كنجاة. بالإضافة إلى ذلك، في الوسط الطبيعي والبشري لجزيرة العرب الجافة، أساس الحياة مرتبط بالنوع الذكري؛ فنحن نجمع في مفردة واحدة بين الماء الذي يعيد إحياء الأرض والمني الذي يخلق البشر. عكس ذلك، فالجاف والساخن مرتبط بالأنثى، والتي يجب أن تُخصّب بفعل العامل الحيوي الذكري. فربّ نقطة الماء المكيّة هو إذن إله ذكر، بينما إلهات المرات، ولأنها تنتمي إلى فضاء الحر، هي من النوع الأنثوي.

**جون - لوي شليغل**

هل كان يُتضرّع إليها؟ إلى أي نوع من العبادة كانت موضوعًا؟

**جاكلين الشابّي**

لكلّ إلهة كان يوجد ما يسمى بالحرم، مكان إقامتها والمحمي بممنوعات. خارج الحرم المكي، المرتبط بنقطة الماء ومولد المدينة الصغيرة، كانت الحرمات في العادة تقع بعيدًا

عـن مسـاكن البـشر. يتـم التعـرّف عليهـا في الغالـب مـن خـلال مجموعـة أشـجار صحراويـة، مثـل أشـجار الاكاسـيا التـي تظهـر فجـأة، معزولـة، عنـد مُنعـرج وادي مفقـود. هـذه الأشـجار الكبـيرة الظليلـة كانـت مسـكونة، كمـا يُعتقـد، مـن طـرف قـوة غيبيـة فعالـة تمنحهـا الحيـاة.

**جون - لوي شليغل**

هل كانت تُعبد؟

**جاكلين الشابّي**

عبـادة مـن نـوع " نُصـب" كانـت عـلى مـا يبـدو مرتبطـة بهـا. فالبيتيـل*، أو الصخـور المقدسـة، كان يعتقـد فيهـا تمثيـل الإلهـة الراعيـة. نأخذهـا معنـا أثنـاء رحـلات القوافـل. مـن المرجّـح أنّـه تـم إدخالهـا الموقـع المكـي ذاتـه. ربمـا هـذا هـو السـبب وراء ردّة فعـل القـرآن لأجـل التأسـيس لعلـو إلـه محـلي.

**جون - لوي شليغل**

هل يوجد أي دليل يثبت الإلهات الثلاث في مكة؟

**جاكلين الشابّي**

إنهـا إمكانيـة واردة، ولكنهـا ليسـت مـكان إقامتهـا الأسـاسي. فالإلهـة العـزة، القويـة، والتـي كانـت راعيـة تنجـذب إليهـا قبيلـة قريـش (قبيلـة محمـد)، تقيـم عـلى مسـافة ليلتـين سـيرًا نحـو الـشرق. حرمـات الـلات، في جبـال الطائـف، ومنـاة عـلى حافـة المسـار السـاحلي المـؤدّي مـن مكـة إلى المدينـة، كانـت أكثـر بعـدًا بالنسـبة للمدينـة المكيـة.

**جون - لوي شليغل**

هـل نتكلـم أيضًـا عـن " الوثنيـة" بخصـوص هـذه الآلهـة أو بالنسـبة للعبـادة المكيـة بصفـة عامـة؟

**جاكلين الشابّي**

أتـردّد كثـيرًا في اسـتعمال هـذه المفـردة. يجـب الحـذر مـن الوثـوق في عبـادة الأصنـام المزعومـة والتـي تصنعهـا التقاليـد

الإسلامية في مراحل لاحقة. مع دخوله للمدينة التي طرد منها، يقوم النبي المنتصر بتحطيم "الأصنام" واحدة تلو الأخرى، في شكل تماثيل ربما كانت موجودة في المكان. فالقرآن لا يصف أبدًا الإلهات المحلية المرفوضة كأصنام. فالسؤال حولها لا يظهر إلا في قصة شعب إبراهيم ووالده (السورة21، الآية57). ما يقوله، في السورة 106، والذي ينتمي إلى الطبقة الأقدم، هو واضح بشكل كاف: عبادة إله واحد فعّال بالنسبة لكم، الذي يحميكم من الخوف (من الاعتداءات)، يحافظ عليكم من الجوع (من خلال ضمان تموين مدينتكم). ويضيف أنّ هذا الإله ذاته، وليس غيره، ضامن لأمن ممرات القوافل على مسافات بعيدة (والجديدة منها)، تلك التي تتعلّق برحلة الشتاء (نحو الجنوب) وتلك المتعلقة برحلة الربيع (نحو الشمال). بعبارة أخرى، مع هذا الإله والذي إليه تعود كل أشكال الحماية الممكنة، لديكم حليف إلهي ذو قدرات عالية، يجعل من غير المجدي اللجوء إلى آلهة أخرى حامية غيره (أو حاميات).

## من الرب إلى الرحمان، من إله يحمي إلى إله خالق

**توماس رومر**

إن هذا المشروع الذي يتعلّق بفرض إله واحد يذكّرنا بإصلاحات يوشيا.

**جاكلين الشابّي**

أكيد، ولكننا لا نميّز هنا، وجود أي تأثير أو استعارة ذات أصول توراتية. نحن على مستوى الطبقة الأولى للنص، ضمن إطار محلي خالص. يجب العودة إلى انثروبولوجيا هذا المجتمع لأجل فهم ما كان يمثل موضوع التحدي. في عالم البشر، كل حماية يجب أن تأتي من العنصر الذكري للمجتمع، الوحيد الذي يمتلك وسائل الحماية الجماعية للقبيلة. هذه الحجة أولية. فالعناصر التوراتية التي ستدخل شيئًا فشيئًا لن تفعل

أكثـر مـن دعـم هـذه القناعـة الأولية. بالخصـوص، موضـوع الخلق الإلهـي المقتبـس سـيقدّم دعمًـا أساسـيًّا للاسـتثنائية المُكرّسـة لـربّ البيـت المكـي، بمعنـى آخـر إلى الإلـه الذكـر لمـورد المـاء.

جون - لوي شليغل

ولكـن مـاذا يفعـل الرحمـان في كل هـذا؟ لمـاذا تغيّـير الاسـم، وربمـا أيضًـا ،الصفـات؟

جاكلين الشابّي

الاسـم الإلهـي المسـتوحى مـن التـوراة تحـت اسـم الرحمـان سـيلعب دورًا حاسـمًا. يظهـر فجـأة في الخطـاب القرآنـي ولا علاقـة لـه بالعبـارة المعروفـة والمتمثّـلة في الصفـة الثنائيـة الإلهيـة، الرحمان الرحيـم. التـي هـي اليـوم في الإسـلام تُوظّـف توظيفًـا ثابتًـا، بينمـا هـي قليـلًا مـا تـردّ كصفـة نعـت في القـرآن ذاتـه، مـن خـلال فقـط أربـع حـالات منهـا اثنـان مجتمعـة (السـورة 27، الآيـة 30؛ السـورة 59، الآيـة 22؛ السـورة 1 الآيـات 3-1). مـن الأفضـل في الحقيقـة ترجمـة كلمـة الرحمـان بـــ " المحسـن" بـدل "الرحيـم".

في القـرآن، يظهـر الرحمـان في الحقيقـة كاسـم إلهـي بصفـة كاملـة، لا يوجـد أدنـى شـك لدينـا بـأنّ هـذه التسـمية قادمـة مـن اليمـن، أيـن هـي حـاضرة بشـكل واسـع في النقـوش الصخريـة، مـكان تواجـد اليهوديـة والمسـيحية بشـكل مشـهود مـن القـرن الرابـع إلى القـرن الخامـس. فللجـذر رحـم RHM اسـتعمالات معروفـة في العبرانيـة وفي الآراميـة أيـن يحمـل دلالـة العطـف والرأفـة. ولكـن في التوظيـف اليمنـي، الرحمانـان Rahmànàn هـي اسـم إلهـي بصفـة كاملـة، والـذي يعنـي خالـق السـماء والأرض.

توماس رومر

هـذه العبـارة "الإلـه خالـق السـماء والأرض"، سـبق ووجـدت كمـا هـي في اليمـن؟ هـي أيضًـا مـن الكلاسـيكيات

الكبرى، إذا جاز قول ذلك، في العبارات التوراتية لأجل وصف الإله. أضيف أنّه في اوغاريت، في فينيقيا في الألفية الثانية قبل التقويم الميلادي، وقبل اللحظة التأسيسية التي نتحدّث عنها بوقت كبير، فإنّنا نجد هذه العبارة. في اوغاريت، الإله آل هو الخالق. وبالتالي فدوره يتوقف عند هذا الحد. ليس هو من يدير الشؤون فيما بعد، ولكن من بين أمور أخرى، بعل، إله ناشط، إله العاصفة. "إله السماء والأرض" ليس بالضرورة هو الإله الأقوى؛ قد تكون له وظيفة محدودة جدًّا.

**جون - لوي شليغل**

بما أنّ الأمر يتعلق "بخالق السماء والأرض" في هذه الطبقة الأولى المكتوبة من القرآن، هل في وسعنا القول بأنه إله عالمي- ليس إله محلي- هو الذي بدأ يتشكل؟

**جاكلين الشابّي**

"العالمية"، "الكونية": بصفتي مؤرخة أنا لا أستعمل هذه الكلمات، يهمني بالدرجة الأولى خصوصية المكان موضوع الدراسة قبل أي مجازفة بالتعميم. إذ يتّضح بأنّ الأرضية التي تنتمي إليها الطبقة الأولى المكتوبة من القرآن تتميّز بميزات محددة للغاية. تندرج ضمن محيط معادٍ، يصنع التصرفات الاجتماعية والتمثُلات الجماعية. بين هذا الجزء من جزيرة العرب القاحلة، أين تتواجد بلدة مكة، والأراضي المحيطة الأكثر سهولة للعيش، فنحن لا نتمثل العالم بنفس الأسلوب. إنّه الحال بالنسبة لليمن، الذي تشمله بشكل واسع أمطار الصيف الموسمية. يستفيد إذن من هطول منتظم للأمطار، أكثر أو أقل شمولًا أكيد، ولكن لا علاقة لها بهطول الأمطار العشوائي وغير المستقرة للجهة الغربية من جزيرة العرب.

**جون - لوي شليغل**

أنــا أســحب إذن كلمــة "العالميــة ". كنـت أفكـر في "رب العالمــين" المذكــور في القــرآن، الــذي بالإضافــة إلى الطبيعــة التــي خلــق، فهــو يحكــم الممالــك والإمبراطوريــات، بينمــا الخالــق الــذي تتكلّمــون عنــه لا يفعــل ســوى "تســيير" الأماكــن وفــترات محــددة. هــل في وســعنا القــول أنــه ضامــن للوظائــف في حيــاة البــشر، فيمــا يقــع لهــم -الأمطــار الموســمية- أو لا يقــع لهــم- المطــر الــذي لا يأتــي، صحــة معتلــة، الميــلاد، الجنــس، المــوت...؟

**جاكلين الشابّي**

مــن أجــل فهــم تمثّــل الإلــه في جزيــرة العــرب، يجــب ألا نُهمــل أبــدًا الحالــة الماديــة للمجتمــع أيــن يولــد الإســلام. فالجــزء الخــاص مــن الأرض أيــن توجــد مكــة، بعيــد عــن كل شيء، عــلى مســافة أكثــر مــن 1000كلــم جهــة الشــمال كمــا مــن جهــة الجنــوب لشــبه الجزيــرة. البحــر الأحمــر القريــب لا يشــكّل بــأي حــال مــن الأحــوال محــور اتّصــال. نحــن باســتمرار في حــال نجــاة، مــع المخاطــر الكبــيرة والخــوف الدائــم لأن المجموعــة التــي ننتمــي إليهــا ليــس لهــا مســتقبل ومحكــوم عليهــا بالفنــاء في مهلــة قصــيرة. أمــام هاجــس النجــاة هــذا، يســتجيب الإلــه المحــلي مــن خــلال إعطــاء ضمانــات بالحمايــة. إنّــه في هــذا الإطــار يمكــن وصــف النقطــة المحــددة مــن التأثــير التوراتــي المتعلّــق بفكــرة الخلــق. يحقّــق أقــصى قــدر مــن الضمانــات للنجــاة مــن خــلال وصــف الخالــق بـــ "المالــك"، بالمعنى الملمــوس، بالنســبة لــكل مخلوقاتــه. فالخالــق ليــس " حكــم" أو " ملك": إنّــه يصبــح قبــل كل شيء مــن يحــي ويميــت، وبنفــس القــدر هــو مــن يُعيــد الإحيــاء، بمشــيئته، في الوقــت والزمــن اللــذان يريــد.

فالمشــهد الــذي يظهــر أمــام أعيننــا جميعًا هــو لنباتــات الصحراء، التــي لا تتوقــف عــن العيــش، أن تمــوت وتحيــا مــن جديــد. بقــدر مــا يقــال بــأنّ الخالــق كــوصي عــلى الحيــاة هــو قبــل كل شيء إلــه

نافع. إحدى مهامّه الأساسية هي أن يظهر كسيد للأمطار وتوزيعها على الأراضي القاحلة. فالإله المالك ينظر إليه بالتالي دائمًا في نشاط وعلى استعداد لأجل ضمان استمرارية الحياة التي خلقها، بشرية كانت أو نباتية. يصبح من خلال القيام بذلك سيد المخاطر وكذلك أيضًا الضامن لمستقبل ثابت، المسطّر من طرفه بطريقة مُقدّرة.

وهكذا، لأجل إجابة توما رومر، يمكننا القول، أنّه عكس ما كان يُفكّر ويُعتقد فيه في اوغاريت المترفة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط على الساحل السوري، أن نسميهم رب، رحمان أو الله، فآلهة جزيرة العرب لن تستطيع تجنّب الاستثمار الدائم لأجل الإبقاء على حياة مخلوقاتها. علاوة على ذلك – لقد اكتشفت مؤخرًا وبشكل مفاجئ–، عكس التوراة، أن الخلق القرآني يجب أن يكون منذ البداية "جاهزًا للاستعمال " ويظل تحت الرقابة الدائمة للإله. 1

جون - لوي شليغل

لنعود إذن للأسماء الإلهية. قلت أنّه بعد صورة الربّ، تأتي صورة الرحمان التي تدخل المشهد. فهي تقع إذن بين الربّ الموجود والله الذي ليس موجودًا بعد. ما هو الدور المحدّد لهذه الصورة الإلهية التي قلتِ عنها مقتبسة؟

جاكلين الشابّي

يظهر الرحمان في القرآن قبل كل شيء بوصفه مسؤولا عن مهمة الخلق. ولكن سبق للربّ أن لعب هذا الدور. ومع ذلك، فالبناء الذي يمكن أن نسميه "تكوين قرآني" لا علاقة له بالتكوين التوراتي. لا توجد أي رؤية لفوضى الكونية، ضوضاء –Tohu-bohu قبل أن يظهر الضوء، مثلما في سفر التكوين 4-1،1.

**جون - لوي شليغل**

لا توجد أي علاقة، كما قلت، مع سفر التكوين التوراتي.

**جاكلين الشابّي**

في الواقـع، في مسـار الخلـق القرآنـي، يأتـي في المقدمـة تشـكيل الإنسـان. ولكـن لا يعنـي ذلـك أبـدًا إنسـان أول وضـع عـلى نحـو آدم في فضـاء حيـاة مثاليـة. نحـن منـذ البدايـة مدعـوون نحـو حقيقـة أرضيـة عاديـة، والتـي أكـرّر القـول، هـي فضـاء للنجـاة، مـن قحـط خطـير، ومميـت. فالإنسـان المخلـوق هـو منـذ البدايـة متلائـم مـع الوظيفـة المنتظـرة منـه، في رعـي جمالـه. نحـن في مواجهـة " الرجـل الراعـي".

ولكـن عـلى هامـش الـدور الممنـوح للرحمـان كصانـع للسـماوات والأرض، يوجـد دور أخـر، مهـم بشـكل خـاص، والـذي هـو مضمون بواسـطته: إنّـه الـدور الـذي يمنحـه إيّـاه القـرآن في مقابـل الإلهـات ا لمحلية .

**جون - لوي شليغل**

آه، مرّة أخرى نعود إلى هذه الحاميات المحلية الشهيرة؟

**جاكلين الشابّي**

بالفعـل، ولكـن هـذه المـرّة لأجـل الحديـث عـن القتـال الـذي يُـشرع فيـه لأجـل جعلهـا تختفـي. يمكننـا القـول إنّ هـذه المرحلـة تمثّـل ذروة الرحمانيـة القرآنيـة، قبـل أن تنمحـي صـورة الرحمـان لتفسـح المجـال لصـورة اللـه.

يتعلّـق الأمـر بالـردّ عـلى التحـدي المسـتمرّ لخصـوم محمـد. فالـكلام القرآنـي يتسـاءل كيـف لإلـه ذي قـوة مثـل الرحمـان، خالـق ومالـك السـماوات والأرض يمكنـه أن يعتمـد عـلى إنـاث بينمـا رجـال القبيلـة، لأجـل ممارسـة قوتهـم، يعتمـدون عـلى الذكـور! بمجـرد أن ينطلـق المشـهد، فالفكـرة ترفـض بطـرق متعـددة.

مـن أجـل مقاربـة الأهـم: أن نضـع ثقتنـا في إنـاث لا تملـك أي

قـوة لا يمكـن أن يكـون سـوى اسـتخفاف. وهـذا مـا لا يتوقّـف عـن تكـراره في القـرآن. وبالتـالي حـان وقـت انتهـاء المنفعـة المطلوبـة مـن قـوى غيبيـة أنثويـة، أيًّـا كانـت. بصفتهـا بنـات، وأيضًـا لكونهـا ليسـت خالقـة لأيّ شيء، فهـي لـن تجـدي في شيء (السـورة 25، الآيـات3-2). يتعلّـق إذن أقـل مـا يمكـن بإنهائهـا قبـل أن يكـون اسـتنتاجًا بعـدم كفاءتهـا أو ضعـف قدراتهـا. فالإلهـات الأنثـى تصبـح عاجـزة لتغطيـة عقـد الحمايـة الـذي تعتقـد القبيلـة أنهـا أبرمتـه معهـا.

**جون - لوي شليغل**

اللـه يظهـر إذن في القـرآن فقـط بعـد أن يتـم اسـتبعاد "الإلهات" المنهزمة ؟

**جاكلين الشابّي**

نعـم، هـو كذلـك. ولكـن احـذر: " هزمـت" لا تعنـي " قُتلـت". فالخـلاف لا يحـلّ بواسـطة الـدم، ولكـن في وسـعنا القـول، باللامبـالاة. هـذه البصمـة الانثروبولوجيـة مهمـة جـدًّا: هـذا يعنـي أنـه في المجتمـع القبـلي لجزيـرة العـرب، نحـن لسـنا في حاجـة إلى القتـل المـادي للرمـزي لأجـل محـوه مـن الذاكـرة الجماعيـة. يكفـي التوقـف عـن الحديـث فيمـا لا ينفـع وليـس لـه فائـدة عمليـة. نحـن لا نسـمي مـا لا يسـتعمل. لـن نجعـل منـه شـيئًا للذّكـر، ضمـن الذاكـرة المفيـدة للمجموعـة.

إنّـه بـلا شـك هكـذا يكـون فهـم المقطـع الشـهير أيـن، لأول وأخـر مـرة، تظهـر الإلهـات الثـلاث بأسـمائها كإلهـات محليـة (السـورة 103،الآيـة : 23 " إن هـي إلا أسـماء سـميتموها أنتـم وآباؤكـم" !) بالتحديـد في هـذه اللحظـة يدخـل المشـهد صـورة اللـه، في آيـات لعـرض القـوة والنـصر. فاللـه (والـذي يعنـي ضمنيًّـا الخالـق) لـم يمنحهـا أيّ "سـلطان". وبالتـالي يصبـح جنونًـا ووهمًـا بالنسـبة للرجـال (رجـال القبيلـة) أن يتبعوهـا.

**جون - لوي شليغل**

ولكننا بالرغم من ذلك نجد الربّ، "سيد البئر". ماذا بخصوص علاقته مع اللـه؟

**جاكلين الشابّي**

من الآن فصاعدًا سيقترن تواجد الصورتين وتتّسع المحلّية الضيّقة على سلم الخلق. فالاسم الجديد، للـه، سيرتكز بشكل صلب على ما هو أساسي في تمثُّل صورة الإلهي، بينما يبقى الربّ فقط "سيّد البيت".

فتسمية الرب تُمثل الامتياز في كونها تحتل ببساطة المكان في الأدعية والتضرعات الموجهة إليه. بينما هذا غير وارد في اسم اللـه، "الإلـه"، وفق قيمته المطلقة كاسم علم.

**جون - لوي شليغل**

هل اختفى الرحمان بشكل كلّي؟

**جاكلين الشابّي**

بالرغم من دوره الأساسي، يجب ألا ننسى بأنّه اسم تمّت استعارته من اليمن ويمكننا التساؤل إذا كان " ابتكار" اسم اللـه غير مرتبط بالأصل الأجنبي لاسم " الرحمان". وبما أن التعايش صار غير ممكن، سيتراجع اسم الرحمان ليصبح صفة لذات اللـه، مثلما في العبارة الشهيرة "بسم اللـه الرحمان الرحيم ".

ومع ذلك يجب أن نرى ذلك يحدث على مستوى مشهد الخطاب، وليس على مستوى الواقع. فالمكيّون يفضلون التمسك بتقاليد "الآباء" (القبيلة). فصاحب الوحي سيدفع الثمن باهظًا لهذا النصر على مستوى المفردات من خلال نفيه وطرده من طرف عشيرته. ستكون الهجرة، بمعنى آخر المنفى قبل أن يتمكّن من العودة إلى مدينته في نهاية الحقبة.

**جون - لوي شليغل**

إذا كنت قد تتبعتك جيّدا، فأنت تقولين، أنّه في البداية، كان لدينا صورة إلهية محلية معروفة جيّدا، هي الرب، "سيد البئر" هو صاحب الإقليم (نقطة الماء). هذا الرب يتطوّر ليصبح الخالق. ثم تظهر صورة جديدة ولكنها أجنبية، هي الرحمان، قبل الوصول إلى الله، "الإله بامتياز"، ولكنه يبقى مرتبطًا بالرب، وكأنّه لأجل العودة إلى الأصول المحلية. ولكنك قلتِ بأنّ القبيلة ستحافظ على مواقفها. وتعلن الاستمرار في إتّباع " تقاليد الأجداد". في مقابل ما يريدنا الخطاب القرآني أن نعتقد فيه، هل لدينا فكرة عن الرد الموجه له؟

**جاكلين الشابّي**

إنها في الخطاب القرآني المصلحة والمفارقة في آن واحد. وبما أننا في إطار سجال، فإنه غالبًا ما يُعرف قول الخصم من خلال الردّ الموجه له. في الغالب، يتمّ التعبير عنه بوضوح، وبعنف، لأنّ التعبير عنه بشكل واضح يجعله قابلًا للرد. يجب ألا ننسى أنه في المحيط القبلي، تُهيمن الشفهية، وبالتالي فالقول الملفوظ والمُؤيّد هو السائد.

إنّ محمد في هذه الحالة مُتّهم "بالمس" من طرف جن شرير. أو يقال أحيانًا أنّه شاعر "سيء الإلهام"، ساحر أو كاهن. وعليه يصبح طرد المتكلّم أكثر احتمالًا، بالإضافة إلى ذلك ينسب إليه انتماؤه إلى ملهم بشري، غريب عن القبيلة.

**جون - لوي شليغل**

في مواجهة هذا الضغط الممارس من طرف القبيلة، كيف استطاع محمد الصمود؟

**جاكلين الشابّي**

لأجل الصمود، يوصيه القرآن أولًا بـ " الصبر "(السورة 52، الآية 48)، وألّا يحزن لأنّ قومه لم يتّبعوه (السورة 10،الآية 65). ولكن عليه كذلك الارتكاز على ماضٍ مشهود، وبالخصوص الاعتماد على مرجعيات أخرى من غير أجداد القبيلة، بأن يصنع الموازنة مع قدر آخرين أوحي إليهم قبله ولم يُفهموا. بالاعتماد على نفس الحامي الإلهي، نجحوا في اجتياز الامتحان، لأنّ الله الخالق قادر على كل شيء، بما في ذلك تدمير ملِك أرضي قوي جدًّا مثل فرعون: المواجهة بين فرعون وموسى هي إحدى الأوردة السردية الأكثر غزارة في هذه اللحظة المكيّة. إنّه في الحقيقة ابتداءً منها سيتم تفضيل المرجعية الايجابية والتي لدى "بني إسرائيل"؛ (السورة 26، الآية 197؛السورة 10،الآية 94).

## دور القبائل

**جون - لوي شليغل**

منذ بداية حوارنا، وكذلك في أجوبتك الأخيرة، غالبًا ما تذكرين دور القبيلة؟

**جاكلين الشابّي**

هذا صحيح، أعود إليها بلا توقف، لأنّ الخلفية القبلية للخطاب القرآني غالبًا ما يتمّ إخفاؤها، أو تجاهلها بصفة تامة. بينما هذه الخلفية هي المجتمع. إنّه الذي يصنع السلوك، رموز التمثُّل والذهنية الجماعية. أكثر من ذلك:إنّه يحدّد اللغة في الاستخدامات التي يصنعها بطريقة لا تمحى تمامًا، إننا في سياق الشفهية، أين تحتلّ الكلمات المتلفّظ بها أهمية أكبر من التي تحتلها في مجتمعات الكتابة. إذ، أنّ هذه اللغة ذات العلاقة القوية بوسطها، هي بالضبط لغة القرآن. علينا إذن أن نضع أنفسنا باستمرار في حالة مواجهة للغة وأشكال التمثُّل

في القرآن مع واقعه المجتمعي قبل أي محاولة للمقارنة مع أوساط أخرى خارجية. إنّه الحال ذاته عندما يتعلّق الأمر بكلمات أو أفكار مستعارة. إذا كان من الواجب معرفة مصدرها، فمن اللازم أيضًا فهم كيف وظّفها الاستعمال المحلي. نفس الشيء يقال فيما تعلّق، بما يجب أن يسمّى، ليس استعارات بل اقتباسات القرآن، حتى نضع نصب أعيننا أنّ كل استعارة ستكون موضوعًا للتحوّل على الأقل في مضمون استعمالها الجديد ووفق التحديات الخاصّة بمضمون الاستعمال الجديد. لقد سبق ورأينا ذلك بسرعة مع الخلق مثلًا.

**جون - لوي شليغل**

**هل في وسعنا الحديث عن "اجتماعية قبلية"؟**

**جاكلين الشابّي**

بدقة بالغة، نعم. ترتكز الاجتماعية القبلية قبل كل شيء على علاقات القرابة، كما تمّ البرهنة على ذلك منذ مدة. خارج إطار الأسرة ذات النسب المباشر، توجد الأسرة الجانبية النسب والتي لها هي أيضًا دورها المهم. إنّه عند هذا المستوى نجد علاقات التضامن بين الآباء هي الأقوى. بصفتهم الفاعلين الاجتماعين النشطين، فـ "الآباء" هم قبل كل شيء الذكور، بتعبير أخر زعماء القبائل وأولادهم البالغين. بقية أفراد الأسرة يُتكفّل بهم. فالأسرة ذات النسب المباشر لها مهمة اجتماعية إلزامية، هي التكاثر من أجل بناء مستقبل المجموعة.

أنواع كثيرة من النسب، المبنية حتمًا وفق النموذج الأبوي، تشكّل عشيرة وعدة عشائر مجتمعة تكوّن القبيلة. فالقيمة الديموغرافية للقبائل تقوم على قاعدتها الاقتصادية، أي على مصادر رزقها الحيوية. فالقاعدة الاقتصادية لمكة هي، كما قلنا، على الخصوص ضيّقة، فالقبيلة لن تكون إلا ضعيفة المقاس. فالمقارنة مع الواحة الكبيرة يثرب، من خلال قبائلها

الخمس التي تقيم فيها، هي نموذجية على هذا المستوى. بخصوص مكة، يجب إذن عدم الوثوق في المبالغات اللاحقة للتأريخية الإسلامية والتي منذ نهاية القرن الثامن، نجدها تمجّد المدينة وتعظّم دورها بصفة شائنة أكثر من المتوقع: يجب تبرير وتكريم وضعها كمكان مؤسّس لما سيكون عليه الدين الكبير في إطار إمبراطورية الخلافة الواسعة.

**جون - لوي شليغل**

عندما نفكر في القبيلة، نفكر غالبًا في "البدو". ماذا بخصوص المكيّين في هذا الموضوع، وفي الاختلافات بين البدو والحضر بشكل عام؟

**جاكلين الشابّي**

أنت على حق. من المهمّ تدقيق الأمور في حال مكة ووضعها الخاص في جزيرة العرب. فسكّان مدينة مكة هم من الحضر وليسوا من البدو. ولكن بسبب نقص مصادر العيش في المكان ذاته، عليهم بالتّرحال لعدة أيام من السير بعيدًا عن مدينتهم، وهذا حتى بالنسبة لتموينهم اليومي. إذ، أنّ الوسيلة الوحيدة المتاحة للتنقل، هي الجمل. فهم إذن تحت رحمة المربُون ومُلاك الجمال... والذين هم طبعًا من البدو.

الفارق بين البدو والحضر لا يتمثل في مستوى التنظيم الاجتماعي؛ فالبدو أيضًا لهم تنظيمهم القبلي. الفارق الكبير يكمن خارج هذا الإطار: إذ أنّ الحضري سيصاب بالرعب بمجرد أن يضيع في الصحراء - وهو ما يترجَم غالبًا في التمثُّلات القرآنية للجحيم -، فالبدو يعرفون الطرق. لديهم معرفة بالسير والتنقل في الفضاءات، أين الضياع فيها، يعني الموت. يعرفون كيف يجدون الأماكن التي تحيا فيها الأرض بعد الأمطار والتي توفّر لبضعة أسابيع المرعى لجمالهم قبل أن تقتلها أشعّة الشمس. فالقرآن غالبًا ما يذكر هذا النوع من

الصـــور الحسّـــية. بالإضافــة إلى أنهـــم قـــد يدخلـــون في خصـــام مـــع مجموعـــات قبليـــة مـــن أجـــل الاســـتفادة مـــن هـــذه المراعـــي المؤقتـــة.

**جون - لوي شليغل**

في هذا المضمار، يمكننا التخيّل بأنّ التحالفات مهمّة...

**جاكلين الشابّي**

بالطبـــع، بالنســـبة لأقـــل تنقلاتهـــم، فالمكّيـــون، مثـــل باقـــي القبائـــل الصغـــيرة في المنطقـــة، يحتاجـــون إلى البـــدو المحليّـــين، كونهـــم مفيـــدون كمرشـــدين. كل مجموعـــة مـــن البدو تمـــارس نفـــس الأعمال، أي عقـــد تحالفـــات، مـــع المـــدن القريبـــة منهـــا لأجـــل ضمـــان وتأمـــين الطـــرق. وهكـــذا كان لمكّـــة حلفاؤهـــا مـــن البـــدو المقربـــين، مثلمـــا كان للمدينـــة. قبيلـــة واحـــدة في هـــذه المنطقـــة كانـــت تملـــك نوعًـــا مـــن الأهميـــة. مســـتقرّها عـــلى ســـفح مرتفعـــات الطائـــف. والتـــي معهـــا خـــلال نهايـــة الحقبـــة المدنيـــة ســـتكون المواجهـــة الحاســـمة في المـــكان المســـمى حنـــين، المذكـــور في القـــرآن (الســـورة 9، الآيـــة 25). قـــام محمـــد وأتباعـــه المدنيـــين بالاســـتيلاء عـــلى مكـــة (بعـــد مفاوضـــات وتســـوية، وليـــس بفعـــل غـــزوة) أخذهـــا بالرغـــم مـــن كلّ توقعـــات القبيلـــة البدويـــة، والـــذي يحســـب لصالـــح الرعايـــة الإلهيـــة. فالنـــصر تحقّـــق وتوزعـــت الغنيمـــة، وهكـــذا تلحـــق القبيلـــة بالحلـــف المدنـــي، كمـــا هـــو العـــرف في النزاعـــات بـــين القبائـــل كلّمـــا اســـتطاع الخصـــم أن يفـــرض قوتـــه. نحـــن لســـنا في حالـــة حلـــف دينـــي كمـــا ســـيتم تخيلـــه لاحقًـــا، ولكـــن ضمـــن موازيـــن القـــوى التقليديـــة.

لـــن تســـتطيع مكـــة العيـــش إلّا في إطـــار شراكـــة مفروضـــة مـــع البـــدو المحيطـــين، إذ لا عجـــب أن نجـــد مـــا نســـميه " المخّيـــال البدوي" بـــارزًا باســـتمرار في القـــرآن.

**جون - لوي شليغل**

بعد هذا المنعطف حول القبائل والخلفية الاجتماعية، هل في وسعنا وضع قائمة للصفات المميزة لله؟

**جاكلين الشابّي**

سؤال شاسع مرتبط بوجهة النظر التي قد نتبناها. ولكن سنعود مرة أخرى للقاء القبائل. وفق الصيغة العربية الأسماء الحسنى: " (الله مالك) الأسماء الحسنى". نجد هذه الصيغة لصيقة باسم الله في أربع حالات 2.

في الواقع، أن نتوجه إلى الإله باسم الرحمان أو الله، فالذات الإلهية هي المرجع بالنسبة للذين دخلوا في عقده. فهي لا تتعلق بأسماء قد تكون " هي الحسنى"، وفق الترجمة المعتادة ولكنّها غير مناسبة، ولكن طبعًا بأسماء هي "الأفضل" بالنسبة إلى الذي يُتضرع بها، بعبارة أخرى الأكثر نفعًا أي الأكثر فعالية. على الإله أن يكون قادرًا على الفعل. هذه النزعة القرآنية في وصف الفعل الإلهي موجودة كثيرًا، حتى قبل استحضار " الأسماء الحسنى". يتعلّق الأمر منذ البداية بقياس القدرة التي لا تقهر وأيضًا القدرة على المعاقبة والهدم، الرحمة، والإحسان، المغفرة وكذا العقاب.

**جون - لوي شليغل**

القارئ، " المحايد" أو الذي لا يعرف القرآن، يجد الكثير من التهديد، والإقرار بالعقاب...

**جاكلين الشابّي**

هي ترد بصيغة بلاغية، ولكنها لا تُنفّذ أبدا في الواقع... هناك بالموازاة سجل آخر، أكثر أهمية. هو المتعلق بالصفات الإلهية لأجل الرقابة الرحيمة للبشر، موجهة لضمان استمرارية الحياة الجماعية. فالكرم الإلهي يغمر الرجال الأمناء لحلفه، قطيع وابناء. هذا لا يحيلنا إلى كرم غير مجسد وخالد ولكن

إلى ميـزة خاصـة بوظائـف المجتمعـات القبليـة. بسـبب عـدم وجـود أي بنيـة للدولـة يمكـن أن تكـون المرجـع، فالهبـة الصـادرة عـن صاحـب القـدرة للإعطـاء تمثـل جـزءًا مـن السـلوكيات الاجتماعيـة المنتظـرة.

ميـزة أخـرى للبنـاء الفكـري الخـاص بهـذه المجتمعـات يتعلّـق بالمغفـرة. حتـى وإن كان في مقـدوره بالمناسـبة مخادعـة مـن يحاولـون الغـدر به(السـورة 8،الآيـة 30)، إلـه القـرآن ليـس إلهًـا مُنتقمًـا أوإلهًـا حقـودًا. هنـا أيضًـا، بإتبـاع قاعـدة قبليـة، فهـو لـن يقمـع إلّا عندمـا يحـدث انقطـاع خطـير للعقـد وعندمـا يتبـيّن أن هـذه القطيعـة لا رجعـة فيهـا. بمعـزل عن هـذه الحالـة الشـديدة أو عندمـا تتعـذّر كل تسـوية، فـإنّ بـاب التوبـة يبقـى دائمـا مفتوحًـا، وفي الغالـب أيضًـا، هنـاك بـاب للتسـوية.

**جون - لوي شليغل**

ولكـن مـا هـو السـبب الـذي يجعلنـا لا نـرى بوضـوح هـذه " الصفـات " للـه؟

**جاكلين الشابّي**

هـذه الصفـات المنسـوبة للإلهـي، والتـي يُبيّنهـا القـرآن والتـي تسـتجيب لـضرورات الحيـاة المجتمعيـة أيـن ذُكـرت كلمته، سـتعرف محـوًا كامـلًا في التمثُـلات التفسـيرية اللاحقـة، في مرحلـة إمبراطورية الخلافـة. هـذا لصالـح الاسـتعمال العـددي للأسـماءالإلهية، والتـي سـنفهمها كأسـماء للتمجيـد وليـس كأسـماء نافعـة للحقبـة القبلية. لقـد ألحقـت بالـذات الإلهية(حتـى وإن كان ذلـك يعنـي صنـع بعضهـا) مـن أجـل الوصـول إلى قائمـة تحتـوي تسـعة وتسـعون اسـمًا، والاسـم المائـة هـو بامتيـاز: اللـه.

**جون - لوي شليغل**

قـال تومـاس رومـر أن ليهـوه " مشـاعر". هـل اللـه لديـه أيضًـا مشـاعر؟

**جاكلين الشابّي**

لـن أتكلـم عـن المشـاعر بمعنـى عواطـف، لأنّنـا قبـل كل شيء ضمـن سـجل لـذات ذكوريـة. كزعمـاء لأسر، فرجـال القبيلـة يتكفلـون بذويهـم؛ فالإلـه، أيضًـا ذكـر، هـو بنفـس الصفـة مـع مخلوقاتـه. لا يتعلـق الأمـر بذكوريـة اسـتبدادية ولكـن بذكوريـة مسـؤولة، مكلّفـة بتقديـم إجابـة نافعـة ومتكيّفـة مـع الحاجيـات الحيويـة لـلأسر وضمـان أمنهـم وحمايتهـم. فالتماثـل صـارخ بـين البنـاء الاجتماعـي للبـشر في تلـك الحقبـة وبـين المـكان والأسـلوب الـذي يعتمـده الخالـق لأجـل إدارة وتسـيير خلقـه كسـيّد للحيـاة: هـذا السـياق يجعلـه بشـكل ملمـوس وقبـل كل شيء سـيد المطـر ومالـك خزائـن السـماء التـي تحتـوي عـلى السـائل الثمـين (السـورة 38،الآيـة9؛ السـورة 15،الآيـة 21).

نحـن لسـنا أبـدًا في تصـور ملكـي أو إمبراطـوري لحاكـم يحكـم رعايـاه، ولكننـا ضمـن تصـور لهيمنـة نافعـة ومسـؤولة. فالرحمـة والإحسـان الإلهيـان التـي تظهـر باسـتمرار في القـرآن هـي دليـل عـلى العطـف في الواجـب تجـاه مخلوقاتـه. فالإلـه الخالـق، مـن خـلال بعـض الأسـماء التـي يذكرهـا القـرآن، يعقـد، بطريقـة مـا، عقـدًا للحيـاة. إنّـه يناسـب الحاجـة الاجتماعيـة. هـذا هـو الأسـاسي.

**جون – لوي شليغل**

هل الله يحاسب الأموات؟

**جاكلين الشابّي**

الحسـاب كفكـرة مسـتعارة، بـلا شـك هنـا أيضًـا، مـن مصـدر توراتـي يمنـي، والتـي تـم إعـادة تهيئتهـا بشـكل واسـع. إنّـه يخـص الرجـال الذيـن كانـت لديهـم مسـؤوليات في حياتهـم الأسريـة وفي العلاقـات الاجتماعيـة في مجموعـات انتمائهـم. وراء المشـهد المُنمّـق لهـذه المظاهـر المخيفـة، يتدخّـل لأجـل التحقّـق بـأنّ شروط العقـد الاجتماعـي تـمّ احترامهـا. لا يتعلـق الأمـر إذن إطلاقًـا بإظهار

انتماءنا وإيماننا للذات الإلهية والتي نحن حلفاء لها (فهي متلازمة)، ولكن أن نكون قد جمعنا ما يكفي من سلوك التضامن المطلوب بموجب العقد الذي يربط رجال القبيلة فيما بينهم ومع حليفهم الإلهي.

أما بخصوص الصور، فالخطاب يلعب على نطاق واسع على فوبيا المخيال المحلي، وبالخصوص على تلك، المرعبة بالنسبة لرجل من المدينة مثل المكّين، إنّه يجد نفسه ضائعًا أو خاضعًا لـ " عذاب العطش" في صحراء حارقة. إنّها تمثّل الجحيم القرآني في مرحلته الأولى. ستتطور فيما بعد، لتبلغ إلى حد تمثّل قدرًا يملؤها اللهيب كما نراه في منمنمات آسيا الوسطى في القرن الرابع عشر، فيما يخصّ الرحلة السماوية لمحمد.

**جون - لوي شليغل**

نحن بالرغم من ذلك في إطار توحيدي والذي يمكن أن نسميه "توراتي"؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، ولكن ليس ضمن التصور اللاهوتي للتوحيدية المُتجذّرة: يتعلق الأمر بنفعية متجذّرة تعكس حالة اجتماعية. قد أجرؤ على القول أيضًا، أنّه حتى في مواجهة تحديات الحياة التي عليه مواجهتها والتي يبحث لها عن أجوبة، فالخطاب القرآني لا يكلّف نفسه عناء ممارسة اللاهوت. هذه الأخيرة لن يعوزها التطور فيما بعد، ووفق أساليب متعددة الأشكال، في حالات مختلفة للإمبراطوريات والممالك ذات العقيدة الإسلامية. ولكن هذا يبدأ في التشكّل عندما نخرج نهائيًا من مرحلة لا يزال يوجد فيها العناصر المميّزة للمخيال القبلي. يمكننا تحديدها في نهاية الإمبراطورية الأموية، في 750م، أين تظهر الحدود الفكرية والتي ابتداءً منها كل شيء سيتطور تدريجيًا.

**جون - لوي شليغل**

لقد وردت الكلمة عدة مرات: من هم الجن؟ كائنات وسيطة؟ رسل الله، ملائكة؟

**جاكلين الشابّي**

هناك مجال يظلّ فيه التحكم الإلهي في العالم المخلوق غير مؤكّد: يتعلّق الأمر بالصحراء والكائنات المفترض أنها تسكنها. إنّه عالم الجن. بينما يراقب الإله فضاءات الماء أي أماكن البشر، فليس نفس الحال بالنسبة لفضاءات الحرارة. وفق القرآن ذاته، خلق الجن من " نار سموم"، بمعنى آخر من الحرارة الملتهبة لريح الرمال. بفعل تكوينهم الهوائي والحارق، فإنّه في مقدورهم الصعود إلى أبواب السماء، أين يتم مباشرة طردهم (السورة 72،الآية 8؛ السورة37 ،الآيات8-7). من المهم الإشارة بالمناسبة إلى إنّ هذا الصعود يُعتبر غير ممكن للبشر، وعليه فالرؤية لـ " سفر سماوي " لمحمد هي غريبة كليًّا عن القرآن. إنّه التقليد الإسلامي في مراحله اللاحقة من يختلق معراج نبي الإسلام الشهير، الذي يسافر، أين، للتذكير، ينطلق من قبة الصخرة في أورشليم ليبلغ أعالي السماوات السبع، إنّه أسلوب لتحدي المسيحية البيزنطية المنافسة.

**جون - لوي شليغل**

فالجن إذن هم جزء من كائنات الصحراء؟ صحراء نجدها في التوراة ولكن لا نعرف كيف بالضبط يمكننا تعريفها...

**جاكلين الشابّي**

لا نعرف كيف نعرف الصحراء في التوراة، كما تقولون، ربما لأننا نراها بالقرب دون أن تكون لنا تجربة السير فيها- لأنه في وسعنا تجاوزها. في جزيرة العرب على العكس، فالبدو مرشدون خبراء بالطرق، ولكن الصحراء كفضاء

للحرارة القصوى والقاتلة بالنسبة للرجال، هي قبل كل شيء أرض للجن. علاوة على ذلك، إنّه لذو دلالة خاصة في القرآن، فعالم الكائنات المخلوقة يرتكز ليس فحسب على ثنائية الذكر والأنثى، والذي يندرج ضمن نظام التكاثر، ولكنه أيضًا عالم للجن والبشر، فيما تعلق بتقاسم الفضاء. أضف إلى ذلك فإنّه يرد ذكر خلق الجن قبل البشر (السورة51، الآية 56). بالنسبة لرجال جزيرة العرب القاحلة، هذا التقسيم للفضاء يرنّ كحتمية. عندما يتنقلون عبر طرق الصحراء ويلجُون إلى أماكن الجن، تجدهم حذرين جدًّا لأجل تفادي شرورها. يحاولون أيضًا التواصل معهم، إذ أنّ للجن قدرة على معرفة كلّ الأسرار الممكنة، وبالخصوص تلك المتعلّقة بالمستقبل. ولكن القرآن يحاول بكل قوة محاربة القدرات التي يمنحها رجال القبيلة للجن. فهو يلحّ باستمرار على ضرورة تفادي الخطأ في تقدير الحليف.

**توماس رومر**

هذا النوع من التحذير دليل على أنّ الأمر يتعلّق باعتقاد كان منتشرًا بكثرة في تلك الحقبة!

**جاكلين الشابّي**

إنّه أقلّ ما يمكننا قوله. قد اذهب إلى أبعد من ذلك: بالرغم من كل جهوده، يبدو أنّ القرآن قد فشل في معركته ضد الجن، ليس فقط في تلك الحقبة، ولكن أيضًا في مراحل لاحقة، وحتى في مضامين الإسلام الحديث والمعاصر. وهكذا فإنّ انطوني جوسان Antonin Jaussen، الأب الدومينكاني، ينقل إلينا ملاحظته التالية: عندما يقوم البدوي بنصب خيمته في الصحراء فإنّه يقوم بتقديم أضحية للذي يسميه " صاحب الأرض"، بمعنى آخر الجن والذي يفترض أنّه يمتلك قطعة الأرض التي اختارها البشري بصفة مؤقتة مكانً ا لمخيمه. عليه بمعنى آخر أن يحصل على ترخيص من الجن المالك الشرعي

للمكان.على ما يبدو، لا يوجد في نظره أرض خالية. فكل الأراضي الخارجة عن فضاءات البشر من الحضر يسكنها عدد كبير من الجن.

## لا الهة مؤنثة جنبا الى الله

**جون - لوي شليغل**

لقد تحدثنا عن البقاء الطويل لاشيرا في التوراة، إلهة أنثى، إلى جانب يهوه. بالعكس، وجود إلهة أنثى يبدو مستبعدًا بشكل تام في القرآن. هل في وسعكم تحديد السبب، وخصوصية موقف القرآن فيما يتعلق بهذا الأمر؟

**جاكلين الشابّي**

بالطبع، في القرآن، لا يوجد أي شيء على مستوى الخطاب يشير إلى حضور اشيرا. إنّ ما يمكن اعتباره كأول الكلمات القرآنية هي قطعية في هذا الصدد: يجب عبادة إله حامي ذكر وليس غيره(سورة106). إنّه هو الضامن لاستمرار نقطة الماء المكية. ضمنيًّا، الإلهات الخارجية، تلك التي تحمي الممرّات، هي مستبعدة. من العرضي، أنّه في نفس السورة القصيرة 106، نجد مساحة كفاءات الإله المحلي تتوسّع ويتمّ التأكيد بصراحة أن حماية رب نقطة الماء تتعلق أيضًا بالتّرحال الخارجي لقريش قبيلة محمد. في هذه المرحلة الأولى، أين لا يظهر أي عنصر توراتي في الخطاب، نحن بعيدون عن صورة اشيرا، والتي يعود أسلافها إلى عبادات ألفية في الشرق الأوسط ولإلهاته الأمهات الخصبة، التي تلعب دور القرين لكبار الآلهة الذكور.

**جون - لوي شليغل**

لا يوجد عبادة للخصوبة يمكن تميّزها في الخطاب القرآني؟

**جاكلين الشابّي**

لا، لا شيء، على مستوى الخطاب، يرتبط بعبادات الشرق الأوسط المتعلقة بالخصوبة، والتي تصنع مشاهد لأزواج إلهية.

في القـرآن، التحـدي هـو محـلّيّ بشـكل صـارم. فيمـا يخـص السـؤال الجوهـري، المتعلـق بنجـاة المجموعـة، قلنـاه وأعدنـا قولـه، القـرآن يجيـب:ي جـب عبـادة رب البيـت، أي إلـه ذكـر.

إنهـا قناعـة قويـة ولا شيء يسـتطيع هزّهـا، خـارج لحظـة ضعـف مؤقتـة والتـي يرجعهـا التقليـد الإسـلامي، في مراحـل لاحقة، إلى تأثـير شـيطاني، والتـي يتراجـع عنهـا صاحـب الوحـي بسرعـة. إنهـا القصـة الشـهيرة لـ" الآيـات الشـيطانية "، آيـات السـورة 53، الآيـات 20-19، والتـي في الروايـة الممحـوة التـي يذكرهـا بالرغـم مـن ذلـك المفسرون، نجـد توافـق عـلى منـح قـدرة " الشـفاعة " لإلهـات أنثـى تحمـي الممـرات. نحـن إذن أمـام لحظـة للخطـاب القرآنـي تظهـر فيهـا فكـرة الخلـق التوراتيـة المسـتعارة حـول الخلـق لأجـل دعـم القناعـة الأولى، تلـك القائلـة بـأنّ نجـاة القبيلـة، في الحـاضر والمسـتقبل، مرهـون بإلـه ذكـر والـذي يظهـر قبـل كل شيء كإلـه للمطـر.

إذا حـدث وتـزوّد الخطـاب القرآنـي بأدلّتـه مـن الحقـل التوراتي، فهـو ليـس لأجـل تكـرار نمـوذج غريـب عنـه، ولكـن لأجـل الإجابـة بطريقـة مجديـة قـدر الإمـكان عـلى تحدياتـه الخاصـة. البقيـة ليـس لهـا أي وزن.

1. انظر الفصل السابع، " بيئة القرآن والتأثيرات التوراتية "

2. الاثنـان مكيتـان ( السـورة 20، الآيـة 8 والسـورة 17، الآيـة 110)، والتـي تتضمـن إعـادة لأخـرى مدنيـة ( السـورة 59، الآيـة 24 والسـورة 7، الآيـة 180).

السـورة 103،الآيـة23 : يوجـد في هـذا الاقتبـاس خطـأ معـرفي. السـورة المقصـودة هنـا هـي رقـم 53 النجـم والآيـة هـي 23.

*البيتيـل Bétyle هـو حجـر اوصخـرة او نصـب مقدس،يعتقـد ان الآلهـة تسـكنه. كان العـرب يحملونـه معهـم اثنـاء تنقلهـم اويُعبـد في مـكان تواجـده.

# إله الحلف في القرآن

**جون - لوي شليغل**

لقد تكلم توما رومر عن معنى "الحلف" في التوراة. في الفصل الأول من كتابك، " القواعد الثلاث للإسلام" 1، تتكلمين أيضًا عن " حلف " قرآني. علاوة على إنك سبق وذكرت ذلك. عليّ القول إنني فوجئت: اعتدت سماعه أو قراءاته في الأدبيات المسيحية، التوراتية أو اللاهوتية (في الواقع مع مبالغة في التقدير والتي يحذرنا منها توما رومر)، ولكن ليس بالنسبة للقرآن.

**جاكلين الشابي**

هنا أيضًا يجب عدم إقامة مقارنة مبكّرة. من وجهة نظر المنهج، أقول أنّه علينا البدء بمعرفة المضمون الاجتماعي الذي يحكم التصرفات والسلوك، التمثلات والعقائد؛ ولكن أيضًا المخيال، الطريقة التي وفقها نتمثل أنفسنا والعالم المحيط بنا. عكس ما يفكر فيه المؤمنون في الغالب، كل هذا مرتبط بتاريخ وانثروبولوجيا خاصة، وعليه أن يخضع لتحديات المكان والزمان المميّزان لدين ما وحتى بالنسبة للحظة دينية معينة. إذا كان "الحلف " موجودًا في عالم التوراة وعالم القرآن، يجب النظر، في كل أرضية للدراسة، وما تعنيه، ومن هم الفاعلون وما هي القواعد. الحديث عن " حلف " في صيغة التعميم لا تعني أي شيء.

يجب الذهاب إلى الكلمة في لغتهم، لأنّ كلمات اللغة ليست بريئة. إنّه الحال بشكل خاص بالنسبة للمجتمعات التي يُهيمن عليها الشفهي، كما هو بالنسبة لمجتمع جزيرة العرب القاحلة، أين المكتوب، المقتصر، والناقص المنقوش على الحجارة، هو نادر جدًّا. نحن لسنا في أرض لنصوص طويلة، أين يُمكن أن ينشر المكتوب على أوراق البردي كما هو الحال في مصر أو على ألواح طينية مثل بابل، بلاد الرافدين أو أوغاريت.

**جون – لوي شليغل**

ما هي الخصوصية المهمة بالنسبة لك في مجتمعات الثقافة الشفهية؟

**جاكلين الشابّي**

في هذه المجتمعات، الكلمات المهمة تسجل كما هي في ذاكرة الجماعة. إنّها تُمثّل أرشيفهم الخاص. وتصبح ضمن اللامنسي. يقولون إن قراءة الماضي هي للحاضر، من أجل البقاء في المستقبل. في مجتمعات بدون كتاب وبالتالي منعدمة الكتابة، وهو بالضبط المعنى القرآني: " النقل الشفهي الصحيح لكلام قيّم والذي لا يقبل التبديل ". لأجل الفهم، يجب أن نضع كلمة قرآن في علاقة مع محيطها، وليس – كما يفعل بعض الباحثين – إعادة تفسيرها بأصول سريانية مفترضة 2، والتي خارج السُبل الحقيقية، قد تكون وصلت إلى المكان باتخاذ مسار مُتخيّل. إن جذر كلمة ق ر ' QR'، في استعمالها العربي والقبلي، لها معنى تقني خاص، والذي يجب عدم الخلط بينها وبين أشكال أخرى من القول، مثل الكلمة الحرة للشاعر (قول)، أو الكلمة الملقاة مثل التي تُرتل (إنشاد).

## حلف تعاقدي

**جون - لوي شليغل**

الحلف في المعنى المتميّز الذي تصفينه، ماذا تقول وماذا تغطي؟

**جاكلين الشابّي**

يحيلنا مصطلح الحلف في القرآن إلى كلمة ذات الصلة به، والتي ليست مستعارة عن لغة سامية أخرى. هذه الكلمة المحلية بوضوح وذات الاستعمال المُتكيّف مع المضمون الاجتماعي السائد، هي الولاء، الذي يدل على القرابة المباشرة، الملموسة، أولًا ضمن معنى المكان. فالحليف، الولي (أولياء في الجمع)، هو إذن ذلك "الذي مع"، قريب في نفس المكان. يشارك نفس المكان المحمي، والذي نسميه حرمه. الحرم، هو أولًا المكان الذي لا ندخله من دون إذن (سبق وذكرنا ذلك فيما تعلق بالحرم الخاص بإلهات الطرق). في جزيرة العرب البدوية، هو المُخيّم. بالنسبة للمواطن اليوم هو بيته.

ضمن هذا الإطار، فالحليف هو الذي يعيش معنا، ولكنّه أيضًا ذلك الذي يُستضاف بشكل ملموس أو رمزي في هذا المكان ذو القرب المباشر. في وسعنا القول أيضًا أن القرابة تعتبر بشكل مؤكّد مُشاركة في صلة الدم، ولكنها أكثر من ذلك فهي تعتبر كحلف، من خلال كل المجموعة المُقيمة في نفس المكان. ليس مدهشًا، أن نجد هذه الكلمة، وراء الوالد الجسدي، تعني كل أنواع الحُلفاء، بشرًا كانوا أو غيبيّات، من الذين يتقاسمون نفس المكان، ويساهمون حسب المقدرة في حمايته أو يستفيدون منه، البعض بوصفهم حامين (الذكور البالغون)، والآخرون بصفتهم محميُون (النساء، الأولاد أو العجزة).

**جون - لوي شليغل**

ولكن الحلف يشترط واجبات، حسب ظني؟

**جاكلين الشابّي**

أولى واجبات الآباء وكذا الحليف، يتمثل في أن يكون متضامنًا ويحمي ذويه. ولكن يتمّ له هذا حسب مقدرته، دون مبالغة أو تجاوز لها، خشية أن يُعرّض نفسه وذويه للهلاك. ضمن هذا الإطار، فالتضحية والبطولية الفردية يُنظر إليهما بأنهما بلا جدوى بالنسبة للصالح العام طبعا: فهي قد تضعف المجموعة كلها.

فالحلف يندرج إذن ضمن منطق تعاقدي، ولكنه ليس اعتباطيًّا: إنّه ينتمي لما يمكن تسميته الصالح العام، سواء تعلق بقرابة الدم أو بحليف خارجي مدمج في المجموعة، سواء كان بشريًّا أو غيبيًّا.

**جون - لوي شليغل**

تقولين بأنّ الحلف ذو طبيعة تعاقدية. لقد اعتدنا قول هذا بالنسبة للبشر فيما بينهم. فأنت تطبقينه أيضًا على الإلهي؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، بالتأكيد. فالمصطلحات " حليف" (ولي) و"حلفاء" (أولياء) تنطبق أيضًا على الإلهي في القرآن. في صيغة المفرد، ينطبق على الله بما أن صورته صارت مفروضة: من دونه لا يوجد أيّ حليف إلهي نافع، ولا وجود لغيره يُنجينا وقت الهلاك (السورة42،الآية31 و السورة6،الآية14). لا يوجد له شريك (السورة17، الآية111). أما في صيغة الجمع، فهو يُطبّق على الكائنات الغيبيّة والتي يجب تركها (آلهة، جن، أو شيطان).

ففكرة الخلق المنسوبة إلى صورة إله واحد تعود إلينا مرة أخرى. فالإله الخالق يُعتبر المُتكفّل بمجمل دور الحماية

والرعاية. إنّه الحليف بامتياز. فالاستعمال في صيغة الجمع "أولياء" يحيل إذن إلى حلفاء سيّئون: الذين لا سلطان لديهم ولن ينفعوا الذين انخرطوا بغباء في حلفهم واحتموا بهم.

**جون - لوي شليغل**

ولكن هذه الأفكار، هل تُقبل من طرف الذين وجهت إليهم؟

**جاكلين الشابّي**

معك الحق: فسؤال الاستقبال يبقى مطروحًا وكنت سأجيب بالسلبي. أيًّا كان، فنحن هنا بعيدون عن ذلك الحلف غير المُجسّد مقابل سلطة إلهية قوية وبعيدة. لدينا دائمًا ذلك الانطباع بأنّ الإلهي يتدخّل بشكل مباشر في ملموس العالم المعاش للقبيلة، من أجل الاستجابة لاحتياجاتها بطريقة براغماتية ممكنة.

**توماس رومر**

إذا كنت قد استمعت إليك جيّدًا، أقول إنّ الحقيقة التوراتية هي من جهة مختلفة وقابلة للمقارنة. ولكنني أكدت على ذلك: العلاقة بين يهوه وإسرائيل تُعيد أولًا إنتاج علاقة الملوك الأشوريين بالرجال التّابعين لمالكهم.

## إله مانح

**جاكلين الشابّي**

في القرآن، من الخطأ أن نجعل من الحليف الإلهي حاكمًا. يجب ألا ننخدع بالمفردة القرآنية المتمثلة في "الملك". هذه الكلمة لا تُحيل إلى السيادة، مثلما هو الحال في العالم السامي، بل هي قبل كل شيء تعني الامتلاك، في الواقع، للمخلوقات. فالمالك الإلهي في القرآن لا يعني الملك، عكس كلمة ملك Melek التوراتية. كما لا يعني بالإضافة إلى ذلك دور الإمبراطور الأرضي، ولكن هو ذلك الذي نفهمه من زعيم قبيلة حكيم ونافع، قادر على التجاوب

بشــكل ايجابــي مــع كل التقلبــات التــي قــد تعــترض في كل وقــت، وأنــه يســتطيع تمكــين مجموعتــه مــن النجــاة، أي الاســتمرارية في العيــش.

**جون - لوي شليغل**

مــن خــلال الاســتماع إليــك، نفهــم أن الارتبــاط بالزعيــم، الإلهــي أو البــشري يبــدو كليًّــا، دون أي نــوع مــن الاحتجــاج، بينمــا يوجــد مشــاهد توراتيــة لتمــرّد أو عــلى الأقــل اتهامــات ضــد الإلــه ورفــض للطاعــة تجــاه الزعمــاء البــشر (بالخصــوص بالنســبة لمــوسى).

**جاكلين الشابّي**

يجــب أن نــرى إذن في الرحمــة الإلهيــة المُعلنــة باســتمرار كإعــادة إنتــاج للنمــوذج البــشري المتمثــل في "الزعيــم المانــح"، إحــدى الميــزات الضروريــة واللازمــة لأجــل ممارســة الســلطة القبليــة. ولكــن عكــس المانــح البــشري، فالعطــاء الإلهــي لا يفنــى وغــير محــدود. إنّــه بفعل، الملــك المطلــق الــذي يتّصــف بــه الخالــق، بمعنــى آخــر بســبب ملكــه لــكلّ شيء عكــس الزعيــم البــشري، حتــى وإن كان صاحــب فضــل، فالســيد الإلهــي لا يعــرف الخصاصــة أبــدًا.

فالإلهـــي لا " يحتـــاج إلى أحـــد"، إنّـــه يملـــك كل شيء، ولكـــن أيضًـــا لأجــل الاســتجابة بشــكل جيــد لمتطلبــات البــشر ولتكــن هــذه الاســتجابة متميــزة عــن غيرهــا. فالإلحــاح القرآنــي عــلى الســيطرة الكاملــة عــلى نظــام المطــر مــن طــرف الخالــق، والتــي ســبق وتحدّثنــا عنهــا، هــي مــن هــذه الزاويــة ذات دلالــة كبــيرة.

في وســعنا القــول كذلــك بــأنّ الخالــق الإلهــي هــو في خدمــة اســتمرارية مخلوقاتــه البــشر، وليــس لغــرض الســلطة، أو أيضًــا الســلطة المطلقــة الإلزاميــة. وهكــذا، بالنســبة إليّ، أحــد الاختلافــات الأساســية بــين التــوراة والقــرآن تتعلــق قبــل كل شيء في التعــارض العميــق بــين صــورة يهــوه وصــورة اللــه، بســبب الإطــار الاجتماعــي والبيئــي المختلــف جــدًّا.

**جون - لوي شليغل**

نعم، ولكن هل كلامك هذا يتعلّق بالحقبة الأولى أو الثانية للتمثل القرآني. ألم تتغير الأمور في زمن الخلفاء؟

**جاكلين الشابّي**

بالفعل، عندما يصبح الإسلام بشكل ملموس دينًا للإمبراطورية، سيطرح ذلك العديد من الصعوبات في مجال تفسير النص القرآني. يمكننا تحديد بداية القرن التاسع فترة للانتقال إلى مجال جديد للتمثّل، هي إذن حقبة متأخرة جدًّا. كان يجب الانتظار أن تتمكّن النخبة أولًا، ثم القاعدة الواسعة لجمهور حواضر الإمبراطورية الإسلامية، من تملُّك ما بدأ يصبح دينًا جديدًا، دينًا لم يعد ينظر إليه وفق نموذج حلف خاص لقبائل الجزيرة العربية مع الله. لأنّ إدراج الدين في إطار حلف ضيّق لن يسمح عمليًّا للولاءات الخارجية أن تتكوّن. يجب البقاء على مستوى النموذج الديموغرافي القبلي. من النافع التذكير بأن هذه الحالة لن تسمح باعتناقات-أو بتعبير أدق ولاءات – دون إدماج قبلي مسبق، وهو ما استمرّ لمدة قرن من الزمن، إلى غاية نهاية العهد الأموي، منتصف القرن الثامن. يُؤسفني أنّه بسبب نقص الاهتمام في بحوث الإسلاميات، حتى الحديثة منها، بالنسبة لانثروبولوجيا الحقبة الأولى، هذا السؤال المهم جدًّا، يبدو أنّه غاب بشكل واسع عن البحوث المتعلّقة بالبدايات والقرون الأولى للإسلام.

**جون - لوي شليغل**

ما هو الذي يُميّزك بشكل قوي عن هذه المقاربات المتعلقة بأصول الإسلام؟

**جاكلين الشابّي**

لا أستطيع تقبل مقاربات تستعين بمصادر خارجية ولا تأخذ بالحسبان البيئة المحلية، سواء تلك التي تتعلّق بالجوانب الاجتماعية، والمادية، والسياسية، أو على مستوى الاستعمال

الالسني والتمثّلات الجماعية للمعتقد، من جهة أخرى فالأول لا يمكن أن يتحقّق بدون الثاني. وهكذا لا تؤخذ بالاعتبار لغة القرآن إلّا من أجل البحث عن نقاط تواصل مع لغات سامية أخرى -بالأخص السريانية-، والتي تُعتبر أدبياتها السابقة أو المعاصرة كأصل قاعدي للنص القرآني. وهكذا يتم اختزال هذا الأخير إلى مجرّد تجميع لكتب قراءات سريانية والتي قد تكون انتشرت في مختلف أرجاء جزيرة العرب من أجل نشر وبلا عوائق كلمة الكتاب المقدس 3. أما بخصوص التاريخ المقدس، المُتعدّد الأشكال والمعقّد جدًّا، الموروث عن التقليد الإسلامي الوسيط، فإنّه يغُجّ بالقصص الاسطورية التي تم بناؤها وتغذيتها عبر العصور4. فهو لا يمكن أن يكون غير ذلك في هذا النمط من الإنتاج، الذي ينخرط في إطار ديانة ألفية. ولكن المرور إلى النقد التاريخي لهذا التقليد الاسطوري الكبير والمهم لم يُنجز إلا بطريقة جزئية 5. فجبال من المخيال تفصله عن مدونةCorpus القرآن لم يتمّ في الحقيقة بعد التعرّف عليها.

## تصور قبلي للعلاقة مع الإله

**جون - لوي شليغل**

وضعية البحث هذه التي تبدو لكي ليس فقط مسدودة، ولكن موجّهة بشكل سيّء؟ كيف يكون الخروج من ذلك؟ ومن أين تكون البداية؟

**جاكلين الشابّي**

لنعد للانطلاق من فكرة الحلف. من أجل إدراك الأهمية، يجب ألّا نسقط على ماضي هو ليس ماضينا تصوراتنا لهذه الكلمة. بالعكس من ذلك، يجب فهم حضور هذه الكلمة في وسطها الانثروبولوجي والثقافي الخاصّ بها، يجب عدم تعميم المقاربة حتى ندرك في أيّ فضاء مُتخيّل نحن موجودون.

نسـتطيع أن نوضّـح إذن، أنّ مبـدأ الفـرد لا يُفهـم معنـاه إلّا ضمن الجماعـة، في مجتمعـات القبيلـة للإسـلام الأول، في مجتمـع دون هيكل للدولـة يرجعـون إليـه، بالإضافـة إلى كونـه في وسـط طبيعـي معـادٍ، فالحـل الوحيـد لأجـل الاسـتمرار في الحيـاة هـو الذوبـان داخـل مجموعـة. إمـا أن ننتمـي إلى مجموعـة أو لا نكـون. وهكـذا بالنسـبة لرجـل طـرد مـن مجموعتـه (مثـل محمـد) عليـه حتمًـا أن يجـد مجموعـة أخـرى ينتمـي إليهـا. يجـب تقاسـم كل شيء، مـن المراعـي المؤقّتـة للجمـال إلى مـاء نقطـة المـاء، إذا أمكـن بحكمـة، ومـن خـلال عقـد تحالفـات وتوافـق. وبمـا أنّهـم يمثّلـون ديموغرافيًّـا صغـيرة جـدًّا، لـدى المجموعـات القبليـة وعـي حـادّ بالمخاطـر التـي تهـدّد بقاؤهـا، عـلى إثـر نشـوب قتـال أو كارثـة طبيعيـة. ففـي هـذه الحالـة الأخـيرة، لا تفـوت القـرآن تقديـم مشـاهد مرعبـة، مثـل أعاصـير ريـح صرصر، والتـي حسـب القصـص المحليـة، أهلكـت قـوم عـاد في جنـوب جزيـرة العـرب (السـورة51،الآيات42-41).

تلاحظـون: أنّنـي أعـود إلى فكـرة مُهيّمنـة أكررهـا منـذ بدايـة حوارنـا، ولكنهـا الـشرط المطلـق لأجـل فهـم الحلـف كمفهـوم مؤسـس في القـرآن، حيـث يلعـب هـذا الحلـف دورا رئيسـيا بوصفـه اساسـا للعلاقـات الاجتماعيـة. إن هـذا الترتيـب الاجتماعـي مُكيّـف بشـكل جيّـد مـع محيطـه وإلزامـي ممّـا يجعـل العلاقـات مـع الإلهـي والغيّبـي لا تتـم إلا مـن خـلال الامتثـال لـه. بالإضافـة فالحلـف مـع الإلهـي لا يمكنـه إلّا أن ينتـج حلفًـا بـين البـشر أو بـين مجموعـات بشريـة. لا مفـر مـن ذلـك: فالبنيـة الاجتماعيـة هـي المتحكّمـة في تمثّـلات العقائـد والعلاقـات التـي نتخيّلهـا مـع الغيّبـي. في وسـعنا بالرغـم مـن ذلـك أن نتسـاءل بدورنـا، عـلى ضـوء هـذه الغيريّـة في الكتابـة القرآنيـة: عـلى مـاذا ترتكـز حريتنـا في الإيمـان أو عـدم الإيمـان اليـوم، مـا هـي كيفيّـات وطرائـق عقائدنـا اليـوم؟ فمـن المرجـح المراهنـة اليـوم عـلى ضرورة وضعهـا عـلى نحـو

متماسك مع المضمون الفردي جدًّا للمجتمعات التي نعيش فيها.

**توماس رومر**

في التوراة قد نجد تحالفات بين الإله والملك بصفته فردًا. ولكن هذا الأخير يرمز للمجموعة، الشعب.

**جاكلين الشابّي**

الوضع في جزيرة العرب مختلف تمامًا، فالمجتمعات ذات التسلسل الهرمي، ملكية أو إمبراطورية، غريبة كليًا عن الترتيب السياسي لجزيرة العرب. فزعيم القبيلة ليس سوى الأول من بين النظراء Primus inter pares. تم اختياره، حالة بحالة، بسبب مهارته ليس من أجل القتال وفرض قوته، ولكن لأجل قدرته على التفاوض وفكّ النزاعات وتحقيق توافق داخل مجموعته ومع غيره. لا يمتلك أي قوة للردع، ليس له شرطة وليس له جيش.

عدو الماضي هو في الغالب حليف الغد، خارج إطار الرق، لا نسعى إلى إذلال أو إخضاع الخصم. إنّه في الواقع، خط السلوك المنتهج من طرف محمد في المدينة: عندما يكون ممكنًا، يبدأ بعرض مدروس للقوة، ولكن وبسرعة، نجده يقترح تفاوضًا واتفاقًا. فالرمزية الملكية لممالك وإمبراطوريات الشمال هي إذن غائبة كليًّا في القرآن، لأنّ الاجتماعية المحلية في جزيرة العرب تجهل كل مبدأ تسلطي. إنّه المعنى ذاته للعبارة في السورة2، الآية256 : " لا إكراه في الدين" (فالدين في هذا الاستعمال يجب أن لا يفهم كما هو شائع في الترجمة وكأنه يحيل حصرًا إلى الديانة).

جون - لوي شليغل

في مقطع من سفر الخروج(19،20)، نرى مشهدًا كبير للحلف، مع ثيوفانيا* ضخمة على سفح جبل سيناء قبل إعطاء القانون (الوصايا العشر) للشعب المجتمع. فـ" المجموعة " موجودة هنا، وفي مشهد مذهل. هل يوجد قصص من هذا النوع في القرآن؟

جاكلين الشابّي

لا، لأنه في القرآن، لا يتأتى الحلف بين الحامي والرعية من قواعد يجب الإعلان عنها. فالوظيفة المانحة للإلهي، والتي هي أساس الحلف، تُمثّل منذ البداية أحد القواعد الأساسية للحُجة القرآنية. هي ليست في حاجة إلى مشهد، لأنّها موجودة هنا بالضرورة. فالسورة القصيرة 106 والتي سبق وذكرنا تشهد بشكل واضح على ذلك. إنها تعرض برنامج الحماية الإلهية النشيط منذ البداية والذي يُدعّم يوميًّا استمرار المجموعة. وكأنّنا، مثلما في حالة استعجال حيوي، لا نطرح السؤال حول البداية أو اللحظة الأولى والتي بدأ منها كل شيء. لأن هذا يندرج ضمن اللاّمفكر فيه، حتى لا نقول أنه غير مفكّر فيه أصلا.

لقد لاحظته مؤخّرًا وبالطريقة الصعبة، بأن اكتشفت فجأة أنّه خلال سنوات، لم ألاحظ عدم وجود "للاسطوري الأساسي" في القرآن، لا يوجد "أسطورة رجل أول" ولا لأول "ذكر وأنثى"، ولكن دائمًا هناك تمثّل لمجتمع ارضي في نشاط ويمتلك ما هو ضروري للاستمرار6.

لا وجود كذلك لـ "وصايا" يتمّ تقديمها بصفة رسمية والتي علينا إتباعها. لا نستطيع أن نملي أي شيء على أي شخص في غياب هيكل إلزامي. فما يعادل الوصايا التي تفيد في ضمان التعايش الهادئ والتلاحم الاجتماعي هي دائمة موجودة هنا، من خلال الوظيفة العادية للمجتمع القبلي. هي قبل كل شيء

قوانين عرفية، والتي بالمناسبة "يَمْتثل" لها القرآن- في وسعنا القول- امتثالًا كليًّا. ولا يفوته استنكار كل انحراف في التقيّد بها، وبالخصوص رفض أو نقص التضامن الاجتماعي. بالنسبة للقواعد الاجتماعية الواجب إتباعها، فالقرآن لم يخلق الجديد. فالإبداعات الوحيدة التي يمكن تمييزها تتعلّق ببعض مظاهر العبادة، مثل صوم رمضان (السورة2،الآيات185-183). ولكن عندما نرى سلسلة التدابير التي يضعها الخطاب عنه، يصبح إلزامًا علينا الاستنتاج بأنّ ممارسته لا علاقة لها في أيامه الأولى بالتشديد الذي أحيط به في مراحل تاريخية لاحقة.

## موسى في القرآن

**جون - لوي شليغل**

ولكن، في القرآن، تظل شخصية موسى موجودة؟ ما هو الدور الذي تلعبه؟ هل يتم وضعه بالرغم من ذلك في علاقة مع إعلان الحلف؟

**جاكلين الشابّي**

موسى حاضر في القرآن منذ الأول بصفته شخصية إيجابية جدًّا. يُمثّل بصفته مكلفًا من طرف الرب، يواجه فرعون، من أعنف المستبدين في العالم، الذي بيده " ملك" مصر البلد المزدهر (السورة43، الآية51).

هذه الرواية التي، من الواضح أنّها مستلهمة من القصة التوراتية، تظهر في القرآن في العديد من المناسبات. بعضها إيحائي، وبعضها الأخر يتطوّر إلى مشاهد تروى في أوقات بعينها حول نفس الموضوع. نحن إذن في المرحلة المفترض أنها المكّيّة. حيث يدخل مشهد المواجهة مع فرعون مبكرًا. إذ يتم ذكر الفشل المدوي الذي مُني به هذا الأخير، دون أن يُذكر موسى (السورة89، الآيات11-10). والذي تأتي مهمته المعجزة بسرعة بعد ذلك ( السورة 79،الآية 15).

الإصرار على تقديم شخصية موسى، والتي تحتوي عليها مدونة Coprus القرآن المكي بشكل معتبر (أكثر أهمية في هذه المرحلة بالمقارنة مع شخصية إبراهيم)، يعود بشكل واضح إلى حقيقة كون محمد، الذي لم تتوقف قبيلته عن ردّ دعواه، يمكن تمامًا أن ينتسب إلى سيرة موسى في مواجهة الفرعون المتسلّط. إذ أننا نجد علاوة على ذلك توازي ضمني لمصيرهما فهم "رسل" أسيء فهمهم. نحن إذن لسنا إطلاقًا في منطق، سير الأحداث والمنتظر في القصة التوراتية. ومع ذلك في وسعنا القول إنّ القرآن يشعل النار في كل الخشب باستعمال شخصية موسى لصالح أهدافه الخاصة.

**جون - لوي شليغل**

يبدو إليّ مع ذلك أن القرآن يتكلّم عن الفصل التوراتي المتعلق بالعجل الذهبي.

**جاكلين الشابّي**

نعم، بالطبع، ولكنها ليست ثيوفانيا سفر الخروج 20-19 التي يستعيدها. إنها قصة الخروج 32، مع العجل الذهبي. وبالرغم من ذلك نحن لسنا مع صورة مطابقة Fac-similé للقصة التوراتية، لأنّ القرآن يقدم روايتان متناقضتان إلى حد ما حول فصل العجل الذهبي. الأولى (السورة20، الآيات97-86) والتي تنتمي إلى ظروف مكة. إذ أنها لا تتقيّد إطلاقًا بالهدف التوراتي من خلال تبرئة "بني إسرائيل"، الذين يُعتبرون شعب موسى. أما شخصية "السامري" الغريبة فإنّه يتمّ شجبها لأنه هو من أمر الشعب بالعصيان وصناعة العجل. هذه الشخصية ستختفي كلّيًا في الرواية الثانية، التي تنتمي إلى ظروف المدينة، في لحظة يظهر فيها السجال بين محمد وقبائل يهود الواحة وقد انفجر وبلغ حدته. فالسردية هنا هي أكثر تناغمًا مع الحدث بالمقارنة مع الأولى التي تُمثّل حدوث الفعل للقصة التوراتية.

أن يبرّئ القرآن "بني إسرائيل" يعود طبعًا إلى رهانات خاصة. في مكة عندما لم يدخل صاحب الوحي القرآني في اتصال عيني مع أي من ممثلي اليهودية في عصره، فالصورة المُتخيّلة حول " بنو إسرائيل " تفيده كمرجع وملجأ في مقابل قبيلته العدو، كما سبق بالمناسبة وذكرنا. إنهم الشعب المختار الذي يتمتّع بالرعاية الإلهية، وعلماؤهم من "العارفين" (السورة45، الآية16؛السورة 26،الآية197).

**جون - لوي شليغل**

في الرواية الثانية- المدنيّة- لقصة العجل الذهبي، توجد إشارة إلى الوصايا العشر؟

**جاكلين الشابّي**

القصة الثانية هذه تحتوي على ذكر " ألواح " موسى عدة مرات. واضح أن هذه الكلمة هي المرادفة العربية لـ "اللوحات الصخرية " سفر الخروج 24،12. فالمادة ليست هي نفسها: في العربية، الألواح هي خشبية. فالقصة تُعيد إنتاج كليًّا، ولكن مع بعض الخلط، المشهد التوراتي، مع الاحتفاظ بشكل خاص بمظاهر العنف فيه. هذه المرة في الحقيقة، لم يتمّ تبرئة بني إسرائيل، ولكنهم يصبحون متهمين بشكل مباشر. إنهم هم المخطئون. ولكن على نقيض مذبحة سفر الخروج 32،27-28، المرتكبة من طرف اللاويّين بأمر من موسى، السبعون رجلًا الذي يصطحبونه لأجل الإجابة أمام الرب عن جرائمهم، نجدهم ينجون بفضل الرحمة الإلهية.

إنّه في هذه اللحظة حيث يتعلّق السؤال بما هو مسجل باختصار على الألواح الخشبية. إذ يقال بكل بساطة إنّ ما هو مكتوب يمثل " وصية نافعة " موعظة، والتي تنطبق على كل شيء. إنّه لا يعني أبدًا وضع سلسلة قوائم لأوامر ذات طابع إلزامي، ولكن تبيان طريقة التصرّف في مختلف الحالات واتخاذ

القرارات المناسبة. إنّه بالضبط ما يمثل المسؤولية الخاصة بكل صاحب أسرة، أو سلالة، أو عشيرة. يُشار- لاحقا - لهذه الألواح بوصفها " هداية" و"رحمة" من طرف الرب: لقد أراد أن يقدّم هذه النصيحة المفيدة لحلفائه البشر الذين هم تحت رعايته (السورة7،الآية154) نلاحظ إذن أنّ مبدأ السلطة السائد في الخطاب التوراتي يغيب هنا كليًّا، لأنّ الظرف الاجتماعي مختلف كليًّا.

**جون - لوي شليغل**

لأجل الانتهاء من موضوع الحلف هذا، أحبّ أن أسأل إذا كان القرآن مثل التوراة يحتوي أيضًا على تذكير لأجل تذكّر الحلف الذي تمّ عقده بطريقة رسمية. ألا يوجد أي شيء من قبيل: " تذكروا الحلف والهبة الإلهية التي منّكم الله بها!"

**جاكلين الشابّي**

لا في الحقيقة ليس هو الحال، في جميع الأحوال وفق الشكل الذي ذكرتم، لأنّه لا يوجد حلف متعاقد على طريقة الثيوفانيا الموسوية التوراتية (ولا حتى في شكلها البسيط). في المقابل وكما سبق وقلت، فالتذكير بنعم الإله متواصل في القرآن. ليس لأننا نتذكر "استعارة" من الخارج، ولكن لأنّ الصيرورة الاجتماعية ترتكز حول الهبة وما يقابل الهبة. فصاحب النعم مطالب بأن يهب، دون أن يُؤذي ذلك رفاهيته الشخصية، لأنّه من واجبه المطلق ضمان المحافظة على أسرته. أمّا الذي يتلقى، المستفيد من النفع، عليه في المقابل إظهار العرفان بالهبة. إنّها المعنى الأساسي للشكر الذي يُعبّر عن ذلك.

إنّ دخول الوظيفة الخالقة إلى المشهد والمنسوبة إلى سلطة إلهية يأتي بكل تأكيد من الخارج. ولكنها تفيد في توسيع وتعظيم عمل عقلي راسخ مسبقًا وبشكل صلب في الذاكرة الجماعية وفي اجتماعية القبائل. إذن، بالطبع، فالعبارة " ذكّر "

مســتعملة بكثــرة في القــرآن. ولكــن هــذا لا يحيــل بــأيّ شــكل مــن الأشــكال إلى مراســيم افتتاحيــة لأجــل عقــد الحلــف (أو أي حــدث تاريخـــي آخــر).

1.Les Trois Piliers de l'islam. Lecture anthropologique duCoran,Paris,Seuil,"Points Essais",2018(2016).

2. انظــر الفاصــل الســابع،" بيئــة القــرآن والتأثــيرات التوراتيــة"

3.انظــر الفاصــل الســابع،" بيئــة القــرآن والتأثــيرات التوراتيــة"

4.انظــر الفصــل التاســع،" مــن قــرآن القبائــل إلى حديــث المعتنقــين"

5.Jacqueline Chabbi,Le Seigneur des tribus.L'islam de Mohamet,Paris,Noésis 1997,rééd. CNRS 2010 ;Tilman Nagel,Mahomet.Histoire d'un Arabe,invention d'un prophète, trad.Jean-Marc Tétaz, Genève,Labor et Fides,2012.

6.On a perdu Adam.La création dans le Coran,Paris,Seuil,2019

* ثيوفانيا Théophanie ظهورأو تجلّ إلهي

# بيئة القرآن والتأثيرات التوراتية

**جون - لوي شليغل**

هل في وسعنا، تقريبًا، إعادة رسم الخارطة الدينية لشبه الجزيرة العربية، قبل الخطاب القرآني، خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد؟

**جاكلين الشابّي**

لقد بقيت جزئيًا شبه الجزيرة العربية على هامش المناطق التي عرفت التوثيق في الشرق الأدنى والأوسط ومصر. فالمصادر الإسلامية للتأريخ الوسيط تعود في الأقرب إلى منتصف القرن الثامن، بعد 750م، مع دخول الأسرة العباسية المشهد، والتي ستعمل قريبًا على تأسيس عاصمتها بغداد. قبل العباسيين، الأسرة الأموية (661 م-750م)، ذات الأصول المكية، والتي بقيت قريبة من وسطها الأصلي. لكن، عكس العباسيين، لم يكن للأمويين رواة. لقد حكموا إمبراطورية، ولكن بقيت لديهم الكلمة والذاكرة قبل كل شيء شفهية، على طريقة الشعراء الارتجاليين الذين كان العديد منهم يترددون على البلاط، كما سبق وقلت. قبلهم لم يكن لدينا سوى النص القرآني، والذي يبدو أنّه بلغ مرحلة الثبات في منتصف ونهاية القرن السابع (حوالي650 م و700م). عند قراءته، في وسع كل واحد ملاحظة أنّه خلال الحقبة التي تتوافق مع مرحلة المدينة، فالقرآن

يثير جدلًا عنيفًا ضد خصم معاصر له: يهودية المدينة.

على الرغم من أنّه لم يصلنا أي شيء بشكل مباشر (من غير القرآن) في أي شكل كان، فذلك يبرهن على حقيقة وجود يهودية متمركزة بشكل صلب في شبه جزيرة العرب، على أيّ حال في الواحة الكبيرة للمدينة. أوّل التأريخية الإسلامية، والمؤيّدة بواسطة عدة إشارات قرآنية، تذكر ثلاث قبائل أساسًا من المزارعين والذين قد يكونون تعايشوا،في إطار حلف قبلي تقليدي، مع قبيلتين وثنيتين. تذكر التأريخية العباسية الأولى أيضًا واحة خيبر الغنية التي تقع شمال المدينة، والتي كانت كلها ملكا لليهود.

## يهود المدينة

**جون - لوي شليغل**

كيف يمكنك اكتشاف الحضور اليهودي في القرآن في الحقبة المدنية ؟

**جاكلين الشابّي**

بعض الكلمات الواردة في القرآن لا يمكن أن تكون إلّا ذات أصول يهودية: مثلًا، كلمة عربية تشير إلى أسفار التقليد اليهودي. هذا الحضور اليهودي، سواء في يثرب (الاسم القديم للمدينة) أو خيبر يبدو إذن أنّه قديم. قد يعود إلى عدة قرون، سواء بسبب سياسة الطرد في الحقبة الرومانية أو أنه ظهر فقط بعد عام 300 م، عندما صار اليهود منبوذين في الإمبراطورية البيزنطية. الكثير من القرائن القرآنية تدفع إلى التفكير في أنّه يتعلّق بيهودية نشطة جدًّا والتي تنشط بتوجيه من معلمين (ربانيين)، والذين كان صاحب الوحي القرآني في البداية يعاملهم بكثير من الاحترام (السورة3،الآية79) والذي أراد التحاور معهم قبل أن يُواجه برد عدم الاستجابة (السورة 5،الآية41؛السورة3،الآيات65-64).

**جون - لوي شليغل**

هنا نحن في المدينة. فيما سبق، كنا في مكة؟

**جاكلين الشابّي**

بالنسبة لمكة، لا توجد أدنى إشارة للحضور اليهودي أو المسيحي في القرآن. في نص الحقبة المكية، يسمى الأتباع السابقون ممن وصفهم القرآن بأنهم أهل "الكتاب" بـ " بني إسرائيل"، العبارة ذات الدلالة الايجابية كما سبق وقلنا. لم يصنفوا كـ " يهود" 1أو "نصارى"- لأجل الإشارة إلى المسيحيين-، إلا في مرحلة لاحقة، فيما يعتبر إحالة إلى حقبة المدينة، والتي خلالها صار محمد على اتّصال مباشر مع اليهود المحليين. إنّه أيضًا في هذه المرحلة فقط ظهرت أسماء الكتب المقدسة السابقة، التوراة، والإنجيل، هذا الأخير الذي ينظر إليه على أنّه كتاب يسوع، على النموذج القرآني " كتاب لشعب".

تجدر الإضافة أيضًا أن العبارة الشهيرة " أهل الكتاب "، المستعملة بكثرة اليوم لتشريف العلاقات التي تجمع الديانات المسماة "إبراهيمية"، لم تظهر قبل حقبة المدينة. وعكس يومنا فهي لم تكن أبدًا ايجابية. هذه العبارات تحيل إلى حالة غير معهودة تضع صاحب الوحي القرآني في مواجهة مع محاورين جدد: يهود المدينة. إنّها تندرج ضمن الحجّيّة والتي تريد الإقناع، ثم تعمل على الشّجب بشكل عنيف، كل الذين لا يريدون الاعتراف، "بالكتاب" الجديد الذي يدّعي محمد أنّه أرسل إليه لأجل تبليغه لذويه.

**جون - لوي شليغل**

لم يوجد مسيحيون في المدينة؟

**جاكلين الشابّي**

لا. في حقبة المدينة نجد عبارة مشتركة " بنو إسرائيل" والتي يبدو أنّها تستمر في تجميع كل الوحي السابق. ما أنزل على موسى، يضاف إليه ما أنزل على يسوع" ابن مريم". يجب

الإشـارة إلى أن اسـم يسـوع، ظـل مجهـولًا في المرحلـة أولى. في المرحلـة المكيـة، إذ يتعلـق الحديـث بـكل بسـاطة بالميـلاد المعجـزة، ذلـك الذي "لابـن" مريـم (السـورة 19،الآيـة19).

الوضعيـة مختلفـة كثـيرًا في الإنتـاج التأريخـي الأول في نهايـة القـرن الثامـن. نقـرأ قصـة خرافيـة تصنـع مشـهدًا لحضـور مسـيحي نسـطوري 2 في المحيـط الأسري القريـب لمحمـد، وهـذا منـذ البدايـة، في مكـة.

**جون - لوي شليغل**

ولماذا هذه "الخرافات"؟

**جاكلين الشابّي**

يمكننـا التفكـير بأننـا أمـام حالـة لعمليـة أدلجـة. يمكننـا البحـث عـن الأجوبـة لـدى هـذه الطائفـة المنشـقّة عـن بيزنطـة، والتـي كانـت متواجـدة بكثافـة في العـراق وإيـران أيـن شـيّد الخليفة العبـاسي مراكـز لسـلطته في منتصـف القرن الثامـن. هـذه المجتمعات المسـيحية- مـع التذكـير، بأنّهـا بـدون علاقـة مـع بيزنطـة - قـد حاولـت عـلى الأقـل بالنسـبة لعـدد كبـير منهـم الاندمـاج، في الديانـة الجديـدة قيـد التشـييد، أو عـلى الأقـل إلى المجتمـع المتعـدّد ثقافيًّـا والـذي بـدأ يتأسّـس. أن يضعـوا قـدم حضورهـم الأولى إلى جانـب من سـيصبح نبـي الإسـلام المبجّـل سيسـمح لهـم باكتسـاب الشرعيـة والتـي تذكّرهـم بمـاضٍ بطـولي يتباهـى بـه مسـلمو عصرهـم.

إنّـه مـن المشـكوك فيـه إلى حـد كبـير أن يكـون قـد وجـد مسـيحيون في المنطقـة مـن شـبه الجزيـرة العربيـة أيـن ظهـرت الحركـة السياسـية لمحمـد المدينـي. فالمواجهـة الأيديولوجيـة الحقيقيـة لا يمكـن أن تكـون قـد حدثـت قبـل الحقبـة الأموية،عندما اسـتطاعت الخلافـة الأمويـة، التـي خرجـت مـن النزاعـات الداخليـة، قـد اسـتطاعت أن تحقّـق الاسـتقرار لأجـل القـدرة عـلى اسـتخدام خصوصياتهـا الدينيـة في مواجهـة الإمبراطوريـة البيزنطيـة، الخصـم

الوحيد الذي استطاع أن يصمد أمامها. في الواقع، إنّه فقط منذ هذه الفترة تظهر الكتابات الفخمة، المنجزة لأجل أن ترى من طرف الجميع كتحدي ديني أكثر منه سياسي، بأنّ محمد "عبد الله ورسوله" يخلف عيسى، والذي بدوره يوصف بنفس النعوت. إنّه ما تسجله الكتابات الموجودة على مسجد قبة الصخرة في أورشليم، على الجدران الخارجية والداخلية للمبنى. نحن إذن في 692 م. فالمثل القرآني لحضور جسدي لمسيحيين في السياق المكي هو مجرد تخمين.

**جون - لوي شليغل**

التأريخية المتعلقة بأصول الإسلام بدءًا من القرآن هي إذن مهمة ولكن غير يقينية في الكثير من الجوانب. ألا يوجد مصادر خارجية؟

**جاكلين الشابّي**

يوجد، طبعًا، ولكن شبه جزيرة العرب شاسعة لا يمكننا المغامرة فيها من دون دفع الثمن. فالمصادر الخارجية قد تأتي من بعيد. قد تأتي بشكل عام من الأوساط المسيحية للشرق الأوسط: فأصحابها قد صاروا رعايا للخليفة، مثل أسرة (يوحنا الدمشقي المتوفى عام 749م)، إذ أن أفراد أسرته بمن فيهم هو كانوا في خدمة الخليفة في وظائف تتعلّق بالجباية، بعد أن خدموا في الإدارة البيزنطية؛ البعض الآخر منهم كان رحالة أو كان زوّار. في وسعنا القول، على أية حال، أنّ أصحاب هذه الشهادات، الموجّهة بشكل قوي من الناحية الدينية، ليسوا شهود عيان. هم على العكس من ذلك بعيدون. كما أنهم ليسوا معاصرين للأحداث وملاحظاتهم هي من جهة جزئية ومن جهة أخرى تقريبية.

**جون - لوي شليغل**

في هذه الحال، أي ائتمان نمنحهم؟

**جاكلين الشابّي**

مـن أجـل فهـم الجغرافيـا الدينيـة لشـبه الجزيـرة العربيـة للقرنـين الخامـس والسـادس ميـلادي يجـب العـودة إلى البحـث الحديـث، إلى العمـل الميدانـي للاركيولوجيـين وبالخصـوص إلى الابيغرافيـين Epigraphes. في الواقـع، خـارج مواقـع النبطيـيّن في الشـمال الغربـي لجزيـرة العـرب، حـول مدينـة الحجـر القديمـة، وأيضًـا بعـض الآثـار اليمنيـة مثـل معابـد مـأرب، لا يوجـد أي معالـم للدراسـة. فجزيـرة العـرب عبـارة عـن حقـل للصيـد بالنسـبة للذيـن يفكّكـون شـفرات الكتابـات البسـيطة المختـصرة. باسـتثناء بعـض النصـوص المقتضبـة المنحوتـة عـلى الصخـور لأجل الاحتفـال بانتصـار أو انجـاز هـذا الحاكـم، فـإنّ الكتابـات تنحـت في الغالـب بشـكل مبـاشر عـلى الصخـر، عـبر الطـرق المحاذيـة للوديان القريبـة مـن الممـرات.

**جون - لوي شليغل**

ليـس لدينـا وثائـق مبـاشرة حـول مواقـع الجزيـرة الغربيـة، حـول مكـة والمدينـة؟ مـاذا إذن بخصـوص المناطـق الأخـرى المحاذيـة؟

**جاكلين الشابّي**

مـن خـلال اسـتغلال الاكتشـافات الحديثـة، في وسـعنا الحديـث، فيمـا يخـصّ القرنـين السـابقين لظهـور الإسـلام (اسـتعمل هـذه التسـمية بموجـب اتفـاق)، عـن مناطـق توحيديـة. البيـت الأسـاسي هـو اليمـن، عـلى الأراضي المسـقيّة في جنـوب شـبه الجزيـرة والتـي يسـميها الرومـان العربيـة السـعيدة Arabia Felix.

لقـد بـدأ مواطنـون موحّـدون في التمركـز فيهـا منـذ القـرن الرابـع للميـلاد، في إطـار مملكـة حمـير. في نهايـة هـذا القـرن، يتخلّي الحاكـم الحمـيري كليًّـا عـن معتقـدات الأجـداد، وبالخصـوص عبادة النجـوم، ومعابدهـا لأجـل اعتنـاق اليهوديـة. أكثـر مـن كونهـا بـكل بسـاطة خيـارًا دينيًّـا، يجـب بـلا شـك أن نـرى فيهـا إرادة مركزيـة

تضـع الحاكـم الـذي يسـعى لبسـط هيمنتـه تحـت حمايـة إلـه خالـق واحـد. عـلى الضفـة المعاكسـة للبحـر الأحمـر، نجـد المسـيحية ذات النسـخة المونوفيزيـة* ، متبنـاة مـن طـرف ملـوك اكسـيوم الإثيوبيـين، أيضًـا منـذ القـرن الرابـع للميـلاد. مسـيحية مـن نفـس النسـخة سـتظهر بدورهـا في اليمـن في النصـف الثانـي مـن القـرن الرابـع للميـلاد. يبـدو أن جـزءًا عـلى الأقـل مـن الحميريـين قـد تبنـاه. لكـن يبـدو أنّ اليهوديـة بقيـت موجـودة. فالكتابـات في مختلـف اللغـات وبمختلـف الأحـرف التـي تنتمـي لجنـوب جزيـرة العـرب المكتشـفة في اليمـن مـن طـرف الاركيولوجيـين والابيغرافيـين تشـهد بـلا شـك عـلى هـذه التحـولات الدينيـة المهمـة، والتـي طبعـا ولـدت نزاعـات متعـددة.

**جون - لوي شليغل**

هـل في وسـعنا العـودة إلى المـكان واللحظـة لميـلاد الكلمـة القرآنيـة الأولى، قبـل تأسيسـها أو تثبيتهـا كـ " قـرآن مكتـوب"؟

**جاكلين الشابّي**

لقـد سـبق وذكـرت مـا يمكـن اعتبـاره المرحلتـين المتتاليتـين للـكلام القرآنـي، المكيـة والمدنيـة. في المدونـة Coprus المسـماة " مكّية "، أيـن نجـد أنفسـنا أمـام أفـكار جديـدة وقصـص، والتـي هـي بـلا شـك وكليًّـا مسـتمدة مـن الحقـل التوراتـي. ولكـن قـرآن هـذه الحقبـة لا يميّـز بـين اليهوديـة والمسـيحية، لأنّ مـا يهـم بالنسـبة لهـم، كمـا سـبق وقلنـا، أنّهـم فقـط "بنـو إسرائيـل". يجـب أن نفهـم جيّـدًا أنّ مـا نسـميه "اسـتعارات" القـرآن هـي عبـارة عـن مشـاركة في مسـار مـن الاقتبـاس لأجـل الاسـتجابة لرهاناتـه الخاصـة. وأنّ الـكلام القرآنـي يتملـك هـذه الاسـتعارات التوراتيـة بطريقـة سـهلة ولا يمكـن لأي ممثّـل لليهوديـة أوالمسـيحية أن يعـترض عـلى أمـر مـا. يمكننـي القـول إنّ القـرآن يبـدو وكأنّـه يكلـم نفسـه: فالاعـتراض الوحيـد يأتيـه مـن ذويـه.

في نهاية الحقبة المكية، قبل النفي الإجباري لمحمد، لا أحد يفهم صاحب الوحي، يتعلّق الأمر فعلًا بوجود مصدر مُبلغ ينقُل إليه هذه القصص والتي ترفضها القبيلة، لأنّها غريبة على تقاليد الأجداد. لا يُنكر القرآن هذا الحُضور، ولكنّه يؤكّد أنّ وجود غريب " الذي لغته الأصلية ليست العربية "، لا يمكنه نقل الخطاب بهذه اللغة إلى محمد (السورة16،الآية103). فقرة أخرى تتهم "أشخاص آخرين"، بمعنى أشخاص "ليس منا". ينقلون إلى صاحب الوحي المزعوم قصص تعود إلى القدماء الذين لا نعرفهم (بمعنى أخر ليسوا من نسب القبيلة). وهذا الأخير يكررها، لنقل اليوم، كببغاء. انه وفق هذه الكلمات تتلخص الاتهامات المكية ضد محمد (السورة25،الآيات5-4).

نجد هنا العبارة ذات الطابع الانثروبولوجي: القيم المشتركة للقبيلة ترتكز على الوفاء لنسب محدد،والذي ننتمي إليه. صاحب الوحي المكي المرفوض من قبل ذويه، لا يستطيع بالرغم من ذلك هو أيضًا أن يتملّص من ضرورة الانتماء إلى نسب واضح. بسبب غياب الآباء من القبيلة، نجده يعود إلى السابقين (نوح، إبراهيم، موسى) الذين يمثلون الرموز ذات الأصول التوراتية التي يقدمها المشهد القرآني والذين يفترض أنهم أبلغوا أممهم رسالة مشابهة. وهكذا يسجّل محمد نسبه ضمن الموحى إليهم من خلال جعل الماضي هو القبيلة.

## تأثير توراتي؟

**جون - لوي شليغل**

ومع ذلك، تُولي الأعمال اليوم مكانة هامة لـ " توراتية قرآنية". فالقرآن نصّ يسجل حضورًا توراتيًّا، كلمات توراتية، قصص توراتية. هل يمكننا استخلاص بأنه تأسّس في البداية من طرف دعاة أو كتبة يعرفون قليلًا أو كثيرًا التوراة؟

**جاكلين الشابّي**

تعلمون، في اعتقادي: أسجل نفسي ضمن اللذين يعتبرون من الخطأ هذه المقاربة السائدة اليوم في الدراسات القرآنية والأوساط الأكاديمية الدولية. خطأها الكبير، في اعتقادي، أنها لم تول أبدًا اهتمامًا لوجود واقع تاريخي يحيل إلى وسط بشري محدد، في فضاء جغرافي مُقيّد، والذي يجب مساءلة نمط العيش فيه، بالمعنى الملموس للكلمة، لأجل أن نفهم فيما بعد فقط كيف، أن الديني، أي نمط من الاعتقاد، تكيّف. إذ أن الظروف المكية والمدنية تمثل في هذا الصدد حالة مدرسة حقيقية.

من المؤكّد أنّه يمكننا الحديث عن إنسان توراتي، ولما لا. ولكن علينا مسبقًا القول متى، وأين ومن هو المقصود. من دون ذلك، فإننا نخترع محيطًا خياليًا. وهكذا، ننسى الرجال الحقيقيين في مادية وجودهم اليومي. إذ كما استطعت، أعتقد، أنني برهنت عليه في إحدى كتبي الأخيرة، فالنص القرآني يعجّ بالعناصر التي تسمح بإعادة اكتشاف مادية المكان الاجتماعي بسبب خصوصيته ذاتها. لأجل فهم القرآن، يجب أن ننطلق منه ومن واقعه، وليس من النصوص التوراتية. رجال التوراة، لم يوجدوا في مكة. ولهذا السبب تحديدًا نجد أن العناصر التي استعارها القرآن من التوراة بدت غريبة بالنسبة للمكيّين، سواء تعلّق الأمر بالأفكار الكبيرة مثل الحساب أو الخلق، أو بالقصص المجزّأة نسبيًا لموسى، إبراهيم أو نوح.

**جون - لوي شليغل**

بالضبط، هل في وسعك أن توضّحي بعض الشيء عن هؤلاء الآخرين؟

**جاكلين الشابّي**

لا يمكننا أن ننكر أن النص قد يتضمن تلميحات، ولكن علينا بذل جهد لنرى ما يوجد خلف الديكور، والتساؤل عن الآلية

التي تم إرساؤها. سنكتشف أن الأمر لا يتعلق أبدًا بالوفاء لأصل ولكنه تم الشروع في إعادة تهيئة العناصر المستعارة، من أجل الاستفادة منها واكتساب القدرة في مواجهة تحدّيات محلية، على وجه التحديد اكتساب ضمانات ضد كل التقلبات التي تُهدّد المستقبل المشترك للقبيلة.

أقلّ ما يمكن قوله إنّ الزرع التوراتي، حتى الذي تمت صياغته قرآنيًّا بشكل مناسب، لا يبدأ في مكّة. يمكننا الذهاب بعيدا أيضًا من خلال التساؤل إلى أيّ حد تم الانتساب للخطاب، حتى فيما بعد، كما نتخيّله في الغالب اليوم، إذا أجرؤ على القول، بنوع من السذاجة، وهذا حتى في الظروف غير الإسلامية. في كل الأحوال في وسعنا القول أنه في مكة، " لا يوجد توراتي " واحد جاء لنجدة صاحب الوحي غير المفهوم من طرف ذويه، ليؤيّده بواسطة سلطته بهذه القصص التوراتية المحتملة التي يذكرها للتبرير.

أول مواجهة حقيقية مع رجال التوراة حدثت في المدينة، في مواجهة اليهود المحليين. وهذا سيتسبّب في مراجعة مفجعة للأوهام المكيّة حول "بني إسرائيل". فالذي يصبح الرسول/ النبي، والذي يدخل من الآن فصاعدًا المجال السياسي، لا يتخلّى رغم ذلك عن نسبه البديل. بالعكس من ذلك، في مواجهة حاخامات المدينة الأعداء، فإنّه يسجل نفسه بشكل صريح ضمن خط من يعتبرهم سبقوه. فالخطاب القرآني في المدينة سيجعل من إبراهيم المؤسّس، بأمر إلهي، للكعبة والمُفتتح لطقوسها (السورة2، الآيات127-125). إنّه ما اسميه بـ: "خطف إبراهيم".

جون - لوي شليغل

لقد قمت باستدعاء إحدى فرضياتك. هل يمكنك أن توضحي لنا أكثر الطريقة التي تعتمدينها للوصول إلى الخلاصة التي

تستنتجينها؟

**جاكلين الشابّي**

سأجيب بكلمة: الواقع! أن نكتسب واقعًا تاريخيًّا مناسبًا. إذ أنّ الواقع، هو محيط طبيعي من جهة وإنساني في نفس الوقت. ولكن هذا قد يعني أيضًا وجودًا لنص ما في علاقة مباشرة معه. في هذه الحال، يجب النظر إلى هذا النوع من النصوص على أنها تعبّر عن مخيال الواقع، أي المجتمع البشري الذي يسكنه. فالآلية تقوم على أساس الانطلاق من الداخل لمعرفة كيفية اندماج الخارجي. الانطلاق من الحقل التوراتي لأجل الوصول إلى القرآن، بشكل عكسي، يمثّل خطأً كبيرًا على مستوى المنهج. أن ننطلق وفق هذا الأسلوب، سنجهل الواقع الذي ينبع منه الخطاب. كما أننا نجد في هذه الحالة أيضًا غيابًا لعلاقة الدراسات القرآنية مع العلوم الاجتماعية، وبالخصوص، الانثروبولوجيا التاريخية. إنها فعلًا الطريقة التي تفرض نفسها عندما يتعذّر الحصول على وثائق من النوع الكلاسيكي، وهو الحال بالضبط بالنسبة للقرآن.

**جون - لوي شليغل**

أفهم ما تقولين فيما يخص المدينة. لكن، كيف يمكننا إذن فهم وجود العديد من المرجعيات التوراتية في القرآن في الحقبة المكية؟

**جاكلين الشابّي**

توراتية القرآن في الحقبة المكية هي بلا منازع حدث كثيف. إذ يجب القيام بتقييم تاريخي صحيح من خلال التساؤل فيما ينفع وجوده في الحجّيّة القرآنية وبالخصوص بالنسبة إلى من.

نحن إزاء اقتباس. يمكننا الذهاب إلى القول إنّ هذا النوع من الاستعارة هو ما يميّز الضواري. فالرموز المستعملة يتم توظيفها لأجل أن تخدم الحجيّة القرآنية ورهاناتها الخاصة،

وهـذا بطريقـة اسـتثنائية. لقـد قلـت: لا يتعلّـق الأمـر أبـدًا بإعـادة إنتـاج فقـرة توراتيـة كمـا كانـت في المدونـة COPRUS الأصليـة. وهكـذا، فشـخصية فرعـون ذكـرت قبـل مـوسى (السـورة89، الآيـة10). فالغايـة هـي توضيـح مشـهد القـوة الإلهيـة الخارقـة، التـي تسـتطيع إفنـاء ملـك أرضي، مهمـا كـبرت قوتـه، أو شـعوبًا بكاملهـا (أسـطورة قـوم عـاد في الجنـوب الكبـير لجزيـرة العـرب، وثمـود في الشـمال الغربـي، في هـذه السـورة). أشـخاص مـن التوراة المُتخيّـل، يوجـد العديـد مـن هـذه القصـص منـذ الحقبـة المكيـة. إنهـم من يسـمي القـرآن بـ"بنـي إسرائيل". إنّهـم يعتبرون مسـجّلين ضمـن سـلالة الرمـوز المؤسّسـة، والتـي هـي أيضًـا توراتيـة: تلـك التـي لنـوح، وإبراهيـم وكذلـك أيضًـا مـوسى، الـذي هـو الشـخصية المهيمنـة في الحقبـة المكيـة. ففـي كلّ مشـهد لشـخصية توراتيـة، نسـتطيع إذن أن نكـون عـلى يقـين بـأن الهـدف هـو للاسـتجابة لغايـة خاصـة للخطـاب القرآنـي لأجـل دعـم حجّيتـه في مواجهـة خصومـه مـن القبائـل.

## اقتباس توراتي

**جون - لوي شليغل**

تردّديـن بأنّـه لـم يوجـد في مكـة أي حضور يهـودي أو مسـيحي. كمـا قلـت لنـا أيضًـا أنّـك تعتبريـن مـن الخرافـة القصـص التـي ذكرهـا التقليـد الإسـلامي والتـي تفـترض حضـور نسـطوري في المحيـط القريـب لمحمـد. لكـن السـؤال يبقـى مُعلّقًـا: مـن أيـن أتـت إذن الرمـوز التوراتيـة التـي تقولـين عنهـا "مقتبسـة"؟

**جاكلين الشابّي**

السـؤال مطـروح. لا يمكننـا التخيّـل بأنّنـا في محيـط لـه اتّصـال مبـاشر مـع مدونـة Coprus توراتيـة حـاضرة في المـكان، والتـي تحتـوي عـلى نصـوص للديانتـين،في أي شـكل مـن الأشـكال، قانونية، مدراشـية، تلموديـة أو منحولـة. في اعتقـادي، الجـواب موجـود في

الجنـوب، بالرغـم مـن المسـافة الهائلـة (أكثـر مـن 1000كلـم،أي مسـافة شـهر سـيرًا) والتـي تفصـل المدينـة المكّيّـة عـلى شـمال اليمـن. إنّـه، حسـب كل احتمـال، مـن البيـت اليمنـي التوحيـدي منـذ أكثـر مـن قرنـين تأتـي قصـص "بنـي إسرائيـل" التـي يقتبسـها القـرآن في هـذه الحقبـة الأوليـة. المصـدر الثانـي الممكـن، يوجـد في الـشرق الأوسـط، شـمال جزيـرة العـرب. ولكـنّ فرضيـة التأثـير المبـاشر لـلأراضي المسـيحية الموجـودة في شـمال الجزيـرة تبقـى قليلـة الاحتمـال. المسـافات هـي أيضًـا كبـيرة، وبالخصـوص، عنـد مغـادرة حـدود شـبه جزيـرة العـرب، فإنّنـا ندخـل عالمًـا اجتماعيًّـا يختلـف كليًّـا، أيـن يوجـد تشـكيل حـضري لا علاقـة لـه بالاجتماعية القبليـة للجانـب الغربـي مـن جزيـرة العـرب، وبالخصـوص فيمـا تعلّـق بحالـة مدينـة معزولـة مثـل مكّـة. هـذه الملاحظـة لا تنطبـق عـلى اليمـن، إذ نحـن فيـه لا نـزال ضمـن البيئـة القبليـة.

أكـرّر بالإضافـة أنّـه يجـب اسـتبعاد ذلـك بسـبب الخرافـة التقليديـة التـي تـرى في المكيّـين رحّالـة في قوافـل كبـيرة ينتقلـون من شـمال إلى جنـوب الجزيـرة الشاسـعة، أيـن- الفرضيـة اللامعقولـة والمؤيـدة بالرغـم مـن ذلـك مـن طـرف بعـض الإسـلاميين-، التخيّـل بأنهـم يمتلكـون أراض في منطقـة أورشـليم.

**جون - لوي شليغل**

الانتقـال التوراتـي حـدث إذن منطلقًـا مـن اليمـن. ولكـن في أي شـكل؟

**جاكلين الشابّي**

قبـل اللقـاء المكثّـف والعينـي مـع يهـود المدينـة، ظـل الانتقـال بـلا شـك رهـن السـجل الشـفهي. نسـتطيع مـن جهـة اسـتخلاصه والحكـم عليـه مـن خـلال المفاجـأة والاسـتهجان الـذي يسـتولي عـلى حامـل الـكلام القرآنـي في مواجهـة التقليـد الكتابـي لحاخامـات المدينـة: أنّهـم يجـرؤون عـلى "الكتابـة بأيديهـم" الكتـاب (الكتـاب

في مدلولــه كرســالة غيبيــة ثابتــة) والذيــن، وفــق منطــق القــرآن، من المفــترض أنهــم اســتلموا الوحــي بواســطة مــوسى، بنفــس الطريقــة مثــل محمــد الــذي اســتلم القــرآن (الســورة2،الآية79).

إنّــه مــن الخطــأ عــلى أي حــال اعتبــار أنّ النصــوص التوراتيــة كانــت في متنــاول مكــة. لــو كان الحــال كذلــك، لــكان اســتعمالها منــذ البدايــة أكثــر عقلانيــة وأكثــر اكتمــالًا. صحيــح أنّ القصــص التــي تُظهــر مشــهد الرمــوز التوراتيــة تُعيــد إنتــاج بشــكل صــارخ، بالرغــم مــن بعــض الاختلافــات، ســيناريوهات الــسرد التوراتــي، من خــلال إعــادة إنتــاج يُضفــي شــيئًا مــن التعديــلات. ولكــن بالرغــم مــن ذلــك لدينــا انطبــاع بأنّنــا أمــام ارتفــاع بواســطة مقتطفــات والتــي تكتمــل شــيئًا مــا فيمــا بعــد، والتــي صيغتهــا النهائيــة بنيــت بطريقــة غــير متجانســة قبــل الوصــول إلى حقبــة المدينــة. في بعــض الحــالات، يمكننــا أن نفــترض أنّ المدونــة المكتوبــة قــد تنتمــي للحقبــة الأمويــة (الجــزء الثانــي مــن القــرن الســابع). يبــدو أننّــا أحيانًــا أمــام تفاعــل. حالــة قصــص ســورة 18، والتــي تُحيــل إلى عــدة قصــص أســطورية، تنتمــي إلى أعمــاق سرديــة الشرق الأوســط، أو الســورة 12، المُخصصــة كليًّــا لقصــة يوســف، هــي إلا نمــاذج مــن ذلــك. ولكننــا نلاحــظ جهــدًا لتحقيــق توافــق هــذه القصــص المســتعارة مــع المنطــق العــام للنــص، وهــو مــا يجعلنــا نفــترض وجــود رقابــة عــلى المضمــون وليــس حريــة التــصرّف التــي قــد تمنــح لكتبــة غربــاء عــن الإطــار القرآنــي.

**جون - لوي شليغل**

مــا تقولينــه ينطبــق عــلى قصــص توراتيــة تمّــت إعــادة صياغتها في القــرآن. ولكــن يوجــد أيضًــا موضوعــات قــد تــم إعــادة إنتاجها؟

**جاكلين الشابّي**

نعــم، ولكــن يجــب التمييــز جيّــدًا بــين السرديــات التــي تُعيــد مشــهد مختلــف الرمــوز التوراتيــة مــع تلــك التــي تقــدم الموضوعات

النظرية الكبرى، والمستعارة هي أيضًا. سواء كان المصدر هو المدونة القانونية أو مختلف النصوص المدراشية، التلمودية، الترجومية لليهودية أو نصوص مسيحية منحولة، فالقصص التي تتكلّم عن موسى وهو يواجه فرعون أو إبراهيم في مواجهة الشعب الوثني لوالده تحترم بشكل عام المشهد التوراتي. أما النسبة لموضوعات الاسكاتولوجيا * الكبرى أو الخلق الإلهي في المقابل، فإنّ الفارق مع السردية التوراتية قد يصبح عميقًا. في الواقع، في هذه الحال، الاقتباس القرآني ليس في وسعه أن يفعل غير هذا لأجل مواجهة الرهانات الانثروبولوجية لواقعه -رهانات تختلف كليًّا عن تلك الخاصة بالمدونة التوراتية. لقد لحظتُ ذلك، مثلًا، مع إعادة الإنتاج القرآني لأيام الخلق الستة، والتي تتجاهل بالقدر نفسه آدم مثل اليوم السابع، يوم الراحة الإلهية 3.

**جون - لوي شليغل**

ولكنها عناصر مهمة لقصة التكوين. فالتقليد المسيحي يُعيد إنتاج التقليد اليهودي بطريقة مغايرة. إنّه أول أيام الأسبوع الذي سيصبح السبت(ذكرى قيامة المسيح)، ولكن إجبارية توقيف العمل في هذا اليوم تبقى. ليست هي الحال إذن في القرآن؟

**جاكلين الشابّي**

حسنا لا، أن يوجد يوما مخصّصًا لراحة الإله وتوقّفًا للنشاط الإلهي لا يمكن تعقّله في القرآن. فالنشاط لا يتوقف أبدًا. سواء تعلق بالبشر أو بالذات الإلهية، إنّه مجازفة كبيرة. أمام تقلّبات الحياة والذي قد تخلط السير العادي للأشياء، يجب أن نكون دومًا على أهبّة الاستعداد ومستعدون للتحرك في اللحظة ذاتها. نحن إذن مع خلق مستمر، إذ اللحظة الأولية أقلّ أهمّيةً ولذا لم يتمّ عرض مشهدها. فلا يوجد إذن في القرآن، لا سبت ولا أحد.

علـيّ القـول، إنـي مهيـأة، مثـل كل الذيـن ينتمـون إلى جيـلي في أوروبـا، لأنّنـي لكـي اسـمّي ذاكـرة توراتيـة لا واعيـة ومندمجـة، قـد اسـتغرقت الكثـير مـن الوقـت قبـل أن أفهـم ذلـك. أدرس القـرآن مـن خـلال نصوصـه القريبـة منـذ ثلاثـين عامـا، وبالرغـم مـن ذلك لـم أر شـيئًا بعـد. فقـط منـذ مرحلـة مبكـرة اكتشـفت أنّ التصـور القرآنـي لموضـوع الخلـق لا علاقـة لـه مـن الأسـاس مـع تصـور سـفر التكويـن التوراتـي.

إنّ السرديّـات التـي تتضمّـن الرمـوز التوراتيـة جذبـت اهتمـام المختصّـين المعاصريـن في القـرآن بطريقـة اسـتثنائية جـدًا. بالطبـع، لا نسـتطيع أبـدًا تفويتهـم في النـص القرآنـي، يمكـن تعقّبهـم بـكلّ سـهولة مـن خـلال ذكرهـم المتكـرّر. في المقابـل، مـن الصعـب جـدًّا إتّبـاع طريـق فكـرة مـا، إذا كانـت أساسـية، مثـل الخلـق. لا يمكـن أبـدًّا الاعتمـاد عـلى سرد قصـصي ينطلـق مـن البدايـة المطلقـة مثلمـا في التكويـن التوراتـي. لأجـل إدراك تطـوّر موضـوع فكـرة مـا، علينـا مقاربـة المدونـة مـع مجمـل القـرآن وهـو مـا لا تتيـح القـراءة المباشرة للنـص. إنّهـا إحـدى الصعـاب الكبـيرة عندمـا نقـارب القـرآن ونحـن نبحـث عـن أجوبـة بسـيطة ومبـاشرة. وهـو أحـد الأسـباب أيضًـا التـي تجعـل القـارئ العـادي يعتقـد في نفسـه بأنّـه قـد يسـتطيع فهـم آيـة معزولـة بينمـا في الحقيقـة هـو يوظّفهـا لصالـح إرادتـه.

**جون - لوي شليغل**

يبدو لي بالرغم من ذلك أنّ آدم قد ذكر في القرآن؟

**جاكلين الشابّي**

في الواقـع، موجـود. ولكـن لـم يتـمّ أبـدًا ربطـه بموضـوع الخلق. آدم متـورّط بـكل بسـاطة في القصـة المتعلقـة بتمـرّد إبليـس، الـذي سـيظهر، بعـد نـزع القنـاع عنـه، بأنّـه ليـس مـلاكًا بـل هـو مـن الجـن (السـورة18، الآيـة50). اسـم إبليـس يحيلنـا إلى ديابلـوس

Diabolos(مفـردة إغريقيـة)، الـذي يرفـض، عكـس بقيـة الملائكـة الآخريـن، السـجود أمـام إنسـان الـتراب الـذي خلـق منـذ فـترة، في نـوع مـن الامتحـان يضعهـم فيـه الإلهـي. في الفقـرات المفـترض أنّهـا الأقـدم، إنسـان الـتراب المخلـوق ليـس لـه اسـم (السـورة38، الآيـة71). آدم لا يظهـر إلا في إعـادة إنتـاج لهـذا القصـص. ولكـن في كل هـذه المقاطـع، لا يوجـد ذكـر للرجـل الأول المخلـوق الذي يؤسّـس لسـلالة البـشر.

## الكلمات السريانية

### جون - لوي شليغل

أيـن وصـل البحـث القرآنـي اليـوم؟ يبـدو لي أنّـه صـار موضـوع الكثـير مـن البحـوث في السـنوات الأخـيرة، وأنّ عـددًا كبـيرًا مـن الباحثـين يهتمّـون بدراسـة علاقـة لغـة القـرآن بالسريانيـة، اللغـة السـامية ذات الأصـول الآراميـة والتـي انتـشرت في الـشرق الأدنـى والأوسـط مـع المسـيحية. للتذكـير فـإنّ الآراميـة كانـت اللغـة التـي تكلّمهـا يسـوع.

### جاكلين الشابّي

إنّ التيـار الـذي يمكـن وصفـه بالسريانّـي Syriacisant* يعـود إلى الأعمـال الفيلولوجيـة في نهايـة القـرن التاسـع عـشر، والتـي حاولـت وضـع قائمـة لمفـردات القـرآن والتـي نجدهـا في مختلـف اللغـات السـامية وفي لغـات أخـرى مثـل الإغريقيـة، اللاتينيـة أو الفارسـية المتوسـطية. بعـض مسـيحيو المـشرق والذيـن تُعتـبر السريانيـة لغتهـم الليتورجيـة * اهتمّـوا بدورهـم بالعلاقـات بـين السريانيـة والعربيـة. ولكـن هـذه الدراسـات الّتـي، في البدايـة، كانـت بالخصـوص فيلولوجيـة وتأثيليـة، تحوّلـت شـيئًا فشـيئًا إلى "إيديولوجيـة"، في معنـى مـن المعانـي. لقـد وصلـوا إلى الوضـع الحـالي، أيـن نجـد عـددًا كبـيرًا مـن الباحثـين وقـد صنعوا لأنفسـهم طريقًـا مسـدودًا أمـام المضمـون الجغـرافي والاجتماعـي العربـي،

وتُجاه كلّ ما تعلق بالمصادر الداخلية للتقليد التأريخي المنتج في العالم الإسلامي منذ نهاية القرن الثامن والذي يعتبرونه منذ البداية غير قابل للاستغلال. هذا التقليد يُمكنه مع ذلك أن يكون موضوع قراءة نقدية ضرورية جدًّا، شرط مقارنته بالمدونة القرآنية من جهة نظر علاقته مع الواقع طبعًا.

هذا لا يعني حتمًا عدم وجود مفردات في القرآن، أو عبارات، مستعارة من مضامين قريبة، كما سبق وبيّنت ذلك من خلال عدة أمثلة ملموسة. ولكن وراء كشف هذه الاستعارات، يبقى علينا أن نعرف كيف وظّفها القرآن لصالحه. إذ أنّ هذه الخصوصية نادرًا ما تؤخذ بالاعتبار من طرف البحث الحديث، والتي أسمّيها من جهتي بـ "المذهب الخارجي" Externaliste . وفجأة، فهي تقدّم في تقديري، عيوب منهجية خطيرة بالمقارنة مع ممارسة نقية للقراءة التاريخية للنصوص.

**جون - لوي شليغل**

كيف ستفعلين من جهتك للخروج من هذا الطريق المسدود؟

**جاكلين الشابّي**

من المهم بالنسبة إليّ اكتشاف أنواع الاقتباسات في القرآن من التي يأخذها عن لغات أخرى، سامية أو غيرها. ولكن علينا التمييز بين تلك التي كانت مستعملة قبل القرآن، في الغالب منذ فترة طويلة وتلك التي نُميّز طابعها الأجنبي، الغريب. هذه الأخيرة هي في الغالب حديثة ولكن ليس دائمًا. أفكّر مثلًا في كلمة صراط (الطريق الصواب الواجب إتباعه) والتي تحيل إلى كلمة Strata اللاتينية. توظيفها المحلّي، كان أولا في الشرق الأدنى، إذ يعود لمرحلة الإدارة الرومانية. هناك أيضًا الاقتباسات الناتجة عن التواصل مع مواطن مجاورة. في هذه الحالة الأخيرة، إنها لغات الجنوب الأكثر تمثيلًا سواء تعلق ذلك بلغات جنوب

الجزيـرة لممالـك يمنيـة ألفيـة أو للغــة " الجعزيــة"، لغــة إثيوبيــا في القــرون الوســطى، والتــي وردت مفرداتهــا بطريقــة ملحوظــة نســبيًّا في الفــترة المكيــة. وهكــذا فــإنّ تمثيــل الملائكــة في القــرآن يعــود مبـاشرة إلى هـذه اللغـة أيـن نجـد الجـذر م'ك L'K يحيـل إلى فكـرة المرسـل أو هـو " المكلـف بمهمـة "..

حتـى نعـود للسريانيـة، أقـول إنّ البحـث المهـووس باكتشـاف الأصـول السريانيـة المفترضـة للقـرآن، عندمـا يتـمّ اختيارهـا كهـدف مسـبق، تصـل في الغالـب إلى فرضيـات عبثيـة. إليكـم مثـالًا أربكنـي بشـكل خـاص. يتعلـق الأمـر بالتأويـل لكلمـة إيـلاف، التـي تظهـر مرتــان في بدايــة الســورة 106، مــع متغــيّر في الشــكل. بينمــا في اللغـة العربيـة هـذا الشـكل وذاك يحيـلان إلى مفهـوم الحلـف والـذي يسـمح (في حالـة السـورة المذكـورة) لقافلـة أن ترحـل في أمـان، أحـد المسـاهمين في كتـاب " قـرآن المؤرّخـين" 4 يفضـل إبـراز الكلمـة السريانيـة إيـلاف êlaf، والتـي تعنـي "الباخـرة"، مـن المحتمـل انطلاقًـا مـن فكـرة "تجميـع" طاقـم السـفينة وهـو مـا يسـمى في لغـة الملاحـة "عتـاد" السـفينة. إنّ التقـارب السـيميائي مـع الباخـرة قـد يُفهـم،إ ذا كان، الجـذر السـيميائي يعنـي "تجميـع مختلـف العنـاصر".

ولكـن هـذا النـوع مـن التقديـر، والـذي ينتمـي إلى الألسـنية المقارنـة، يغيـب كليًّـا عـن أنصـار القـراءة السريانيـة للقـرآن، التـي تسـتنتج بشـكل مفاجـئ أنّ رحـلات المكيـين كان موقعهـا بالتأكيـد في البحـر. فيمـا يخـص القـرآن، يبـدو هـذا الاسـتنتاج غـير مناسـب: المكّيـون ليسـوا بحّـارة أبـدًا! أن نجهـل الواقـع الجغـرافي والاجتماعـي- كمـا يفعـل بشـكل مسـتمرّ الباحثـون الذيـن أصفهـم بأصحـاب "المذهـب الخارجـي"- مـن الواضـح أنّنـا لا يمكـن إلّا أن نسـقط في هـذا النـوع مـن الاسـتقراء الخيـالي.

**جون - لوي شليغل**

**ولكن ماذا يريد إثباته أصحاب التوراتية القرآنية؟**

**جاكلين الشابّي**

في اعتقادي، الأقدم منهم، خلال الجزء الثاني من القرن التاسع عشر، حاولوا توضيح معنى القرآن، النص الذي اعتُبر لا يُقرأ بسبب سرديته المجزّئة إلى أجزاء عديدة، والذي ينتقل بلا توقّف من موضوع إلى آخر ومن فكرة لأخرى. إنّها فترة الخروج من الدفاع المسيحي المضاد والتفنيد المنتظم للإسلام. إذ، أنّ كل هؤلاء العلماء هم في الأصل توراتيون من حيث التكوين. ولهذا يجب ألّا نندهش في كون اهتمامهم الأولي كان بالموضوعات والاصطلاحات، والتي في الظاهر، تُقرّب التوراة من القرآن. يجب القول كذلك أن شخصية محمد بدت تخرج إلى النور بعد كل التمثّلات الخرافية التي وصف بها خلال القرون الوسطى. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ علماء الاستشراق في منتصف القرن التاسع عشر صار يتوفر لديهم من الوثائق والنصوص العربية، والتي يُمكنهم الاعتماد عليها لأجل دعم دراساتهم.

ولكننا اليوم نلاحظ تأرجح ما سميته " المذهب الخارجي" نحو إيديولوجية تسعى جاهدة إلى تمسيح أصول الإسلام. هذه النزعة المُنشقة عن الماضي العربي كما سُجل من طرف التقليد الإسلامي، بدأت في الظهور مع مطلع سنوات 1970 م، أين بدأ التشكيك وبطريقة جذرية فيما تعلق بأصول الإسلام وكتابة القرآن واللذان يعودان إلى القرن السابع، لأجل إرجائه إلى القرن الثامن. وفق هذه الأطروحة، فالإسلام الأوّل تربطه أمور قليلة، أولًا يربطه شيء بالجانب الغربي من جزيرة العرب وبمدن مثل مكة والمدينة. فأصوله يجب البحث عنها لدى تيارات اليهودية-المسيحية في الشرق الأوسط. هذا المحور الجديد للبحث، والذي يوصف بالمُراجع، قد تمّ الاعتراض عليه ولمدة ثلاثين سنة من طرف المختصّين في الدراسة النقدية لنصوص

التقليد الإسلامي الكلاسيكي.

**جون - لوي شليغل**

إذا نظرنا للبحث الراهن، فهناك إذن عودة لهذا النوع من الفرضيات؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، منذ بضع سنوات، فالنزعة التي اسميها "المذهب الخارجي" وجدت حيوية جديدة ضمن تيار مؤدلج جدًّا، والذي يعتمد هو أيضًا على الأدب السرياني كمنطلق لبحوثه. في نزعتها الأكثر تطرّفًا، فهي تلجأ إلى نقل أصول الإسلام إلى خارج جزيرة العرب، لتبلغ بالنسبة لبعض المتمسكين بهذه الأطروحة، إلى حدّ جعل موطنه في شمال سوريا، في منطقة الرها المدينة المسيحية القديمة. يضاف إلى ذلك من جهة أخرى شطب شخصية محمد، ليصبح شخصية خيالية يُفترض بها أنّها صناعة تعود لمراحل لاحقة؛ والقول بأن مدينة مكة لا يمكنها أن توجد في بداية القرن السابع بسبب الوسط القاحل الذي تقع فيه. ويفترض أنّه تمّ اعتمادها كمرجع اصطناعي، لاحقًا، منذ الحقبة الأموية. بالنسبة للبعض الآخر، فغزوات العرب مجرد ضرب من الخيال: يتعلق الأمر بالنسبة لهم ببعض التوترات الداخلية في الشرق الأوسط في محيط غليان غيبي. إنّ كل المعطى القبلي الذي يمكن ربطه ببدايات الإسلام والذي يشهد عليه بوضوح النص القرآني، شرط تطبيق سلّم قراءة مناسب يوضح لغته، محيطه والتمثّلات الجماعية الناجمة عنه،كل هذا المعطى مجهول ومُفرغ. وهكذا وفق مقاربة المذهب الخارجي، فإنّ الماضي القبلي لم يوجد بكل بساطة.

**جون - لوي شليغل**

ما هو موقف الباحثين والعلماء المسلمين حول هذا السؤال؟

**جاكلين الشابّي**

العالم الإسلامي لا يقدر على الفعل إلا مُشهّرا لرؤيته

التقليدية لماض مقدس. نحن نعرف أنّه في العالم السني، يُعتمد على مصدرين تقليديين. يعود الأول إلى القرآن وتفسيراته، والمفضّلة منها اليوم هي التفسيرات المتأخّرة، والتي تكتسب تشريفًا من قبل التيار الإيديولوجي للوهابية الرسمية في المملكة العربية السعودية. المصدر الثاني هو التقليد النبوي، الحديث (المدونة المنتجة بين القرن التاسع والقرن العاشر)5، والمفترض أنه يعيد إنتاج أقوال محمد حول مختلف الموضوعات، دينية كانت أو اجتماعية. هذه الأقوال التي تعرض على أنها موثوقة من خلال السند والتي تعود إلى شخصية نبي الإسلام المُبجّل، والتي يُنتظر منها تقديم أنموذج لحياة نموذجية والتي يُطلب من المؤمنين تطبيقها. تمّت ملائمته بطرق مختلفة عبر القرون والتطورات الاجتماعية والأيديولوجية في العالم الإسلامي، هذه المدونة الثانية تمّ التمسك بها بشكل واسع خلال الأزمات الحديثة، من طرف دعاة العودة إلى ماضٍ يُنظر إليه بمثالية. المصادر الدينية للشيعة المعاصرة هي من نفس الطبيعة، مع هذا الاختلاف أنّه وراء كل تفسير خاص للقرآن، هناك تسليط للضوء حول أسبقية السلالة النبوية، التي انتُزعت منها قيادة الأمة الإسلامية، يضاف الأقوال المنسوبة للائمة (من نسل محمد)، والتي تعود المدونة الأولى لها انطلاقًا من القرن العاشر.

أمام هذا الوضع الراهن، لا أخشى القول، أنّه بسبب العجز في ربط الدراسات المتعلقة ببداية الإسلام بالمناهج التاريخية، والتي أثبتت قدرتها في المجالات الثقافية والدينية الكبرى فيما تعلّق بالقرون القديمة والمتوسطة، فالوضع معرّض أن يبقى متدهورًا حتى لا نقول كارثيًّا في العالم الأكاديمي بخصوص الدراسات حول الإسلام الوسيط.

**جون - لوي شليغل**

في نظركم ليس هناك أي دليل على وجود تأثير سرياني ولا أي كلمة ذات صلة بهذه اللغة في القرآن؟

**جاكلين الشابّي**

لم اقل هذا، ولكن علينا تحديد ما نقصده بدقة عندما نتكلم عن هذا التأثير. وتحقيقا لذلك، يجب الاعتماد، مع حذر كبير في الاستعمال، على التمييز، الذي سبق وذكرنا، في القول القرآني خلال حقبتين: المكية والمدنية. ولأسباب اجتماعية وجغرافية والتي سبق وأشرت إليها، فالحقبة المكية تبدو معرضة بطريقة استثنائية لتأثيرات جنوب الجزيرة، اليمن، أين وجدت اليهودية والمسيحية وفي نزاع. يجب إضافة ما يمكن أن يأتي من إثيوبيي اكسيوم، على ساحل ضفة البحر الأحمر الإفريقي والمقابلة لليمن. إنّها تأثيرات حدثت بالتأكيد في إطار تبادل شفهي داخل تواصل اجتماعيّ قبلي. ولكن على حدودها الغربية، فاليمن كان بالرغم من ذلك على مسافة شهر سيرًا انطلاقًا من مكة، والمعطيات التي تأتي تبقى أكثر من مبهمة. لا يمكننا أن نصدّق أنّها جلبت لمكة عناصر محدّدة حول الديانتين المتخاصمتين. ومن الأدلة أنّها لم تقدم نفسها كذلك، وبقيت مشتركة في التسمية الموحّدة للطريق المتّبع من قبل " بني إسرائيل"، كما سبق وذكرت. فالتّوق القرآني لأجل معرفة أخبار الماضي أوصله إلى الاعتماد على المتداول من القصص المؤسّسة، حول الرموز الكبيرة والتي يمكنه تعريف نفسه بواسطتها. هذه القصص التي أعيد إنتاجها بشكل مجزّأ ينظر إليها على أنها تعكس أحداثًا حقيقيّة حاملة دروس للحاضر.

**جون - لوي شليغل**

لقد قمتي هنا بتسجيل ما حدث في مكّة بكل براعة. وماذا عن المدينة؟

**جاكلين الشابّي**

في المدينــة، الحــال مختلــف جــدًّا. الواحــة الكبــيرة الموجــودة عــلى طريــق ألفيــة للاتصــالات هــي أكثــر انفتاحًــا للتأثــيرات المختلفــة، دائمًــا تلــك التــي تأتــي مــن الجنــوب طبعًــا، ولكــن أيضًــا عكــس مكــة، تلــك التــي تأتــي مــن الشــمال، القادمــة إذن مــن الــشرق الأوســط. ولكــن هنــا أيضًــا يجــب ألا نخطــئ الهــدف. فالسريانيــة ليســت ســائدة إلّا في شــمال ســوريا. فالنخــب في جنــوب الــشرق الأوســط كانــت متأثــرة كثــيرًا بــالإرث الهيلينــي. أن نضــع المنطقــة السريانيــة في اتّصــال مــع جزيــرة العــرب، هــو جهــل بالجغرافيــا. إنّ المواجهــة الوحيــدة مــع اليهوديــة المحلّيــة كانــت في المدينــة. لا وجــود للحضــور المســيحي في المنطقــة، سريانــيّ أو غــيره. فالمعطيــات الخارجيــة لا يمكنهــا أن تصــل إلا بفعــل وســائط مختلفــة. قبــل سريانيــة الــكلام، يجــب أن نضــع في اعتبارنــا التعقيــد الــذي تتّصــف بــه الحالــة.

**جون - لوي شليغل**

هــل يوجــد مثــال لاقتبــاس موضــوع أو رمــز توراتــي يمكنــك تقديمــه؟

**جاكلين الشابّي**

نعــم بالتأكيــد، يمكننــا مثــلًا اعتمــاد إعــادة التشــكيل لشــخصية إبراهيــم في المدينــة، والــذي يمثــل لحظــة حاســمة للسّــجال ضــد اليهوديــة المحليــة. فالمقارنــة ملفتــة للانتبــاه مــع الحقبــة المكيــة، بعــد أن كنّــا خلســة مرتبطــين بمــوسى مــن حيــث الاشــتراك في الوحــي (الســورة87،الآية19)، يظهــر إبراهيــم في الحقبــة المكيــة في مشــهد مــع لــوط (51،24) وفي الميــلاد المعجــز لابنــه إســحاق (إســحاق وليــس إســماعيل: الســورة37،الآية101)، ثــم في الطعــن في وثنيــة والــده والــذي يقــول لنــا القــرآن أنّــه يبعــده عنــه تحــت تهديــد بالرجــم (19،46). نجــد هنــا أجــزاء عديــدة مــن القصــص التوراتيــة والمدراشــية والتــي أعيــد تشــكيلها.

بينما في المضمون المدني، لم يعد السؤال هو هذا. على غرار موسى في المرحلة المكية، تصبح الشخصية الإبراهيمية هي المرجع بامتياز. إنّها ستفيد كداعم ضد معارضيه بالنسبة للذي سيقدم نفسه كنبي وأحدث رسول اختاره الله. محمد سيخلف إذن إبراهيم وموسى، واللذان سيضاف إليهما يسوع "ابن مريم". فالهدف الجديد يبدو في الاستحواذ على المرجعية الإبراهيمية، والتي يُنظر إليها كمؤسسة، من خلال انتزاعها من "أهل الكتاب"، والذين، يهود أو نصارى، جاءهم الوحي الأصلي من طرف رسلهم، ولكنهم فيما بعد قاموا بتشويهه وخيانته. إنّه وفق هذا المنطق يستحوذ القرآن على الشخصية الإبراهيمية، إلى أن نجعل منه بأمر إلهي، مؤسّس الكعبة (السورة2، الآيات127-125). هذا المنطق في الاقتباس لم يكن ليحدث قبل المواجهة مع اليهود المحلّيين. من مكة إلى المدينة، في مواجهة خصوم جدد، فالخطاب القرآني يغيّر بكل بساطة من المرجعية، من موسى إلى إبراهيم.

## يسوع القرآني

**جون - لوي شليغل**

هل يمكننا العودة إلى يسوع بصفته أحد الرموز المرجعية التي يذكرها القرآن؟ هل حدث التعامل معه، إدماجه، مثلما حدث مع إبراهيم؟

**جاكلين الشابّي**

إذا أخذنا بعين الاعتبار المدونيتين المفترضين- المكي والمدني- وإذا قمنا بإحصاء الرموز التوراتية المذكورة على مدى الخطاب، نلاحظ غيابًا غريبًا في المرحلة المكية، من وجهة نظرنا على الأقل : فيما تعلق بيسوع. يُوجد ذكر لاسمه في إشارتين (السورة43، الآية63 والسورة19، الآية34). ولكن في كلتا الحالتين، فإنّ هذا الأخير، عيسى، يظهر في فقرة تبدو مقحمة،

تكشـف عـن إضافـة تفسـيرية، وكأنّنـا كنّـا، في مرحلـة لاحقـة، في حاجـة إلى تصحيـح صمـت النـص.

الحـدث أيضًـا أكثـر غرابـة مـع "مريـم"، التـي ذُكـرت في الخطـاب المكـي. نفهـم بسرعـة أنّـه جـاء دليـلًا يشـهد عـلى المولـد المعجـزة "لابنهـا" (السـورة43، الآيـة57؛ السـورة23، الآيـة50) أو"ولدهـا" الغـلام :(السـورة19، الآيـة19)، أي شـهادة ملموسـة عـلى الفعـل الإلهـي: الإلـه قـد يهـب العـذراء ابنًـا بـأن يُرسـل إليهـا "روحـه" التـي تأخـذ شـكلًا "بشريًّـا". فلمريـم وابنهـا بـكل بسـاطة وظيفـة "علامـات حاسـمة" وآيـة (السـورة 23،الآيـة50) إنّـه الميـلاد المعجـزة في حـدّ ذاتـه الـذي يقصـد تبيانـه، وليـس شـخص ابـن مريـم.

**جون - لوي شليغل**

أظـن أنّـه، مثـل كل مـرة، يوجـد موقـف مضـاد يجـب التصـدّي لـه؟

**جاكلين الشابّي**

مريـم وابنهـا يُفيـدان في الحجيّـة التـي أعـدّت لمواجهـة عـدوان القبيلـة المكيـة، المُتمسّـكة بتقاليـد الآبـاء. ولـذا نذهـب إلى البحـث عن الحجـج حيـث يمكـن أن نجدهـا. يتعلّـق بـلا شـك بالواقـع اليمنـي، لأنـه هـو المُتـاح انطلاقًـا مـن مكـة. الـشرق الأدنـى أو الأوسـط همـا أكثـر بعـدًا، وبالخصـوص مُختلفـان كثـيرًا مـن الناحيـة الاجتماعيـة.

فالفاعـل المكّـي إذن هـو مـن ينتقـي في العمـق السـردي اليهودي-المسـيحي لليمـن العنـاصر التـي تُناسـبه، لا ليحتفـظ بهـا كمـا هـي، ولكـن ليُعيـد تشـكيلها وفـق حاجياتـه الخاصـة. مـن طـرف المُقـترض القرآنـي، فإنّـه لا يوجـد أي تصـور حـول طبيعـة الحضور لديانتـين متخاصمتـين في اليمـن. في معظـم الحـالات نـادرًا مـا يطرح سـؤال "الخصـام" بـين "بنـي إسرائيـل"، والـذي يسـتطيع الإلـه ترتيبـه بشـكل صحيـح في الوقـت المناسـب (السـورة27، الآيـة76).

الشخصية المسيحية لابن مريم بصفته يسوع لم تُعرف بعد. هذا الغياب لتمثُّل الشخصية المفتاح للمسيحية في هذا الجزء من القرآن يسمح بتوجيه اعتراض وتكذيب قطعي إلى الذين يقولون بمولد للقرآن في وسط مسيحي.

**جون - لوي شليغل**

ولكن إذن، متى يظهر يسوع المسيحية؟

**جاكلين الشابّي**

يظهر بعد الحقبة المكية. يمكننا أن نكون على يقين في هذا الصدد. الفقرات التي تتكلّم عن مريم تُبيّنه بوضوح. ولكن هل فقط في حقبة المدينة أين تظهر شخصيته، أي أثناء حياة محمد؟ هل في وسعنا الافتراض أن عناصر مُكملة جاءت لتُضاف حول بعض النقاط حتى في الحقبة الأموية، في نهاية القرن السابع؟ أم أنّه علينا اعتبار الفقرات حول يسوع تعود فقط للحقبة الأموية، عندما تحدث، في إطار الشرق الأوسط البيزنطي، المواجهة في الميدان مع المسيحية المتمركزة محليًّا؟ إنّه في الحقبة الأموية، كما قلت، أين يظهر لأعين العالم، في كتابات قبة الصخرة في أورشليم، الإعلان الذي يجعل من محمد خليفة ليسوع. السؤال الذي يُطرح إذن يتعلق بمعرفة إذا كانت بعض الأجزاء القرآنية لا تعود إلى هذه الحقبة، أين يبدو أن أيدي أخيرة قد تركت بصماتها النهائية على النص القرآني. إنّه من خلال الاحتفاظ في ذهننا بهذه المجموعة من الاحتمالات يمكننا الغوص في النص القرآني.

**جون - لوي شليغل**

إجمالًا، عند قراءة القرآن، يأتينا انطباع بأنّ التكرار فيه للنصوص التوراتية يبدو اعتباطيًّا.

**جاكلين الشابّي**

لدى قارئ التوراة من الأسباب التي تجعله يشعر بالخيانة. ولكن المسلم يُجيبك بأن اليهود والنصارى هم من خان التوراة الحقيقية والإنجيل الأصلي! وأنّ القرآن هو النص الوحيد الذي يحتفظ بالرواية الصحيحة وأنّه بقي وفيًّا للوحي الإلهي، يُمثّل ذلك قناعة منتشرة بقوة في العالم الإسلامي اليوم.

وبطبيعة الحال، فوجهة النظر التاريخية ليست هذه. بالإضافة إلى كونه ينخرط في نفس الخط التوراتي والإنجيلي، فالقرآن يتّبع برنامجه الخاص، الذي يُناسب المسار الإيديولوجي والسياسي لصاحب الوحي، في الإطار الاجتماعي الذي ينتسب إليه. بينما لا نملك أيًّا من العناصر التي من المفترض أن تتوفّر لدى المؤرخين، فالطابع الخاص جدًّا لهذا المضمون يسمح بالرغم من ذلك بطرح فرضيات معقولة حول مسار حياته وعقيدته، بمعزل عن الاقتباسات التي يقوم بها من الحقل التوراتي، فهو يحتفظ بانتمائه القوي لمحيطه.

**جون - لوي شليغل**

عندما نقرأ القرآن، من المفاجئ بعض الشيء أن نرى كيف أن الاقتباسات التوراتية وقد تحوّلت. إنّه يروي قصص أخرى، أو أنّه يرويها بطريقة مختلفة.

**جاكلين الشابّي**

في التعبير عن تفاجئكم، أنتم لا تتكلمون عن القرآن، ولكن عن أنفسكم بالنسبة للقرآن. إنّه الانطباع العادي لقارئ يفتح كتابًا مثل هذا. إذا انطلق من ظروفه الخاصة، كعارف بالتوراة، سيكون هناك ما يجعله في حيرة. سيجد نفسه أمام أسماء توراتية يعرفها، ولكنها أسماء تظهر في قصص لا يعرفها أو أنّها ناقصة ومُشوّهة بشكل مروع.

حتما ليس هكذا يفكر المؤرخ. القرآن هو ما هو. ما

يجب دراسته، هو مضامين الاقتباسات التوراتية أو غيرها. فأصل الاقتباس، كفعل مهم يتوجّب معرفته، ليس هو السؤال الأساسي في نظرنا. فكل قراءة هي سياقية: تلك التي للمسلم اليوم والتي تُعلن بقوة وعاليًا قناعته بأنّ القرآن هو توراة مصحّحة من الأخطاء، مثل تلك التي لغير المسلم والذي يُندّد بتزوير التوراة. يجب بكل بساطة تحديد في كل حالة، في أي مستوى من القراءة نحن لأجل الحصول على أرضية تسمح لنا بالتحليل التاريخي.

جون - لوي شليغل

هل في وسعك تقديم مثال "لإعادة الكتابة " القرآنية لمقطع توراتي؟

جاكلين الشابّي

لقد سبق لي القول: نقطة الانطلاق يجب أن تكون تحليل دوافع المُقتبس، لأنّ الذي نقتبس عنه ليس متورّطًا في شيء- على الأقل في المرحلة الأولى- بخصوص الاقتباس التي أقمناه عليه. لدينا أمثلة جميلة مع شخصية موسى. يجب ألّا ننتظر أن يكون موسى القرآني نسخة مطابقة لموسى التوراتي. لقد اهتممت بشكل بالغ، في هذا الشأن، بإعادة تشكيل الفصل التوراتي المسمى "الشجرة المشتعلة"، بالخصوص لأنّه يتعلق بصفة النار.

الكثير من مقاطع القرآن تُعيد إنتاج هذا الفصل التوراتي الذي يعود لسفر الخروج 12-3،1. الإشارات الأكثر قدمًا لا تذكر النار الإلهية، وتحتفظ فقط بوجود موسى في واد مقدّس، ومهمّته هي في الذهاب لمواجهة فرعون (السورة 79، الآية16). هناك فقط ثلاث مقاطع تُحيل إلى الشجرة (السورة28، الآية29؛ السورة27، الآية7؛ السورة20، الآية10). ولكن بسبب عدم الاشتغال على مخيال القرآن وانثروبولوجيته، لم ننتبه أبدًا بأنّ

نقل قصة "الشجرة التي تضطرم فيها النار" لم يحدث في القرآن. فالمشهد التوراتي قد تغيّر بشكل عميق. في الحقيقة، نحن في حالة مظلمة. إنّ موسى، الموجود مرفقا بذويه، يُبصر نار مخيم. بينما، في المخيّال المحلي، كثيرًا ما يُخشى النار خلال النهار والتي تعني الشمس الحارقة أو الرياح الرملية، وكلاهما قاتل إذا لم نتمكن من حماية أنفسنا، وكثيرًا ما تُمتدح النار الليلية للمخيم. في الواقع، إذا كان في وسعنا رؤية النار الليلية عن بعد، فهذا يعني نار استقبال. عندما طلب من موسى الاقتراب من أجل سماع الصوت الإلهي، والذي هو حينًا يخرج من شجرة لا تحترق، وتارة أخرى يخرج من النار دون ذكر لأيّ شجرة. هذا النوع من التفاصيل ليس بالهيّن ويجب التوقف عنده. إنّه يتعلّق بميزة أساسية يتّصف بها المخيّال القبلي.

**جون - لوي شليغل**

**ما تمت روايته يجب أن يكون مفهومًا لدى سكّان مكة؟**

**جاكلين الشابّي**

نعم، ولكن فقط عندما يتعلّق ذلك بخطاب من الحقبة المكية. أمّا في حقبة المدينة، فنحن ننتقل إلى مستمع يتّسع إلى فاعلين جدد يشاركون في المكان. من المهم أيضًا تمييز الخطاب القرآني الذي يتوجّه إلى مستمعين فعليّين، لهم القدرة على الرد، وبين الذي يدخل المشهد في مواجهة مستمعين مُتخيّلين، مثل أبناء إسرائيل في الحقبة المكية أو النصارى في الحقبة المدنية. هؤلاء الآخرون يفترض فيهم تمثيل المسيحية التي يُعرّفها القرآن بطريقة غامضة جدًّا. فالمواجهة الحقيقية يبدو أنها تُحيل إلى الشرق الأدنى والمرحلة الأموية. هناك تُلعب علاقات القوى سواء سياسية أو رمزية.

1 .وكذلك الذين هادوا؛ السورة 4 الآيات (46 و160).

2 .النسطوريون، نسبة إلى نسطوريوس، بطريرك القسطنطينية (توفي سنة 451م)، ومن تعاليمه أنّ الشخص الإلهي والشخص البشري في يسوع المسيح هما صفتان متمايزتان ومنفصلتان عن بعضهما البعض وبصفة كلية.

3.On a perdu Adam.La création dans le Coran,op.cit.

4.Ali Amir –Moezzi et Guillaume Dye(dir.),Paris,Cerf,2019

5.الفصل التاسع: " من قرآن القبائل إلى حديث المعتنقين " .

*Syriacisant هو تيار فكري في مجال البحوث الاستشراقية، يرى ان القرآن ليس سوى نصوص مسيحية مستنبطة عن السريانية وان الاسلام كديانة توحيدية هو هرطقة مسيحية.

*المونوفيزية Monophysisme هي عقيدة في المسيحية تقول بان ليسوع طبيعة إلهية واحدة وان طبيعته البشرية قد اتحدت بطبيعته الإلهية.

*الاسكاتولوجيا Eschatologie الأخرويات او عقيدة نهاية الكون. مبحث في علم اللاهوت يهتم باحداث نهاية الكون.

* الليتورجية Liturgique الشعيرة الدينية او الطقس الديني، تقوم بها مجموعة دينية طبقا لتقاليد معينة. انها استجابة جماعية للمقدس والمشاركة فيه من خلال انشطة معينة مثل التسبيح والدعاء والذكر...

# من كان محمد؟

## نبي؟

**جون - لوي شليغل**

لقد تساءلنا مع توما رومر عن تأريخية موسى وعن الآباء التوراتيين. فالتوراة تروي مختلف القصص العجيبة بخصوصهم، بالإضافة إلى تقديمهم كشخصيات قد وجدت فعلًا. وهكذا "تسير الأمور": عدد معتبر من اليهود الصالحين والمسيحيين الصالحين مُقتنعون بأنها قصص "حقيقية". ويتجاوزون بشكل واسع أصحاب نظرية الخلق من الإنجيليين الذي يعتقدون أنّ خلق العالم، كان بواسطة اثنين من البشر الأوليين، ادم وحواء، حدث فعلًا كما ترويه التوراة. بالرغم من أنّه لا يوجد أي مؤرّخ جاد يمكنه أن يقبل ذلك. هل قصة محمد هي أيضًا صناعة؟ أو، أو على العكس، ما هو "الحقيقي" بخصوصه؟

**جاكلين الشابّي**

من جهتي، أتجنب منذ البداية القول إن محمد نبي. لقد أصبحت التسمية المُعتادة، ولكن في التاريخ، يجب تجنب العادات. إذن إليك ما يمكنني قوله: في الجزء المكي من القرآن، يُسمّى محمد " المُنذر"، أو "المُبشر". فالمضمون الاجتماعي

هــو القبيلــة أيــن يُســمّى النبــي المســتقبلي أيضًــا ، "صاحبكــم " (الســورة81،الآية22)، إنّــه فــرد عــاديّ ومهمتــه البســيطة هــي "إنــذار" قومــه مــن المخاطــر التــي تُهدّدهــم. تقديــس الشــخصية النبويــة، الــذي ســيهيمن لاحقًــا، لا وجــود لــه أبــدًا في القــرآن. نجــد بالتأكيــد في الجــزء المكــي مــن القــرآن كلمــات "نبــي" أو "رســول"، ولكنّهــا تعنــي شــخصيات توراتيــة، مثــل إبراهيــم أو مــوسى.

**جون – لوي شليغل**

هل نحن واثقون أنّ اسمه الأول كان محمد؟

**جاكلين الشابّي**

لا، محمــد اســم يطــرح العديــد مــن الأســئلة. إنّــه يتكــوّن بالانطــلاق مــن نعــت: للرجــل المســمى محمــد Muhammad(وفــق الكتابــة الســليمة عربيًّــا)، إنّــه الشــخص "الــذي يُمنــح لــه الثنــاء". بينمــا، في الكتابــات المؤرّخــة والموجــودة في مناطــق عديــدة، وبالخصــوص في الممــرات، لا يوجــد أثــر لهــذا الاســم المجيــد قبــل نهايــة القــرن الســابع، أي الفــترة المتزامنــة مــع الكتابــات الموجــودة عــلى قبــة الصخــرة في أورشــليم كـــ" كعبــد اللــه" و"رســول اللــه"، بينمــا يســوع، ابــن مريــم، يظهــر مــرّة واحــدة فقــط، وباســم واحــد، عــلى شرائــط الجــدار الداخــلي. فرســول اللــه الجديــد يخلــف يســوع، مثلمــا تطالــب الإمبراطوريــة العربيــة الجديــدة بخلافــة الإمبراطوريــة المســيحية البيزنطيــة التــي لا تــزال صامــدة. إنّــه إذن مــن المحتمــل جــدًّا أن اســم محمــد، قليــل الحضــور في القــرآن، هــو إضافــة متأخّــرة صــار يســمى بهــا "الرســول" في العــصر الأمــوي. أضيــف إلى ذلــك أنّ الاســم الشــخصي لرجــل مــن القبيلــة لا يُذكــر أبــدًا عمليًّــا خــارج الدائــرة الضّيقــة لنســبه. خــارج هــذه الدائــرة الضيّقــة، فهــو غالبًــا مــا يُعــرّف باســم عشــيرته أو قبيلتــه، أو أيضًــا مــن خــلال تســمية تجعــل منــه رجــلًا مكتمــلًا مثــل "أبــي فــلان،" وُلــد أو ســيأتي.

**جون - لوي شليغل**

ولكن إذا كان "محمد" اسم المدح هذا هو "صناعة" تعود لنهاية القرن السابع، من كان رجل القبيلة الذي استطاع الخروج من بين الصفوف إلى درجة أن يصبح "نبي الإسلام"؟

**جاكلين الشابّي**

ليس لدينا سوى تلميحات قرآنية بخصوص هذا الموضوع. بشكل خاص الحالة المزرية لطفولته (أنّه يتيم: السورة93، الآية6)، افتقاده "للشهرة" في بداية مرحلة الكهولة (السورة94، الآية4) هي شتيمة استعملها ضده خصومه الذين يصفونه "بالأبتر" (السورة108، الآية3). كان مطلوبًا من أسرته من جهة الأب حمايته (السورة26، الآية214)، ووجود رجل ربّما يكون عمه هو عدو له وملعون (السورة 111). مع وصول العباسيين إلى الحكم 750م وافتتاح كتابة الماضي، قام الرواة الأوائل بإعادة تشكيل العناصر لأجل الكشف عن جينالوجيا من سيصبح من الآن فصاعدًا هو محمد.

**جون - لوي شليغل**

حسنا... ألسنا أمام خيال؟

**جاكلين الشابّي**

قد نسمح لأنفسنا بالتفكير كذلك، لو كان الأمر يتعلّق ببضعة قرون، ذريّة مفترضة من العشيرة القبلية لمحمد تتصارع في معركة بلا رحمة من أجل السلطة. تَولّد من هذا الصراع الأولي في نهاية القرن التاسع والعاشر حركات أيديولوجية متنافسة هي السنة والشيعة. يدّعي هذا التيار الأخير أنّه الوفي للنسب المباشر لفاطمة وعلي، على التوالي ابنة وابن عم/صهره الذي نسميه محمد. إذ، أنّ معرفة النسب كان أمرًا أساسيًّا في عالم القبائل. حيث لا يمكننا الكذب في شأنه، لأنّ النسب معروف لدى الجميع. ويحمل تحديات كبيرة، تنظّم ما يمكن تسميته بـ" شفرة التحالفات"، والذي كان القاعدة ذاتها للنظام

السياسي القبلي.

لقد كان لمحمد أيضًا أسماء أخرى، والتي لسنا على يقين تامّ منها. الاسم الذي يذكر في الغالب هو "قثام"، والذي يعني "الذي يوزع الغنيمة بالعدل". اسم والده، الذي توفي قبل ميلاد نبي المستقبل، يطرح هو الآخر أيضًا مشكلة. فالمصادر التأريخية (لكن ليس القرآن) تسميه عبد الله، بمعنى " خادم الله". لكن الأطفال المولودون في المدينة من أبناء هاجروا من مكة لأجل الالتحاق ب "حلف الله"،يحملون كلهم،أو اغلبهم، اسم عبد الله. وبالتالي نسميهم العبادلة، صيغة الجمع لاسم " عبد الله".

**جون - لوي شليغل**

اسم الأب هو بعبارة أخرى صيغة لتجميل الصورة؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، يتعلق بلا شك باسم خيالي للمديح، الذي سيترك صداه في " مدح" (محمد) الأموي. ولكن لا توجد أي كتابة للتدليل على ذلك. بالعكس، فالنسب الأبيسي لمحمد،انطلاقا من جده،يبدو غريبا كليا على هذه الصناعة للأسماء.إذ،حتّى لو كانت أسماء أجداده لا تظهر في القرآن،فهذا لم يُحدث أي مشكلة في محيط اعتاد على ملاحقة أو السخرية من الأنساب الخاطئة. نفس الشيء ينطبق على بقية سلالات الشخصيات المعروفة بانتمائها لعشائر مكية،انطلاقا من الأمويين. وبما أننا لا يمكننا الكذب بخصوص النسب،يمكننا أن نرى في ذلك " أدلة انثروبولوجية"ومعطيات تعقّب موثوق لأصول محمد.

## محمد في المدينة

**جون - لوي شليغل**

يوجد إذن شخصية تاريخية سميت محمد. لكن، إذا كان يفتقد لصفة نبي في مكة، هل صار له ذلك عند دخوله

المدينــة؟

**جاكلين الشابّي**

لا، الــذي نســميه محمــدًا لــم يصبــح "نبيًّــا في بلــده". مــن وجهــة نظــر الانثروبولوجيــا، لا يســتطيع أن يكــون لــه ذلــك قبــل أن يلتحــق بهــذه الصفــة المنســوبة لرمــوز ســابقة، توراتيــة قبــل كل شيء، والتي وفقهــا يمكنه نســخ مصــيره كانســان أُوحــي إليــه. خصومــه المكيون سيشــجبونه بصفتــه " اهــن". في جزيــرة العــرب القبليــة، الكهــان كانــوا رجــالًا وفي الغالــب نســاء يســمعون أصــوات تُخبرهــم عــن الغيــب، في مجتمــع مهــووس باســتمرار بمســتقبله غــير المؤكــد.

**جون - لوي شليغل**

إذن فالرمــوز التوراتيــة في القــرآن مُهمّــة لكونهــا تُقــدم نمــاذج لتمثّــلات محمــد؟

**جاكلين الشابّي**

نعــم، إن صفــات " نبــي" و"الرســول" تنطبــق أولا عــلى الذيــن يصفهــم القــرآن كنمــاذج لتحديــد الشــخصية. يتعلــق الأمــر حــصرًا بالرمــوز التوراتيــة، مــوسى بوجــه خــاص (في المضمــون المكــي). ولكــن هنــاك تشــديد عــلى أن هــذه الشــخصيات الســابقة، المرســلة لقومهــا، جاءهــا " كتــاب ســماوي" يُشّــبه الــذي جــاء كـــ" منــذر" القبيلــة.

**جون - لوي شليغل**

لماذا هو في حاجة إلى هذه الضمانات؟

**جاكلين الشابّي**

لقــد شــكّل الوضــع الاجتماعــي لمحمــد عائقًــا كبــيرًا لــه. ولــد يتيمــا في عشــيرة يبــدو أنهــا كانــت في طريقهــا إلى التدنّــي، بســبب عــدم إشراكهــا في مشــاريع تجاريــة حديثــة، تــزوج مــن أرملــة تكــبره ســنًا لــم تُنجــب لــه ذكــورًا بلغــوا ســن الكهولــة. يكفــي القــول، عــلى طريقــة بيــير بورديــو، أن " رأســماله الاجتماعــي" كان يســاوي الصفــر.

**جون - لوي شليغل**

كيف عرفنا زواجه من هذه الأرملة؟ من خلال روايات لاحقة؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، هذا صحيح. من خلال تأريخية بداية الحقبة العباسية (القرن الثامن). القرآن لا يقول كلمة واحدة بخصوص هذا الزواج، المُدبّر من الزوجة. لدينا فقط تلميح إلى صفة "الأبتر"، وهي شتيمة تعني رجلًا بلا أولاد ذكور (السورة108،الآية3) لا يوجد حديث عن تعدد الزوجات إلا في الجزء المدني من القرآن، بالرغم من عدم وجود تحديد دقيق لأي من الأسماء. فيما يخص الزواج الأول، نحن ضمن المحتمل، الذي يبقى غير ممكن التحقق منه بشكل مباشر. ولكن الذاكرة القبلية لم يفتها أن تتذكر بسرور ما نسميه " الإشاعة". البعض بدأ يكتب شعرًا لأجل تحقيق تذكر جيّد. فالشعر الهجائي الذي في وسعه تشويه شرف ما، يلعب دورًا لا يُستهان به في هذا المجتمع.

**جون - لوي شليغل**

إذا كان قد ترك مكة لأجل الذهاب إلى المدينة، فلأنّ العنف تجاهه قد بلغ أوجه؟

**جاكلين الشابّي**

في مكة، مكانة محمد هي في كونه رجل قبيلة يتكلم إلى ذويه. التقليد التأريخي يصنع مشهدًا يقول بأن عشيرته منبوذة من طرف العشائر الأخرى للقبيلة. ولكن لا يوجد أي تلميح قرآني في هذا الشأن. قد يكون ذلك بفعل دراما مخترعة لاحقًا. النداء إلى الأعمام، المذكور في القرآن، لم يحقق أي التفاف.

مقطع آخر في القرآن يذكر ضغوطًا لأجل طرد الخطيب غير الحذر. يبدو في الأخير أنّه أُبعد من طرف أحد أعمامه، الزعيم

الجديد لعشيرته، والذي يلعنه القرآن. توفيت زوجته القوية، وبقي " المُنذر" بدون حماية. تأتي بعد ذلك حقبة أخرى لا يذكرها القرآن، ولكنها تبدو معقولة في مجتمع تلك المرحلة: قبل أن يُنفى نهائيًّا للمدينة أين كانت له علاقة قرابة مع إحدى عشائر الواحة، استفاد محمد من حماية قبلية مؤقتة من طرف الزعيم القبلي القوي من عشيرة نوفل، والذي أراد أيضًا أن يبرز قوته. لم يتصرف أبدا على أساس حلف ديني. يصنّف الرواة هذا الحدث في حدود 619م، أي عامان قبل الهجرة (والمعروف أن تاريخها المفترض يبدأ سنة 622م). انه بلا شك بعد وفاة هذا الحامي فقط غادر محمد المحظور مدينة مولده. يذكر القرآن باقتضاب مغادرة محمد رفقة أقدم أصدقائه (السورة9، الآية40). الرواة صنعوا مشهدًا لملاحقة خياليّة، وأخبرونا بأن الرفيق هو أبو بكر، من عشيرة تيم المكية ووالد عائشة، الزوجة المستقبلية الشابة لمحمد. ولحق بهم آخرون تدريجيًّا لأجل أن يتكون فريق" من المهاجرين" في المدينة.

جون – لوي شليغل

وفي المدينة أيضًا ،لم يستقبل كنبي.

جاكلين الشابّي

يخيط التقليد التأريخي مشهدا يروي استقبالًا فخمًا حظي به محمد في المدينة، إذ وصل على ظهر ناقة بيضاء كنبي ووسيط، كان الجميع ينتظرون قدومه بصبر لحل الخلافات القبلية في المدينة. كل هذا يُظهر خرافة كبيرة. في الحقيقة، أثناء وجوده في المدينة، وفي غمرة ما يسمى – حسب التقليد التأريخي- نزاعًا تافهًا حول بئر، نجده يُعامل بصفته لاجئًا يمكن طرده. هذا ما يسمح لنا بإجراء تقيّيم صحيح للحالة ويجعلنا نفهم بأنّ محمد لا يمكنه أن يصبح زعيم المدينة التي استضافته، كما نتخيّله غالبا اليوم. ولا كان يحكم بلا شراكة

جماعة من المؤمنين كلهم مخلصون له. " طاعة الله ورسوله "، التي غالبًا ما تُردد، هي في الأصل ناتجة عن كتابة لاحقة زمنيًا: صناعة مشهد نبي مُطاع، تهدف بلا شك إلى تأسيس قاعدة من نفس النوع للخلفاء في الجزء الثاني من القرن السابع. متمركزون في دمشق، الأمويون ذوي الأصول المكية، والذين واجهوا في الحقيقة، بالرغم من براغماتيتهم، صعوبة كبيرة في مراقبة محافظة العراق، التي لا تبعد كثيرًا، أين نجد القبائل الكبرى المناوئة تسعى إلى التصرف كما كانت تفعل في الجزء الشرقي من جزيرة العرب.

**جون - لوي شليغل**

ما قولك إذن في "الوحي" الذي جاء لمحمد في الغار على جبل حراء، بالقرب من مكة؟ هناك حديث أيضًا عن وحي يأتي " أثناء الألم" لأنه يكون في حال شبه مُختنق بسبب الملاك جبريل الذي يُلزمه نطق الكلمات الأولى للوحي. هل يمكننا الاعتراف بوجود شيء من الحقيقة في هذا " الألم للمُوحى إليه" أم نحن أمام صناعة من فعل التأريخية؟

**جاكلين الشابّي**

نحن أمام صناعة لمشهد تأريخاني. في القرآن، لا يُذكر غار للوحي، لا في حراء، على مسافة 4 كلم من مكة، ولا في غيره من الأماكن. أما بخصوص جبريل الذي تذكره كثيرًا التأريخية المحمدية، فانه موضوع لفقرتين متأخرتين في القرآن : الأولى تتعلق بخصام أسري، للتذكير فإن جبريل هو اصطلاحًا ملاك " القوة"؛ والثانية في فكرتين متلاحقتين، تُحيل إلى جبريل كوكيل الوحي "في" قلبك ( فالقلب في العربية هو مركز الفهم، وليست المشاعر).

**جون - لوي شليغل**

هل يمكننا بالرغم من كل ذلك التأكيد، الافتراض على الأقل، أنّه وصل المدينة بشعور "الموحى إليه"؟

**جاكلين الشابّي**

لا، كما سبق وبيّنت، لقد وصل لأنه توجد روابط عائلية، ولكن كلاجئ. وفق التأريخيون الذين يمكن متابعتهم حول هذه المسائل القبلية، فعشيرته بالنسب تنتمي إلى القبيلة المدنية الخزرج، والتي فقدت الزعامة السياسية في الواحة لصالح الأوس القبيلة الخصم. يمكننا القول بأن المُهاجر قد استقبل بالإضافة بشيء من الرضا، ولحق به بعض المؤيدون القادرون على تشكيل العدد في حالة نزاع بين القبيلتين. ولكن محمد رجل في حالة فشل، منفي من طرف عشيرته المكية. ففكرة " الخروج مكره"، حتى لا نقول الطرد، هو علاوة على ذلك مذكور في الجزء المدني من القرآن.

## الانعطاف السياسي في المدينة

**جون - لوي شليغل**

بعد هذا الفشل الأول في مكة، ماذا "سيصنع"، إذا أمكن قول ذلك؟ هل سيفيده استعادة الفكرة الغيبيّة، عن الجحيم والجنة؟

**جاكلين الشابّي**

سيصنع ذلك من خلال السياسة، وليس بواسطة الخطاب. في مكة، كان الخطاب سلاحه الوحيد، ولكنه فشل، هُزم من طرف التقليد الابيسي الذي يسخر من معرفة إذا كان هناك مكان للعقاب وآخر للنعيم بعد الموت. لقد سبق وتكلمنا عن ذلك: فالخطاب القرآني، من خلال الفكرة المقتبسة حول الخلق وخالق مالك لكل شيء، في وسعه الاستجابة لكلّ الحاجيات، والمفترض أنّه أنجى أممًا في الماضي، صار لا ينفع. فرجال القبيلة براغماتيون، يريدون أدلة. فهم لا يعرفون هذه الأمم. إنّها ميزة أساسية للانثروبولوجيا والذهنية القبلية التي لا تثق إلا في أناس سبق التحالف معهم في الماضي أو الذين يمكن

لهـا التحالـف معهـم في الحـاضر والمسـتقبل. الخطـاب البعيـد عـن الواقـع لا يقبلـه أحـد.

لمـاذا كان لـه الانتصـار الأكـبر في المدينـة؟ بمجـرد أن وصـل إلى المدينـة المُسـتقبلة، سـيلعب محمـد قبـل كل شيء لعبـة سياسـية. بعـد مُـضيّ عـشر سـنوات مـن العنـف والمفاوضـات، اسـتطاع أن يضـمّ لحلـف إلهـه المكيّـون مـن الذيـن طـردوه، ويكتسـب الاعتراف بـه كوسـيط ثقـة مـن طـرف قبيلتـه القديمـة. يمكننـا القـول أنّـه لـم يتراجـع أبـدًا عـن هدفـه الأول.

لقـد اتّبـع المدنيـون هـذه السياسـة لأنهـم وجـدوا فيهـا مـا يخـدم مصالحهـم. لقـد توصـل في 630م(تاريـخ مفـترض) إلى تـولّي الرقابـة عـلى مكـة بعـد مفاوضـات. عكـس كل التوقعـات، هـذا الحلـف للمدينتـين اسـتمرّ بعـد وفـاة محمـد (632م، أيضًـا تاريـخ مفـترض)، ليـس عـلى أسـاس عقائـدي كمـا تخيّلـه البعـض في مراحـل لاحقـة ولكـن عـلى أسـاس المصلحـة المشـتركة طبعًـا.

**جون - لوي شليغل**

**هل يعكس الخطاب القرآني هذا النشاط " السياسي"؟**

**جاكلين الشابّي**

نعم،بطريقـة نوعـا مـا تلميحيـة. يضـاف إليـه- وهـذا مـا تمت ملاحظتـه منـذ مـدة طويلـة- شـق يسـمى في الغالـب " تشريعـي"، والـذي نتخيّـل انـه يُقيـم بطريقـة مـا ركائـز جديـدة لمجتمع مسـلم مثـالي. بالنظـر إليـه عـن قـرب، نكتشـف أن القـرآن المدنـي بقـي بشـكل واسـع في مرحلـة مـع القواعـد المنظمـة للمجتمعـات القبليـة في جزيـرة العـرب. مشـكلة محمـد باعتبـاره مهاجـرا إلى مدينـة غريبـة عنه،تتمثـل في أن يتـصرف عـلى قاعـدة أن أنصاره،بالخصوص القادمـين مـن البـدو والذيـن يجهلـون تقاليـد المدينة،لـن يتصرفـوا بشـكل يفسـد عليـه سياسـته مـن خـلال سـلوك غـير ملائم،ويخلّون بالتـالي بالنظـام العـام في مجتمـع المدينـة إذ حينها سـيعتبر المسـؤول

عـن ذلـك. ولكـن عـلى مسـتوى الإيديولوجـي، فالمهمـة الأولى للقـرآن المدنـي هـي في العلاقـات مـع يهـود الواحـة. فالنـزاع الـذي ينشـب ويشـتعل يأخـذ حيـزا كبـيرا مـن النـص القرآنـي الـذي يعـود لتلـك الفـترة.

**جون - لوي شليغل**

مـن أيـن أتـى هـذا النـزاع؟ لقـد سـبق وقلـت أنّـه كان ينظـر إليهـم إيجابيًّـا إلى بنـي إسرائيـل في الجـزء " المكـي" مـن القـرآن؟

**جاكلين الشابّي**

نحـن أمام مـا يمكن تسـميته بــ " المراجعـة المفجعـة": نعتقد أن لدينـا حُلفـاء ولكننـا أمـام أشـخاص لا يريـدون الحديث معـك! بينما الخطـاب المكـي عـزّى اليهـود بصفتهـم شـعب مـوسى، وهكـذا بـدل أن يسـتقبلوا بأيـدي مفتوحـة الـذي يُطالـب بالانتمـاء "لنبيّهـم"، فيهـود المدينـة يسـخرون ويهـزؤون منـه (السـورة5، الآيـة57) هـل هـم غيـورون وحسـودون (السـورة4،الآية54؛ السـورة2 ،105الآيـة) مـن وحـي جديـد يُمـدد ويُحيـي مـا أوحـى بـه إلى مـوسى؟ ليحـل خطـاب الغضـب والعنـف مـكان الاسـتغراب والحـيرة. هـذا الأخـير كان أكثـر حـدة واسـتفزازا إذ أن، الـذي بـدا يُعـرف ك " نبـي" و " رسـول"، عـلى غـرار مـن سـبقوه والـذي يطالـب بالانتمـاء إليهـم، لا يسـتطيع فعـل شيء ضـد اليهـود المحلـين والذيـن هـم أعضـاء كاملـو الحقـوق في مجتمـع المدينـة. لأجـل الوصـول إليهـم، يجـب أن نتوفـر عـلى حجـج جـادة بتعبـير آخـر حجـج سياسـية وقبليـة.

**جون - لوي شليغل**

هـل هـذا الجـدال مـع اليهـود سـينتشر شـيئًا فشـيئًا ليمـس كل قبائـل الواحـة؟

**جاكلين الشابّي**

لا أبـدًا، وهـو أمـر غريـب. فالطعـن القرآنـي الأكثـر حـدة ضـد " أهـل الكتـاب"، والمعروفـون بيهـود المدينـة، يبـدو أنّـه لـم يؤثّـر في العلاقـة الموجـودة مـع المجموعـات القبليـة الأخـرى، وكأن الأمـر يتعلـق بموضـوع شـخصي بـين الوافـد الجديـد وبينهـم.

**جون - لوي شليغل**

في ماذا تكمن إذن " المراجعة المفاجئة" التي تحدثّتي عنها؟

**جاكلين الشابّي**

مـا وراء التهديـدات التـي تطـال اليهـود المدنيـيّن، المُتهمـون بخيانـة أنبياءهـم، لدينـا مثـال مـن بـين الأمثلـة الأكثـر بـروزًا والمُتمثـل في مراجعـة القصـة التوراتيـة للعجـل الذهبـي. في القصـة المكيّـة، قامـت شـخصية شـيطانية بتضليـل أبنـاء إسرائيـل الطيّبين، تلـك الشـخصية هـي "السـامري". بينمـا، إعـادة إنتـاج القصـة في الحقبـة المدنيـة تتضمـن إلحـاق اللـوم وتحميـل كل الشـعب الخطيئة (السـورة7، الآيـة148). وتأتـي النتيجـة منطقيًـا: إنـكار صاحـب الرسـالة الجديـد لـه سـوابق مماثلـة في المـاضي. إذا كان محمـد قـد خانـه اليـوم مـن كان يعتقـد فيهـم حلفـاءه الطبيعيـين، عليـه ألا يتعجـب: لقـد سـبق لهـم وخانـوا أنبيائهـم مـرات ومـرات عديـدة. وهكـذا تخـلى عنهـم اللـه، ودمّـر مـكان سـجودهم (السـورة17، الآيـة7). أترجـم هكـذا مـن خـلال الاحتفـاظ بالمعنـى الأولي للكلمـة العربيـة والـذي جعلـت منـه الفرنسـية " المسـجد". لدينـا هنـا بـلا منـازع تلميـح مبهـم حـول تدمـير هيـكل أورشـليم في نهايـة القـرن الأول مـن الحقبـة الرومانيـة، مـن طـرف تيتـوس أولًا ثـمّ في مطلـع القـرن التـالي مـن طـرف الإمبراطـور هادريـان، تدمـير مـزدوج والـذي يجهـل القـرآن حتمًـا ظروفـه التاريخيـة.

وماذا ستكون، وفق القرآن، عواقب نزع الشرعية عن يهودية المدينة؟

**جاكلين الشابّي**

إنها عواقب وخيمة. لدينا نموذجان مُلفتان للنظر: أولا، تغيّر الوجهة عند الصلاة، وهو ما يسمّى بالقبلة، أي أن نتموقع في اتجاه معين لأجل الصلاة؛ ثم، ما أسمّيه بطريقة استفزازية،" الصناعة " القرآنية للإبراهيمية المكية.

فيما يخصّ القبلة، الجميع اليوم مُقتنع بأنه في مكة، كان أنصار محمد يتوجهون في صلاتهم نحو أورشليم. ولكننا، بحثنا بلا جدوى عن أي إشارة إلى هذه المدينة في قرآن الحقبة المكية. فالقطب المقدس الذي كمان يُتذرّع بالتوجه إليه باستمرار، هو " الوادي المقدس" لموسى، أين يستلم الأمر الإلهي من أجل أن يذهب لمواجهة فرعون. نستطيع إذن فهم سبب تعجب المُهاجر عندما، يصل المدينة، ويلاحظ أن الاتجاه المقدس لليهود المحليّين ليس هو نفسه الذي كان يتوجه إليه: لا يمكننا الشك بالتأكيد أن يهود المدينة ينظرون إلى أورشليم. ينزل الوحي إذن في الوقت المناسب ليُبيّن أن الاتجاه المقدس هو" المسجد الحرام"، الذي يتعلّق بالموقع المكي.

هذه الصناعة للقبلة المكية ستتبعها أخرى رئيسية، ذات الصلة بالنزاع الذي يقع بين محمد ويهود المدينة. القرآن يبحث جاهدًا لتقويضهم من خلال منعهم من رهاناتهم الرمزية. غير مسرور بالقول " مكان السجود" الذي في حوزتهم (دون تحديد أي اتجاه) قد دُمّر للأبد، وهكذا يظهر إبراهيم مؤسسًا " للبيت المقدس" في مكة، الكعبة ويُدشّن " الطواف" حول المبنى الذي يحمل حجارة مقدسة. لا يمكن أن نفعل أحسن من ذلك لأجل سلب يهود المدينة من مرجعيات أجدادهم المقدسة.

**جون - لوي شليغل**

ولكن هنا، إذا تتبعتك، يبدو أن النزاع مع يهود المدينة صار دينيًا أكثر منه قبليًا؟

**جاكلين الشابّي**

يمكننا القول إن النزاع مع يهود المدينة لم يكن ضمن البرنامج، ولكنه انفجر بكل بساطة لأنّ حاخامات المدينة رفضوا الحوار. وهذا ما يزرع الشك بشكل مباشر في المصداقية الإيديولوجية لمحمد. إلى عدم الفهم المبدئي من قبله يضاف عنفًا في الخطاب والذي يكبر شيئًا فشيئًا. ولأنه لا يستطيع فعل أي شيء على المستوى القبلي، عليه أن يضع يهود المدينة في حالة مخالفة سياسية لكي يستطيع محمد الانقضاض عليهم، وهو ما حدث فعلًا.

## رجل قبيلة بقدرات استثنائية

**جون - لوي شليغل**

بخصوص هذه المرحلة الأولى، هل في وسعنا الحديث عن " أمّة مُسلمة "، كما هو متداول في الحديث اليوم؟

**جاكلين الشابّي**

إنكم تتنبؤون بجوابي: لا ثم لا! لقد تأسست في المدينة بيئة سياسية لا يُمكنها إلّا أن تكون في توافق مع الترتيب الاجتماعي لتلك المرحلة. القاعدة الأساسية على كل المستويات، هي الحلف، وأكثر من ذلك هي الرضا بالحلف لكل من ليس هو في وضع مُهيمن في حال نزاع مع المجموعات المنافسة. كل ما يمكننا قوله بخصوص وجهة النظر هذه، أنّ التخلّص العنيف من القبيلة اليهودية الأكثر قوة في المدينة يمثل استثناءً كاملًا. كان يجب العثور على حجة قبلية مُلحّة – وهي الخيانة – لأجل الوصول إلى هذه النهاية. في الواقع، عندما نُهزم، مبدئيًا نفاوض ونحن نقول إننا سنعرف بلا شك أيامًا أفضل أين

سيصبح في وسعنا مجدّدًا الصعود.

لنقله هكذا بدون تردد: من الأفضل نسيان " الأمة " المزعومة والتي هي في نظر البعض "الدولة الإسلامية " التي يحكمها نبي بسلطة لا خلاف حولها، مُطاع في كل شيء من طرف " رفاق" أتقياء. إنّها " الرواية المابعد"، عندما قمنا بتقديس الماضي.

**جون - لوي شليغل**

ألم يكن لدى محمد بالرغم من كل شيء سلطة معينة في المدينة من أجل أن ينجح كما فعل؟

**جاكلين الشابّي**

أستطيع تفهم إلحاحكم: فعلا من الصعب فهم ذلك عندما نعيش في مجتمع تحكمه دولة، بقوانين مكتوبة ينظر إليها على أنها ثابتة، أي أبدية. جزيرة قبائل العرب في تلك المرحلة هي على النقيض في حالة تغيّر، إذ على كل واحد أن يُثبت وجوده على أساس يومي. من أجل الخروج من حالة صعبة، لا يُمكننا الاعتماد على أي فرد من خارج مجموعة القرابة. إذن صحيح: العجيب لدى محمد أنّه نجح بالرغم من تخلي الأقارب عنه. إنّها قوة الضعيف والمحروم، الذي استطاع أن يصنع مستقبلًا لم يُوعد به، بالاعتماد على كل الإمكانات المُتاحة لديه. من وجهة النظر هذه، يمكننا القول " نبي " كان أو ليس بنبي، أنّنا في حضرة رجل يمتلك قوة في الشخصية وصاحب ذكاء استثنائي.

ولكن يجب عدم السقوط في الصورة المفارقة للزمن. إنّ محمدًا التاريخي هو رجل ينتمي إلى عصره ومجتمعه، أي أنّه رجل القبيلة الذي لا يمكنه مخالفة قواعد وسلوكيات عصره. إن "إضافة الأسلمة " الذي نحيط بها- إلى غاية يومنا هذا - بيئة قبلية قبل كل شيء لا يمكنه إلّا أن يُبعدنا عن الأصول.

**جون - لوي شليغل**

هنـاك إذن انتصـار " قبـلي " حقيقـي أثنـاء حياتـه. ولكـن مـاذا بعـد موتـه؟

**جاكلين الشابّي**

لقـد تحقـق هنـا غـير المُتوقـع. بينمـا همـا حليفـان لمـدة سـنتين تقريبًـا، بقيـت مكـة والمدينـة متّحدتـان. عـلاوة عـلى ذلـك، فالطائف المدينـة الجبليـة، التـي فاوضـت لأجـل الانضمـام للحلـف منـذ سـنة تقريبًـا، لـم تنشّـق. مـرّة أخـرى كذلـك، يجـب ألا نـرى في هـذا الانتسـاب عـلى أنّـه ذو طابـع دينـي، بـل هـو حلـف سـياسي قائـم عـلى مصلحـة. فالعامـل المُوّحـد لا يمكنـه أن يكـون إسـلامًا دينيًّـا والـذي لـم يُوجـد بعـد، بـل هـي المصلحـة المفهومـة بشـكل جيّـد، والتـي سـتُترجم في سياسـة توسـعيّة. ونجاحهـا سـينقذ الحلـف المُـبرم، الـذي لا يـزال زمنيًّـا قريبًـا. فالخليفـة الأول قـام بمحاربـة التمـرّد المحـلي لقبائـل بدويـة صغـيرة في الجانـب الغربي مـن جزيرة العـرب والتـي انشـقّت عـن الحلـف. هـذه الأخـيرة عـاودت بسرعـة الانضمـام إلى الصفـوف وسـاهمت في الأعمـال المشـتركة.. الـذي تبقـي أيضًا وبشـكل واسـع هـو اريوباجـوس Ar éopage لزعمـاء عشـائر مجتمعـين حـول شـخصية متفـق عليهـا هـو رفيـق الـدرب القديـم لمحمـد ( والـذي هـو أيضًـا حمـاه، أب عائشـة الشـهيرة) كاف للهجوم عـلى وسـط وشرق الجزيـرة العربيـة، واللتـان بقيتـا بعيدتـين كليًّـا عـن التغيـيرات. لـو حـدث وفشـل رجـال الجهـة الغربيـة لجزيـرة العـرب في محاولاتهـم، لـكان كلّ شيء قـد انتهـى، ومـا كان الإسـلام ليُوجـد. ولكـن العكـس هـو الـذي حـدث. و" الإسـلام الديـن" ليـس لـه أي علاقـة بذلـك. ومـع ذلـك، فالثقـة بوجـود إلـه يمنـح النـصر، ربمـا لهـا تأثـير معـين.

**جون - لوي شليغل**

قبل الختام، قولي لنا كلمة بخصوص ما حدث فيما بعد... من خلال غزوات كبرى انتهت في مدة زمنية وجيزة إلى فرض الرقابة على فضاء بحجم الإمبراطورية. فالدين لم يلعب أي دور في هذا؟

**جاكلين الشابّي**

هذه الغزوات هي غير مُتوقعة تمامًا، بما في ذلك بالنسبة لرجال القبيلة ذاتهم. سيسيرون بالاعتماد على الطرق التقليدية شيئًا فشيئًا، كلما تقدّموا في انتصاراتهم. الشيء الوحيد المُبرمج بشكل غامض هو الزحف نحو الشمال على طول الطريق القديم لتجارة البخور. إنّ هذه "السياسة" المُوجهة نحو واحات الشمال لجزيرة العرب قد تعود إلى محمد في حد ذاته، في نهاية الحقبة المدنية. لكننا قد نشك في وجود بعض الحملات التي يرويها التأريخيون في المراحل اللاحقة.

**جون - لوي شليغل**

يجب علينا مرّة أخرى الاستنتاج من خلال ما تقولينه إنّنا لسنا، بعد موت محمد، في مرحلة توسّع لإسلام منتهي التشكل ومُعتنق. إنّه بالفعل الكليشيه الشائع، في الغالب من أجل تمييزه عن المسيحية، التي انتشرت في الإمبراطورية الرومانية بدون سلاح ولا عنف.

**جاكلين الشابّي**

يجب بالفعل أن ننسى الاعتناق. خلال أكثر من قرن، إلى غاية قدوم العباسيين للحكم حوالي750 م، أن تصبح مسلمًا يفترض الانتساب حتمًا إلى قبيلة، وليس من خلال الالتحاق بالإسلام كدين. عندما تكون القبائل المتحالفة هي التي تراقب إقليميًا جغرافيًا بمساحة إمبراطورية، فالجماهير البعيدة عن جزيرة العرب تُمنع من الانضمام إلى حلف الله، إلّا من خلال قبولهم كأفراد "مُلحقين" بقبيلة ذات أصول عربية. إنّه فقط

منـذ العباسـيين أيـن انتهـى هـذا الوضـع وفتحـت أبـواب الاعتنـاق، دون شرط الانتسـاب القبـلي.

**جون - لوي شليغل**

كيـف نفسر، مـع هـذه البنيـة القبليـة المحتفـظ بهـا، أن هـؤلاء الرجـال اسـتطاعوا بسرعـة الوصـول إلى دمشـق؟ إنهـم "في حمايـة اللـه"، حسـنا، ولكنّـك قلـتِ أنّ هـذه الحمايـة هـي ثانويـة بالمقارنـة مـع الانتسـاب القبـلي.

**جاكلين الشابّي**

الجماعـات القبليـة موجـودة في منطقـة دمشـق منـذ 634م. فالمدينـة صـارت مراقبـة بصفـة نهائيـة عامـين بعـد ذلـك، بـدون قتـال وبعـد اتّفـاق الحمايـة مقابـل دفـع الضريبـة. في الحقيقـة، كان هنـاك عـدد قليـل لمعـارك كبـيرة. حتـى لا يتعرّضـوا للنهـب أو أن يجـدوا صعوبـات في تنقلاتهـم، أمضـت المـدن اتفاقيـات مـع القبائل، والتـي انتهـت بالقبـول بالقليـل، مـع تـرك البُنـى الموجـودة كمـا هـي عليـه ولـم تتدخّـل في الديـن. فالقاعـدة القديمـة التـي تنـصّ عـلى الحـد الأدنـى مـن الرقابـة للمُتحالـف هـي التـي طبّقـت، وليس قانونـًا جديـدًا نسـميه قرآنيًـا أو إسـلاميًّا، كمـا يتخيّلـه الكثـير اليـوم أمـا فيمـا يخـص الإمبراطوريتـين، البيزنطيـة والساسـانية، فالمفاجـأة كانـت كبـيرة. عـرب جـاءوا مـن جزيـرة العـرب؟ لـم يكن ينتظرهـم أحـد. لقـد أُضعفـت كثـيرًا الإمبراطوريـة البيزنطيـة بفعـل الانشـقاقات الدينيـة في قلـب المسـيحية، ولكـن أكثـر بسـبب غـزوات الفـرس التـي غمـرت المنطقـة بـين 614م و628م. مـع هرقـل، الإمبراطـور البيزنطـي، الـذي بـدأ للتـو في اسـتعادة التقـدم.

**جون - لوي شليغل**

ومنـه نظريـات الفـترات اللاحقـة للفيلسـوف الكبـير والمـؤرخ ابـن خلـدون(1332م-1406م)1. الـذي يتحـدّث عـن وجـود ذكـرى للعصبيّـة عنـد المسـلمين التـي تطـوّرت أثنـاء الحمـلات، والتـي تنتهـي عندمـا يتأسّـس الإسـلام، ولكنهـا تظـل موجـودة وكامنـة وقـادرة عـلى الظهـور في حـالات الأزمـات.

**جاكلين الشابّي**

يجب ألّا نفكر، في اعتقادي، وفق مفردات " المسلمين": عندما لا نقول عمّن وعن متى نتكلّم، هذا لا يعني أيّ شيء. لم تكن الغزوات " إسلامية". بل تعود إلى توسّع قبلي الذي ينقل كل قبائل جزيرة العرب خارج شبه الجزيرة العربية ويتوسّع خطوة بخطوة، دون مخطّط توسّعيّ جاهز مُسبقًا. عندما ننتصر، نسير إلى الأبعد إلى غاية أن صرنا بعيدين جدًّا عن قواعدنا، من أجل الاستمرار في السير أو نواجه عائق لا يمكن اجتيازه. في الحقيقة، إن ما سمح باستمرار هذه الغزوات، هو كونها كانت أقلّ تدميرًا ولم تفرض أيّ ضغوط إيديولوجية على المجتمعات خارج الجزيرة العربية، على الأقل عندما كانت أبواب الاعتناق مغلقة. إنّ ما يقوله ابن خلدون بخصوص عقل العشيرة لم يظهر في اللحظة وكنتيجة للغزوات: إنّه بكل بساطة الصفة الأساسية للمجتمعات القبلية في جزيرة العرب، والتي وجدت فرصة استثنائية للتعبير على نطاق واسع. هذه الصفة لا علاقة لها بالإسلام.

**جون - لوي شليغل**

يعتقد الخلدونيون دائمًا، ضمنيًّا، أنّ التوسّع كان دينيًّا، يعود إلى إسلام فاتح، في الوقت الذي تتحدّثين فيه عن إستراتيجية قبلية.

**جاكلين الشابّي**

لن أتحدّث عن " إستراتيجية". هناك في التطوّرات التاريخية شيء من العشوائية والتي ننزع في الغالب إلى عدم إعطاءها الأهمية ونحن نبحث عن تأسيس ما يمكن التنبّؤ به والمنطقي عندما لا يتوفّر لدينا إلا الفرص. يجب أن نحذر من الكلمات التي نستعملها. من الأفضل هنا الحديث عن توسّع وليس غزو، لأنّ خلف الغزو قد ننقاد إلى الشك في " مخطّط الغزو ". في حالة الاسكندر الأكبر يمكننا فعلًا أن نفكر وفق

هــذه الطريقــة، ولكنهــا لا تصلــح في حالــة توســع القبائــل العربيــة في منتصــف القــرن الســابع. مــا حــدث لأجــل الوصــول إلى نجــاح كان غــير متوقــع في البدايــة.

1.Le Livre des exemples,2 tomes, Paris,Gallimard,"La Pléiade",2002 et2012.

# من قرآن القبائل الى حديث المعتنقين

## من القول إلى النص

**جون - لوي شليغل**

قلتِ أنَّ مدونة القرآن كان في البداية شفاهيًّا: لم توجد كتابة في البداية، لا في مكة ولا في المدينة، كل شيء سيكتب ويُعاد كتابته لاحقًا. ومع ذلك، قبل الكتابات القرآنية على قبة الصخرة، المُنتهية الانجاز سنة 692م في عهد الأمويين، هل وجدت آثارًا أو مقتطفات من القرآن مكتوبة؟

**جاكلين الشابّي**

في جزيرة العرب، عندما نكتب، ففي الغالب على الصخور، وهي نصوص قصيرة جدًّا. بالنسبة للقرآن، فإنَّ أقدم الأوراق الموجودة كتبت على مخطوطات رقيّة. هذا النوع من الوسيلة كان باهظًا، وغالبًا ما نجد طروس، والتي عليها توجد كتابات قديمة مُسحت وأعيد استعمالها. فالسؤال المُؤكد هو: من أين أتت؟ والى أيّ تاريخ تعود؟ ولكن طبعًا، بالنسبة للتقليد الإسلامي الذي يروي الماضي بدءًا من الجزء الثاني من القرن الثامن، فالقرآن قد كُتب، بمجرد أن أوحي، من طرف "رفاق" النبي، على كل وسيلة مُتاحة، من عظام الإبل إلى سعف النخيل. يُفترض أنَّ الخليفة الثالث في المدينة، عثمان بن عفان(644م-

656م) قد جمع الكتابات التي كانت موجودة. ليصير لدينا القرآن كاملًا في أقلّ من عشرين سنة بعد وفاة محمد. ولكن هذه الرواية الجميلة لا يمكنها أن تُقنع.

**جون - لوي شليغل**

**ماذا تقترحين كتفسير؟**

**جاكلين الشابّي**

لدينا أوراق مكتوبة، وجدت في مناطق مختلفة، يعود تاريخها المُحتمل إلى النصف الأول من الحقبة الأموية، إذن من 661م وإلى غاية نهاية القرن السابع. فالكتابة الموجودة على قُبّة الصخرة تُسجّل نهاية تجميع الكتاب. لقد استقرَّ بلا شكّ حوالي سنة 700م تقريبًا، أي في عهد عبد الملك بن مروان (685م-705 م). فصناعة القرآن كنص مكتوب يبدو أنّها قد أنجزت في ظرف تحوّل لإقليم جغرافي بلغ حدود الإمبراطورية، ولكنه، على مستوى رجال السلطة، بقيت ذهنية القبيلة واضحة الى حد كبير.

الخليفة عثمان ينتمي إلى عشيرة الأمويين. إنّه بلا شكّ السبب عينه الذي جعل الخلفاء الذي ينتمون إلى نفس السلالة يُرجعون إليه القصة الوهمية للقرآن الكامل. إن كوديكولوجيين Codicologues * من أمثال فرنسوا ديروش 1يبحثون منذ عشرات السنين حول المسألة، ولكن وجود كتابة تعود إلى حقبة محمد في ذاته، تبقى مستبعدة. فعلًا، يوجد في القرآن منع واضح: بسبب أنّ يهود المدينة كتبوا المقدس " بأيديهم"، فقد شوّهوا النقل (السورة2، الآية79). نستطيع إذن الاستنتاج أنّه بقي شفهيًا.

**جون - لوي شليغل**

قبـل 692م، لا يوجـد إذن آثـار مكتوبـة لقـرآن مؤلّـف (أقصـد نـص، سـواء كان جزئيًـا أو غـير مكتمـل والـذي قـد نكـون احتفظنـا منـه بمخطـوط أو أكثر).ولكـن بعـد هـذا التاريـخ، هـل وجـد قـرآن مُكتمـل؟ قبـل كل شيء، كان لـدى الأمويـين سـتّين عامًـا للعيـش...

**جاكلين الشابّي**

هنـاك فعـلًا أجـزاء مكتوبـة مـن القـرآن. مـا عثرنـا عليـه ويُعثـر عليـه أيضًـا يمثـل جـزءًا مهمًـا مـن النـص، حتّـى وإن لـم يتوفـر لدينـا كامـلا. ولكـن مـع الأمويـين، فإننـا لـم نبلـغ بعـد مجتمـع الكتابـة: فالقـرآن إن صـحّ التعبـير هـو الوثيقـة الوحيـدة التـي سـيكتبونها. ليـس لديهـم مؤرّخـين مـن أجـل سرد أحداثهـم الكبـيرة. إذا كان القـرآن قـد كُتـب، فإنّـه لأجـل الـردّ عـلى الكتابـات المقدّسـة التـي تحتـجّ بهـا المسـيحية. بمعـزل عـن هـذا الاسـتثناء الـذي هـو مـن اختصـاص " السـياسي"، فالثقافـة المرجعيـة الأمويـة بقيـت إلى حـدّ كبـير هـي ثقافـة كلمـة الخطبـاء وشـعراء القبائـل.

إنّـه في الحقيقـة لهـذا السـبب يمكننـا القـول إنَّ القـرآن يأخـذ شـكل الشـفهية المكتوبـة التـي لا تحتـاج إلى تجميـع الموضوعـات ولا إلى تسـجيلها ضمـن تطـور سردي. فالتكـرار هـو القاعـدة، ويسـتجيب إلى منطـق تجميعـي. وهـو مـا يجعـل قـراءة النـص صعبـة، بالخصـوص، بالنسـبة لقـارئ اليـوم.

## قرآن أوّل؟

**جون - لوي شليغل**

بالنسـبة " للكُتـاب" أو " مجموعـات الكُتـاب" التوراتيـين، فقـد ذكرنـا " الأوسـاط" التـي كتبـت أو أعـادت كتابـة النصـوص، ألا وهـم الكهنـة في المعابـد أو الكتبـة في البـلاط الملكـي. هـل يمكننـا أن نجـد مـا يشـبه ذلـك في كتابـة القـرآن؟

**جاكلين الشابّي**

مـن كتـب المخطوطـات التـي نعثـر عليهـا والتـي تعـود تاريخيًّـا عـلى مـا يبـدو إلى الأمويـين؟ اولئـك الذيـن يعرفـون الكتابـة. وبمـا أنهـم ليسـوا عـرب القبائـل، فإنّنـا نجدهـا أيـن كان يكتـب بالفعـل: في المحيـط المبـاشر للأمـراء الأمويـين، أو ربّمـا أيضًـا في اليمـن. يمكننـا الاعتقـاد أن مهمّـة إسـتراتيجية مـن هـذا القبيـل كان لابـدّ لهـا أن تبقـى تحـت الرقابـة، ولـم يسـتطيع الكتبـة أن يفعلـوا مـا أرادوا. إنّ متـن النـص بقـي مركـزًا بشـكل كبـير حـول إيديولوجيـة قبليـة. فالمشـكل يبقـى فقـط في بعـض الفقـرات، سـواء لأنهـا تسـتعمل مفـردات لا نجدهـا في بقيـة النـص، مثلمـا هـو الحـال في آيـة الكـرسي، التـي تتكلّم عـن القـدرة الإلهيـة (السـورة2،الآية255)، أو في قصـص لا تبـدو غريبـة، مثلمـا في السـورة 18 التـي تعيـد إنتـاج قصـة مرتبطـة بأسـطورة الاسـكندر (المتداولـة في كل مـكان مـن الـشرق الأوسـط). إذن أنـا لا أشـارك أبـدا أطروحـة" اورقـرآن Urkoran *، قـرآن أول، سريانـي" والـذي يكـون قـد اسـتعمله الأمويـون لصالحهـم. فالخلفيـات الانثروبولوجيـة للنـص تكـذّب هـذه الأطروحـة 2.

**توماس رومر**

في الحقبـة العباسـية(أي بعـد 750م)، بعيـدًا عـن هـذه المرحلـة الأوليـة، وفي ظـروف مختلفـة تمامًـا، صـار النـصّ مرجعًـا خالصًـا مجـرّدًا مـن كلّ تاريـخ.

**جاكلين الشابّي**

فعـلا، العباسـيون هُـم مـن هُـم في المجتمـع الـذي يعيشـون فيـه، والـذي فعـلًا لا شيء يجمعـه مـع الحقبـة العربيـة. فالمُعتنقـين، وبالخصـوص منهـم المتواجـد في المـدن العباسـية الكـبرى، احتـووا النـص، الـذي صـار بالنسـبة إليهـم مرجعًـا، لأجـل الاسـتجابة لتحدياتهـم الإيديولوجيـة والاجتماعيـة. إنّهـم بصـدد البحـث عـن نمـوذج مؤسّـس ينتسـبون إليـه. فهـم لا يعرفـون قـراءة أو فهـم

الحقبة الأولى، وتكوين رؤية عن الماضي من دون الانخراط فيه، إنّه الموقف العلمي لزمننا.

**جون - لوي شليغل**

هل يمكننا، كما يفعل مفسرو التوراة، القول بوجود طبقة أولى للنص، des ipsissima verba coraniques إذا صحّ التعبير؟

**جاكلين الشابّي**

نعم بالتأكيد، بالانطلاق من شبكة القراءة الانثروبولوجية، يمكننا تمييز طبقة ذات نبرة قبلية خالصة، أين لا يوجد أي عنصر من أصل توراتي. ثم نلاحظ بعد ذلك كيف تظهر العناصر التوراتية وكيف تُستعمل. يبدأ ذلك مع اسكاتولوجيا الحساب والعقاب، لأنّها تتعلّق بمخاطبة العقول والتخويف؛ ثم يأتي موضوع الخلق لصالح رجل القبيلة. يمكننا هكذا أن نستمر في مسار التمثّلات التي تقوم بعملها، بطريقة افتراضية طبعًا.

**توماس رومر**

لماذا لا نستطيع إعادة بناء إذن اورقرآني (أفهمه طبعاً: لا سرياني)؟

**جاكلين الشابّي**

لن أتكلم عن اورقرآني، بتعبير آخر عن قاعدة أولية والتي أضيفت لها شيئًا فشيئًا عناصر أخرى. بإتّباع الخط الانثروبولوجي، لدينا بالأحرى انطباع بوجود تمثّل يسير من الحقبة الأولى، أين كانت الكلمة وحدها تُسمع: تلك التي للمُوحى إليه الذي يقول إنّه ينقل لذويه خطابًا إلهيًّا مُفيدًا. إنّها ما نسميه بالحقبة المكيّة. الحقبة القرآنية التالية، هي تلك التي للفعل والتي تُسميها التأريخية على غرار القرآن بالمدنيّة. إنها اللحظة السياسية: هنا أيضًا، الاستعادة التي يُمكننا فعلها ترتكز على انثروبولوجية مجتمعية، والتي علينا دائمًا بذل الجهد لتحيينها، طبعًا، فهي لا تظهر دومًا بشكل واضح.

**جون - لوي شليغل**

بالنسبة لهذا العمل الانثروبولوجي، هل لديك معايير أو رموز في النص ذاته؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، أمنح نفسي " معاييرًا من الواقع". إنّها من أسُس البحث في التاريخ، تلك التي تسمح بوضع موضوع البحث في سياقه. وبما أننا لا نمتلك أي وثيقة من النوع الكلاسيكي حول الجزء الغربي من جزيرة العرب في القرن السابع للميلاد، من حسن حظّنا أنّنا في حضرة واقع ووسط حياة متميّزان جدًّا، واللذان استطاعا التسجيل في الزمن الطويل. إنّ مناهج الانثروبولوجية التاريخية تستطيع بشكل جيّد أن تُطبّق. أضيف شيئًا أخيرًا ذا أهمية قصوى: يجب اعتبار لغة القرآن أيضًا كمجال للاستكشاف والبحث، لأنّ معاني الكلمات كما كانت في البداية قد افتُقدت في الغالب. أتكلّم طبعًا عن كلمات القرآن في لغتهم العربية، وليس عن الترجمات. وفضلًا عن ذلك، بعيدًا عن الكلمات التي لم تتغيّر، فالعربية الحديثة هي أيضًا ترجمة بالنسبة للمعاني الأوّلية للكلمات في مضمونها القرآني الأوّل. لا أقول هذا لأجل تثبّيت المعاني بل بالعكس، لأجل أن أوضّح هذه التغيّرات عندما نُغيّر الظرف والمكان.

## الحديث، مدونة للتعويض

**جون - لوي شليغل**

استكمال صياغة النصوص التوراتية تمتد على مدى قرون. نمنح لحقب متتالية، دائمًا بشكل غير مكتمل وجزئيّ غير يقينيّ، الطبقات التحريرية التي تمّ استخراجها. على العكس من ذلك، فإنّ نظم القرآن حدث في مدة وجيزة.

**جاكلين الشابّي**

بالفعل، بالنسبة للقرآن فإنّ " الصياغة" حدثت، في المجمل،

خــلال ثلاثــة أربــاع قــرن، مــن وفــاة محمــد (في 632م، تأريــخ افــتراضي) وإلى نهايــة نفــس القــرن. خــلال هــذه الفــترة الزمنيــة القصــيرة جــدًّا، فــان المجتمــع ظلّــت تتحكّــم فيــه براديغمــا قبليــة والتــي يعكســها القــرآن بصفــة ممتــازة في خطابــه العميــق، تلــك المُتعلقــة بوظائفــه المُجتمعيّــة والذهنيــة. إنّــه فقــط، فيمــا بعــد، مــع الوصــول العنيــف للعباســيين للســلطة، وبالرغــم مــن كونهــم هــم كذلــك مــن ســلالة مكيّــة، لكــن امّحــى معهــم النمــوذج القبــلي العربــي ليُســتبدل بنمــاذج عديــدة وهجينــة، والتــي وفّــرت تركيبــات متعــدّدة بالانطــلاق مــن الثقافــات المحليــة والتــي بدورهــا ستســتولي عــلى الخطــاب القرآنــي لتمتلكــه. ولكــن في هــذه اللحظــة، فالقــرآن لوحــده غــير كاف لأجــل الإجابــة عــلى الأســئلة التــي تُطــرح. ولــم يعــد كذلــك مفهومًــا. ومــن هــذا المنطلــق تمــت صناعــة، إن صــح التعبــير، منتــج بديــل: مدونــة الحديــث، التقليــد المســمّى بالنبــوي.

**جون - لوي شليغل**

عندما تقولين إنّ القرآن لم يعد مفهومًا، إلى ماذا تُلمّحين؟

**جاكلين الشابّي**

لــم يعــد مفهومًــا بمــا يحتويــه مــن معانــي في ظــروف مجتمعيــة لــم تعــد قائمــة. في نهايــة القــرن الثامــن والقــرن التاســع، ظلّــت الحيــاة القبليــة موجــودة طبعًــا في جزيــرة العــرب، بــلا تغيــيّر. ولكــن مراكــز الســلطة لــم تعــد في جزيــرة العــرب. لقــد صــاروا مغتربــين في مجتمعــات مختلفــة تمامًــا، تحكمهــا نمــاذج لســلطة الدولــة يجهلهــا المجتمــع القبــلي كليــا.

**جون - لوي شليغل**

هــل في مقــدورك تذكيرنــا باقتضــاب مــاذا تعنيــه الحقبــة العباســية، أي بيئــة الحديــث؟

**جاكلين الشابّي**

الحديث هو قبل كلّ شيء قول يُحيل إلى فكرة الفعل "الذي حدث حقيقة". ينطبق في القرآن على تذكير بالماضي والذي يُفترض أنه يتعلق بأحداث حقيقية وقعت. لا نعرف بالضبط متى تصبح " الرواية المفترضة حقيقية" تحديدًا " قول الرسول"، الحديث النبوي، بتعبير آخر هو القول الحقيقي الذي يفترض أنّ الرسول قاله حول مختلف الموضوعات. من أجل الوصول إلى هذا، كان يجب أن يصبح شخصية مرجعية ونموذجًا يُتبع، وهو ما لم يتحقّق في البداية؛ ففي القرآن ذاته، لا نجده يوصف بهذا الشكل. فالمدونات الأولى للحديث تعود إلى منتصف القرن التاسع. من المؤكّد أنّ لذلك علاقة مع الاعتناق الكثيف للمجتمعات الحضرية، والذي نشأ سواء في العراق أو إيران أو في آسيا الوسطى. إنّه من هنا يبدو ظهور الطلب على "نموذج جميل" ومرجعي، والذي سيُجسّد الشخصية النبوية. إنّه مُفترض فيه توضيح الطريق الواجب إتّباعها في كل المجالات، من خلال ما نسميه السُنّة، الطريق الذي لا ينبغي الابتعاد عنه.

**جون - لوي شليغل**

نحن إذن بصدد إعادة بناء؟

**جاكلين الشابّي**

نعم، بالفعل، ولكن يمكننا القول إنها كانت منتظرة. نحن لم نعد في الظروف الأولى.لقد غيّرنا المُجتمع. فالتوقّعات والتحديّات أصبحت مختلفة كليًّا، حتى وإن كان المعنيّون لا يشعرون بذلك. وهكذا صار لدينا هذه الروايات التي يجهلها القرآن، من تلك التي تضع محمد في العديد من المناسبات في حضرة مسيحيين نسطوريين. مثلًا، في الروايات الأولى من هذا النوع، في بداية الحقبة العباسية، أثناء رحيل قافلة إلى بصرى Bosra جنوب سوريا، نجد اعترافًا لمحمد الشاب بالنبوة في

المستقبل من طرف راهب نسطوري. من وجهة نظر القرآن، هذا مجرد خيال. هناك أيضًا قصّة الراهب النسطوري المفترض أنّه عاش في مكة والذي كان ابن عم الزوجة الأولى لمحمد. يقال أنّه طمأن محمّد من خلال تأكيد الطابع الأصيل لبدايات الوحي. هنا أيضًا، لا يوجد في القرآن ما يثبت ذلك. فالمسيحية، كما سبق وقلنا، كانت غائبة في المرحلة المكيّة.

**جون - لوي شليغل**

تضعين الحديث إذن كليًّا في مجال الخيال. عما نبحث من خلال خلق هذا النوع من الروايات؟

**جاكلين الشابّي**

بل السؤال هو: من المُستفيد من هذه الروايات، لأنّها ليست مجّانية. يُمكننا الحديث هنا عن بحث عن الشرعية. في الحقيقة، إنّ المجتمعات التي هي في طور اعتناق الاسلام في القرن التاسع، كانت في حاجة إلى نماذج للارتكاز. فهي كانت في حاجة إلى الارتباط اصطناعيًّا بماضي ليس لها. فنحن إذن في حضرة خيال ضروري لصالح المعتنقين، يمكن اعتباره مرتبطًا بمسار الإدماج في المجتمع الجديد قيد البناء، أين يسود تعدّد ثقافيّ وفير وأيضًا تعدّد لسانيّ، والذي يجب النجاح في جمعه وتوجيهه في نماذج موحدة. مع شخصيات مرجعيّة مثل نموذج محمد بالنسبة للسنة و" الأئمة " من سلالة محمد بالنسبة للشيعة، فالبعد الديني يُقدّم الأجوبة لهذا الطلب الجماعي. فالماضي، وهو خال من كل ما يكوّن تميّزه المجتمعي، يندرج إذن ضمن البعد الاسطوري. وهو ما نتج عنه بالضرورة أن يجد تفسير قرآن نفسه متأثّرًا بشكل مباشر.

**جون - لوي شليغل**

هل يمكنك تقديم مثال عن هذا "التأثير" في فهم القرآن؟

أفضل نموذج هو مشهد حياة محمد في حد ذاته. بالنسبة لرجال القبيلة، يكفي أن نعرف أبناء من نحن. بالنسبة لمحمد، كما سبق ورأينا، فلا يمكن أن يتمّ له ذلك لأنّه يتيم المولد. يحاول القرآن استدراك الأشياء بالقول إنّ الرب أعطاه ما يرضيه بينما كان في حاجة وأنّه رفع شأنه في نظر ذويه (السورة93،الآية8؛السورة94،الآية4). جيّد جدًّا، ولكنّه قليل بعض الشيء وبالخصوص عديم الأهمية في المجتمع العباسي الإمبراطوري، الذي في حاجة في تحديده للهوية إلى شخصية مؤسّسة تتطلّب إضفاء صفات استثنائية لها. سنعمل إذن على بناء رواية لحياة محمد تبدأ من مولده وإلى غاية وفاته، نضخّ فيها نسبة من الخوارق والعجيب لتتناسب مع ما ينتظره المؤمن. شيئًا فشيئًا كلما ابتعدنا عن الحقبة القبلية، يصبح محمد أقل وأقل رجل ينتمي لعصره وأكثر فأكثر نبيًّا، إلى أن يتغيّر مع مرور القرون إلى شخصية أكثر فأكثر تقديسًا لا تقبل المساس بها. إنّه بالطبع أيضًا الحال اليوم، مع العواقب المرعبة التي نعرفها.

ستعمل السردية على سد الفجوات الموجودة في الخطاب القرآني، وذلك ليس من دون الاستحواذ خلال ذلك على كل ما هو جيّد يتوجّب أن يُؤخذ. فالروايات غالبًا ما تقوم بنسخ نماذج بعيدة عن المصير النبوي، كما ترويه النصوص المسماة منحولة في المسيحية. نُغيّر الديانة، ولكن المتخيّل يبقى هو ذاته... هذا يفسر لنا ازدهار الروايات الأسطورية التي نجدها منذ بداية العصر العباسي في النصوص المسماة ب السيرة، "بيوغرافيا" محمد النبي. هذا الوريد الأدبي، الذي يبدأ في النصف الثاني من القرن الثامن، والذي يُثرى باستمرار بعناصر جديدة. من الواضح أن الحديث، الذي تمّ ترسيمه بعد قرن من الزمن سيستمدّ عناصر جديدة في هذه الطبقة

السردية. يجب إذن امتلاك الوسائل من أجل فكّ التشفير تاريخيًّا لهذه النصوص من خلال استعمال شبكة ملائمة للقراءة.

**جون - لوي شليغل**

بالضبط: كيف يمكننا الحكم على هذا الشكل السردي الذي يبدو سهلًا، ولكنّه في الحقيقة شديد التعقيد؟ على أيّ معيار للقراءة النقدية تعتمدين؟

**جاكلين الشابّي**

تمامًا هو ذاته كما بالنسبة للقرآن. إذ أنّ تحديد الحقل الانثروبولوجي، والناس الذين يعيشون فيه ويتفاعلون، فكّ شفرات سلوكياتهم وأنماط تفكيرهم، فهم تطلّعاتهم وتحدياتهم... فالوسائل المنهجية هي أيضًا عينها: الانثروبولوجية التاريخية والدراسة الدقيقة للنصوص في لغتها.

**جون - لوي شليغل**

كيف يمكننا تفسير الحجم الكبير جدًّا لمدونة الحديث؟

**جاكلين الشابّي**

يمكننا القول بشيء من المُزاح أنّه يتناسب مع الحجم الديموغرافي لإمبراطورية، والكلّ يريد نصيبه بمقدار ماله، بينما في البداية كان القرآن يتوجّه إلى بيئة ضيّقة، بما في ذلك زمن الأمويين، حتى وهم سادة لإمبراطورية. في كل الأحوال، من الجدير بالملاحظة أن ندرك أنّ المدونات القانونية للحديث، والتي عددها ستة(كل واحد في أجزاء عديدة)، تمّ انجازها من طرف علماء إيران الشرقية أو آسيا الوسطى: نحن بعيدون جدًّا عن جزيرة العرب.

ليس عجيبًا أنّ هذه الشعوب البعيدة عن الأصول (في الزمان والمكان) تريد دائمًا أن تعرف أكثر، وأنّ هذا سيسهم في إحداث تضخيم لأقوال منسوبة لمحمد. هذا سيذهب بعيدًا إلى

حدّ أن يجعل علماء الإسلام ذاتهم يُعلنون محاربة الأحاديث غير الصحيحة. فقط أنّ المعايير التي يوظفونها لا تمس المضمون، بل ما يمكن تسميته " سلسلة الناقلين ". سلسلة النقل تشترط وجود رواة ثقة، والتي جيلًا بعد جيل، نجدها تعود إلى محمد ذاته. فالأقوال التي ننسبها إليه يُفترض فيها أنّ أحد رفاقه الموجودين بالقرب منه قد سمعها منه؛ وبالتالي يمكنه أن يشهد على صحّة القول أو الفعل الذي تمّ اعتماده إزاء موضوع ما. هذا النوع من التحقيق، والمستعمل إلى غاية يومنا هذا في أوساط علماء الدين المسلمين، لا يستجيب حتمًا لشروط المصداقية المعتمدة في التأريخية الحديثة.

**توماس رومر**

عمليًا، ما هي جوانب الحديث التي تبدو لك أكثر إشكالًا؟

**جاكلين الشابّي**

سأجيب على سبيل المزاح: "أولئك الذين هم أكثر إسلامًا بحيث لا يمكن الوثوق بهم". إنّ المؤرّخ اليوم لا يمكنه أن يشتغل إلّا على مضامين الحديث، وليس، أو بشكل ثانوي، على سلسلة الناقلين المفترضين. هذه التقنية في التحقّق جذورها تعود إلى ثقافة الشفهية المُسيطرة، أين نقول عمّن أخذنا ما ننقله. ولكن في العمق، فان عمل المؤرخ اليوم سيتمثّل بالخصوص في البحث عن نصوص موازية، مثل تلك التي نجدها في السيرة النّبوية والتي تحدّثنا عنها، وكذلك في كتابات تاريخية أخرى، في المدونات القانونية أو في الشروح، وكذلك طبعًا في علم المعاجم و... ربما في القرآن. ثم يجب مقارنة كل هذا مع الشبكة الانثروبولوجية للمرحلة الأولى.. إذا تبيّن وجود تناقض صارخ، أو مبالغة في التقديس، الخ... فالحديث سيكون من صنع مرحلة لاحقة، وأحيانًا بعيدة جدًّا، بالنسبة للحقبة القرآنية المكيّة أو المدنيّة.

**جون - لوي شليغل**

هـل يمكننـا تقديـم تحديـد دقيـق للحقبـة المرجعيّـة بالنسـبة لمختلـف الأحاديـث؟

**جاكلين الشابّي**

لا، لأنّ نـوع السـياق الـذي يمكننـا ربطهـم بـه ليـس دائمًـا يسـهل تحديـده. فالأحاديـث تعـود في الغالـب إلى إيديولوجيـة قائمـة عـلى المزايـدة. في الحقيقـة يجـب عـدم الاعتقـاد بـأنّ مـن نسـميهم علمـاء كانـوا دائمًـا مسـموعين مـن طـرف السـلطة في عصرهـم وأنّ الحـكام كانـوا يتّبعـون توجيهاتهـم. غالبًـا مـا نعتقـد هـذا اليـوم في الأوسـاط الإسـلامية، ولكننـا بعيـدون عـن الهـدف.

## سؤال الأصل

**جون - لوي شليغل**

في المرحلـة التـي نحـن فيهـا، يذهلنـي الفـارق الهائـل الـذي يتعلـق بظـروف مولـد "المعلّمـين" ،ألا وهمـا التـوراة والقـرآن.

**جاكلين الشابّي**

السـياقات وبالخصـوص الزمانيّـة هـي واسـعة جـدًّا بالنسـبة للتـوراة بينمـا نحـن في فضـاء مكانـي وزمانـي ضيّـق بالنسـبة للقـرآن. ومـع هـذا، وبالرغـم مـن ضعـف هـذا النطـاق الزمانـي والفضائـي، فـكلّ المعالـم قـد طمسـت بفعـل البنيـة السرديـة للقرآن والمجـزّأة باسـتمرار. فالقـراءة المبـاشرة للنص لا تسـمح بالكشـف إلّا عـن كرونولوجيـا تقريبيـة، أو في غيـاب كلي للكرونولوجيـا، إلى كلّ ذلـك يضـاف المـزج إلى المدونـات اللاحقـة. إنّـه الحـال بالنسـبة للقـراء المسـلمين، وبالخصـوص المُحدّثـين، الذيـن يعتقـدون ببسـاطة أنّ الحديـث جـاء ليُكمّـل القـرآن. هـذه المدونـة اللاحقـة هـي في الواقـع مُسـهبة إلى حـد أنّـه حتـى بالنسـبة لغـير المُسـلمين فإنهـم قـد يقعـون في الفـخّ عندمـا لا يجابهـون قراءاتهـم بالاعتمـاد عـلى الوسـيلة الانثروبولوجيـة. وهكـذا تولّـدت لدينـا مُقاربـات مُفارقـة

تاريخيًّا، مثل تلك التي منذ البداية، تشابه الإسلام مع ديانة إبراهيمية. لقد رأينا أنّ الأمر أكثر تعقيدًا من هذا.

**جون - لوي شليغل**

إنّ الأشخاص الذين يطالبون بأصل " إبراهيمي" للتوحيديات الثلاث – بعضهم يضيف: "ديانات الكتاب " – من أجل الحثّ على الحوار والاحترام المتبادل بين اليهود، المسيحيين والمسلمين هم أشخاص محترمون وجديرون بالثناء. ولكنّنا نرى جيّدًا أنّ شيئًا ما مُغطى وبشكل كلّي إذا تجاهلنا الفوارق الجذرية للأصل.

**توماس رومر**

بالفعل، ليس نفس الشيء عندما يكون الفارق بين الشفهي والكتابي يمتد إلى ثمانمائة أو تسعمائة سنة بالنسبة للتوراة اليهودية، وإلى مائة سنة بالنسبة للعهد الجديد وإلى فترة زمنية قصيرة جدًّا بالنسبة للقرآن.

**جاكلين الشابّي**

من المؤكّد أنّه وبالرغم من الاقتباسات العديدة التي قام بها القرآن من المدونات التي سبقته، وبالخصوص التوراتية، فهو لا يشتغل أبدًا كنسخة مطابقة عن الذين اقتبس عنهم. ولكنّ القراءة سطحية لنصه لا تسمح لنا بالكشف عن هذه السّمة. من خلال القراءة المباشرة، لا يمكننا أن نرى إلا توراتيّة مبتورة ومشوّهة، في المُجمل، إنّه بالضبط عكس الاتّهام القرآني الموجّه لأصحاب التوراة في المدينة، والمتّهمين بالتّزوير. هنا يكمن كل الخلاف. القرآن لا يخاطب التوراة. إنّه يحدّث نفسه باستعمال مُقتطفات توراتية كعناصر تمّ جلبها عند الضرورة، في مجرى الأحداث، ومن أجل البرهنة على الخطاب.

**جون - لوي شليغل**

بالنسبة للقرآن، فإنّ نقطة الانطلاق والتي هي مكة هي " مركّزة " جدًّا، ومنطقة صغيرة. إنّها أيضًا الاستثناء في جزيرة

العـرب: مـكان مقـدّس معـزول، وقاحـل، أيـن لا يوجـد شيء لـلأكل، فقـط توجـد فيـه نقطـة مـاء.

**توماس رومر**

بينمـا السـياق التوراتـي مختلـف تمامـا: تاريـخ البدايـات يحدّث عـلى الفـور في مجموعـة جغرافيـة واسـعة جدًّا.

## من القبيلة إلى الإمبراطورية

**جاكلين الشابّي**

لـو أنّ الإسـلام بقـي في جزيـرة العـرب، لمّـا اسـتمرّ في الوجـود. لقـد تلاقـح مـن خـلال اللّقـاء مـع ثقافـات الـشرق الأدنـى والأوسـط ومـا بعدهمـا. لقـد تولّـدت ظاهـرة لتعـدّد ثقـافي كبـيرة وبلغـت مسـتوى لـم يسـبق أبـدًا وتحقـق. فالتوسّـع القبـلي خـارج جزيـرة العـرب لـم يكـن يحمـل تأثـيرًا حضاريًّـا بمعنـى الكلمـة. في وسـعنا القـول إنّ التأثـيرات كانـت منعدمـة. الـشيء الوحيـد المُهـمّ الـذي يُمكننـا اعتبـاره ميـزة تُحسـب لصالحـه، أنّ هـذا التوسّـع كان أقـلّ تدمـيرًا خـلال وبعـد حقبـة الغـزوات، وأنّ العامـل الدينـي لـم يلعـب أي دور خـلال القـرن الـذي تبـع ذلـك، طالمـا ظـلّ الإسـلام ديـن القبائـل ولوحدهـا. لقـد نتـج عـن عنـاصر الاسـتقرار هـذه والمُطبّقـة عـلى فضـاء إقليمـي عمـلاق تجـدّد ثقـافيٌّ رائـع، والـذي جمـع في مجموعـة واحـدة الـشرق الإيرانـي وريـث حضـارات ذات ثقافـة عاليـة، والعالـم الإغريقـي الرومانـي لمـصر والـشرق الأوسـط، اللّـذان يمثـلان طليعـة المعرفـة العلميـة وذروة الفلسـفة الأرسـطية والأفلاطونيـة المحدثـة. إذ أنّـه بعـد الفاصـل الهيلينـي للإسـكندر، لم يسـبق وأن حـدث مثـل هـذا اللقـاء أبـدًا، في جميـع الأحـوال ليـس بصفـة دائمـة. فتفاعـل الثقافـات والمعـارف بـدأ يتأسّـس عـلى نطاق كلّ الإمبراطوريـة العباسـية في بدايـة القـرن التاسـع مـع، مثـلاً، ترجمـات "دار الحكمـة "3 في بغـداد. والـذي سيسـتمرّ لقـرون عديـدة، مـع اكتشـافات مُثمـرة في الرياضيـات، الطـب والفلـك، وفي

مجالات أخرى، من إسبانيا المسلمة إلى إيران، آسيا الوسطى ثم الهند فيما بعد. حتى وبعد انقسام الإمبراطورية العباسية، واستبدال الخليفة بحكّام محليّين، وتعرُّضها للغزو المغولي في القرن الثالث عشر، بالرغم من كل ذلك نستطيع القول إنّ طرق المعرفة بقيت مفتوحة.

**جون - لوي شليغل**

الحقبة الممتدة من القرن التاسع إلى غاية القرن الثالث عشر تبدو منيرة فعليًّا وبصفة لا تُصدّق، منفتحة على الثقافات الأخرى وخلاّقة هي أيضًا للثقافة، بينما في عصرنا اليوم، فالبلدان الإسلامية هي الأقل اشتغالًا بالترجمة. الكثير من المثقّفين المسلمين أو من أصول إسلامية لديهم حنين حيّ لهذه الحقبة.

**جاكلين الشابّي**

القرن التاسع هو اللحظة المؤسّسة لهذا اللقاء الاستثنائي للثقافات والمعارف. علاوة على أنّه لا يُسأل العلماء عن ديانتهم. لا يتعلّق الأمر طبعًا بـ " العلم الإسلامي"، ولكن بالعلم في حدّ ذاته. علماء القرون الوسطى كانوا بعيدين على المُسلّمة القائلة بأنّ كل العلوم موجودة في القرآن لأنّ الخالق قرّر كل شيء (كما هو الحال اليوم عند الذين يقولون بـ " إعجاز القرآن" أو العلم القرآني).

ولكن شيئًا فشيئًا انقرض كلّ شيء، عندما بدأت النهضة الأوروبية في الانطلاق بين القرن الرابع عشر والسادس عشر، مع الحقبة المسماة بـ " الاكتشافات الكبرى" وظهور تقنيات جديدة مثل الطباعة. هذه الظروف الجديدة ليس لها علاقة مع " غلق باب التأويلات" المزعوم في القرن العاشر، كما يرى البعض ذلك، بمن فيهم من هم ضمن الدوائر العلمية.

لأسباب عديدة ومن دون علاقة مع الديني، فالإبداع يُغيّر المكان والإطار. سيبدأ من الآن فصاعدًا بعيدًا وليس في العالم الإسلامي. ليدُقّ الاستعمار فيما بعد أجراس المعرفة اللادينية لنصل طبعًا إلى الكارثة الثقافية الحالية.

لأجل الإجابة على سؤالكم حول " الحنين"، فالشعور بالنقص لا يعود، في اعتقادي، إلى العلم ولكن إلى التمثّل الوهمي كليًّا لماضٍ مجيد افتقدناه لأنّنا فشلنا في المجال الديني. إنّها عقيدة السلفية، بكل تياراتها المختلفة. منذ ما يقارب القرن، تعمل على إغراق الفكر الإسلامي. ولكنّنا نستطيع القول (ودون الأخذ بعين الاعتبار الاستثناءات، الموجودة فعلًا)، أنّ المسلمين، مجتمعين اليوم، لا يفهمون ماذا حدث لهم. بسبب غياب الرؤية التاريخية، فهم كاليتامى مع ماضيهم، لا يفهمون حاضرهم ويكدحون لبناء المستقبل.

**جون - لوي شليغل**

مسلمون جادّون -اقصد: دون أحكام مسبقة سياسية - يتكلمون عن إذلال...

**جاكلين الشابّي**

نعم لقد كانوا كذلك، مهانون، بنفس الصفة مع كل بلدان العالم الأخرى المستعمرة (ربّما أقل، إذا فكرنا في إفريقيا السوداء) من طرف أوروبا التي تفتخر بكونها مُستنيرة بالأنوار والعقل، والتي تريد أن تعطي دروسًا للعالم كله. ليس هذا بالأصيل ولا بالمُتميّز. ولكن لا الحقد وأيضًا أقلّ منه الإيذاء الذاتي يمكن ان يكونا عامل بناء. فالتّرويج لتخلف مجتمعي بالخصوص مع الغلق والتّصغير من النساء والدعوة إلى طقوسيّة متفاقمة لن تجدي نفعًا. من الأوّلى النظر في تاريخنا بدل الركون إلى الخرافة لأجل مواجهة الحاضر. بتعبير آخر،

أن نقـول مثـل بعـض الإسـلاميّين اليـوم: " أنّ القـرآن دسـتورنا" أو " علينـا تجديـد أمّـة النبي"،يعـود هـذا إلى إيديولوجيـة وهميّـة وتدميريّـة، تنـادي بـشيء غائـب كليًّـا عـن القـرآن.

## الأمة

**جون - لوي شليغل**

بالضبـط، كثـيرًا مـا تذكـر الأمـة اليـوم، مـا هـي؟ هـل هـي مفـردة قرآنيـة؟

**جاكلين الشابّي**

نعـم كلمـة "أمـة" مذكـورة في القـرآن. إنّهـا في الفهـم العـام اليـوم، تُحيلنـا إلى مـا يسـمى "المجتمـع المُسـلم"، والـذي يريـد الناشـطون الإسـلاميون إحيـاءه عـلى الصعيـد العالمـي. إنّـه يعنـي بالنسـبة لهـم، العـودة إلى النمـوذج المثـالي للأمـة الأولى التي تأسّسـت في المدينـة مـن طـرف النبـي ذاتـه. إنّ المسـلمين الأوائـل القـدوة، الذيـن يوُصفـون بالشـخصيات التقيـة "الرفـاق" (الصحابـة مفـردة غـير قرآنيـة) قـد سـاهموا بحماسـة في ذلـك. لقـد عملـوا مـن أجـل تجسّـيد الوصايـا الخالـدة للقـرآن والصـادرة عـن اللـه. هـذا يعطينا فكـرة عـن " الدسـتور " المبنـي عـلى القـرآن والـذي يطالـب مسـلمو عصرنـا بإعـادة إحيائـه. لقـد بيّنـا بمـا يكفـي في هـذا الكتـاب، مـن خـلال أمثلـة ملموسـة، أنّ هـذه الدولـة الإسـلامية المثاليـة، التـي يحكمهـا محمـد النبـي والمعـترف بهـا مـن طـرف الجميـع، لـم توُجـد أبـدًا.

أمـا بخصـوص اسـتعمال كلمـة أمّـة في القـرآن (وتلـك المتعلقـة بصيغـة الجمـع أمـم)، فهـي تحيـل بـكل بسـاطة إلى مبـدأ المجتمعية العامّـة والتـي تخـصّ كل الكائنـات الحيـة وكـذا الكائنـات الغيبيـة، والتـي تسـمح بالعيـش المشـترك لـكل الكائنـات المعنيـة إذا هـم اتّبعـوا الطريـق الصـواب. وهكـذا نجـد القـرآن يذكـر أمـم الطيـور، ذوات الأربـع، وحتـى الجن (السـورة7، الآيـة38؛ السـورة6، الآية38).

بالنسبة للبشر، فالجمع أمم يحيل في الغالب إلى المجتمعات التي اختفت ولم تستمر في العيش لأنّها لم تتّبع طريق الصواب (السورة41، الآية25؛ السورة32، الآية18).

**جون - لوي شليغل**

هل يعني قولك إنّ تجريد الأمة من البعد الاسطوري قد يكون نافعًا؟

**جاكلين الشابّي**

بلا شك، ولكن لأجل تحقيق ذلك، على العالم الإسلامي أن يقبل بالانخراط في اتّجاه التاريخ والانثروبولوجية التاريخية. لا أحد يستطيع أن يحل محله. فالمؤرّخ لا يقدّم دروسًا لأيّ كان في هذا الموضوع. فهو لا يستطيع إلّا أن يُبيّن للجميع، مسلمين وغير المسلمين، ثمار أعماله. ومع ذلك، حاليًّا، يجب قوله، ذلك يشبه من يرمي زجاجة في البحر.

1.Le Coran,une histoire plurielle.Essai sur la formation du texte coranique, Paris,Seuil,2019.

.2 إنها تلك التي لكريستوف ليكسمبرغ

Christoph Luxemberg فيDie Syro-Aramaische Lesart des Koran :Ein Beitrag zur Entschlusserlung der Koransprache (" Lecture syro-araméenne du Coran : une contribution pour décoder la langue du Coran"), publié en 2000 en allemand.

.3 بيت الحكمة، في بغداد، عاصمة الخلافة، تأسّس في بداية القرن التاسع من طرف الخليفة العباسي. يقصده علماء ذلك العصر، من بينهم العديد من العلماء ممن ينتمون للنخبة المسيحية السريانية، لعب دورًا مهمًّا في الترجمة إلى

العربيــة لأعمــال الفلســفة الإغريقيــة، وبالخصــوص ارســطوطاليس، إلى جانــب كتــب الطــب، الرياضيــات، والفلك...الــخ.

*الكوديكولوجيــين Codicologues هــم علمــاء مختصــون في دراســة المخطوطــات.

*اور قــرآن Urkoranهــي اعتقــاد منتــشر عنــد بعــض التيــارات في علــم الاســتشراق و التــي تــرى في القرىــن صناعــة امويــة ترتكــز عــلى مرجــع سرياني،اخــذ صيغتــه النهائيــة عــلى ايديهــم وهــو اســتجابة لتوجهاتهــم الايديولوجيــة.

# الخاتمة المملكة والقبيلة

**جون - لوي شليغل**

مـن خـلال محادثاتنـا، تبـيّن وجـود اختـلاف واضـح بـين بنـاء صـورة اللـه وبـين صـورة يهـوه؛ بالإضافـة إلى ذلـك، لاحظنـا، أنّ إعـداد النصـوص التوراتيـة قـد اسـتمر لقـرون، بينمـا حـدث ذلـك بالنسـبة للقـرآن في مـدة وجيـزة. كمـا أنّ مقارباتكـم ومنهجياتكـم، في المقابـل، قـد بيّنـت بـأن تكويـن هـذه النصـوص كان شـديد الارتبـاط بالسـياق – الانثروبولوجـي أوالسـياسي. هـل يمكننـا الآن التركيـز عـلى بعـض نقـاط المقارنـة، وربّمـا وضـع تقييّـم مشـترك؟

سـؤالي الأوّل يتعلّـق ببنـاء إلـه التـوراة وإلـه القـرآن. يدهشـني كثـيرًا – أعرفـه دون أن أتمكّـن مـن تحقيقـه فعليًـا: محادثتـي معكمـا هـي التـي سـاعدتني عـلى فهمـه –، أنّ الإلـه التوراتـي كمـا يظهـر بـين القـرن الثامـن والقـرون السـادس، الخامـس والرابـع نجـده منغمسًـا جـدًا في الإمبراطوريات-والتـي هـي أكثـر تطـوّرًا- أيـن توجـد ثقافـة، والآتيـة مـن بعيـد والتـي مـن خلالهـا يمكننـا إعـادة تركيـب مـاضٍ بعيـد، بينمـا اللـه في القـرآن يظهـر وكأنـه مرتبـط جـدًا بالطبيعـة، بآلهـة الطبيعـة، بالمطـر، بالبحـث عـن المـرّات. هـل هـي مفاجـأة بالنسـبة لكمـا؟ هـل نحـن نتكلـم دائمًـا عـن الإلـه ذاتـه؟

**جاكلين الشابّي**

أقول أنّه سؤال " نموذج"، يتعلق بسياق اجتماعيّ – من هنا يجب الانطلاق، وليس من الديني بوجه عام. إنّ شكل القرآن، القصير جدًّا، يتناسب مع المجتمع القبلي الذي عليه الاستجابة لاستعجالات الحياة وإلى مخيال الاستمرارية في العيش. نحن ضمن إطار عقد قبلي. فالغيبي في تعاقد مع البشري، وفي خدمة البشري. والنموذج، في الحقيقة، هو في المطر: لا شيء يصعد، كل شيء ينزل، لأنّه على الإلهة المُتعاقد معها الاستجابة لحاجيات البشر.

في هذا النوع من المجتمعات، لا مجال للتعالي. كنت لأقول: أنّ ذلك ترف لا يمكننا الانتفاع به. ولكن فيما بعد، بعد عشريات، وقرون، يتغيّر هذا النموذج الأولي. إنّه في الحقيقة حال مدرسة: فالشكل القرآني والشكل القبلي يصبحان هما الشكل الإمبراطوري في الكوربيسات اللاحقة (السيرة ثم الحديث)، انطلاقًا من القرنين التاسع والعاشر. في هذه اللحظة بالذات، نجد المعتنقين من ذوي الأصول التوراتية يتوافدون ويؤسّسون لتديّن آخر، بعيدًا عن الأصول.

**توماس رومر**

إنّه لا يختلف كثيرًا عن التوراة، لأنّ السؤال المتعلّق بأصول يهوه هو مُعقد. الكثير من النصوص التوراتية تجعله على جبل، في ديانة صحراوية، بين النقب ومصر. من وجهة النظر التاريخية، من الصعب جدًّا تحديد هذه الأماكن، ولكنّ نصوصًا مصريّة من القرن الثالث عشر تتكلّم عن بدو، الشاسوس Shasous المعروفون والذين سبق وتكلمنا عنهم، ومنهم مجموعة تسمى شاسوس يهوه، وهو ما يمكننا تفسيره بمعنى أن هؤلاء يعبدون إله اسمه يهوا Yahwa أو ياهوهYahvé. نحن لسنا في سياق إمبراطوري، ولكننا

ضمـن سـياق قريـب مـن الـذي تتكلـم عنـه جاكلـين الشـابّي، فهنـاك ربمـا إلـه يقيـم عـلى جبـل. والـذي ليـس هـو سـيناء الحاليـة، ولكنـه قـد يكـون في النقـب، في مـكان مـا بـين الأردن، ايـلات أو العقبـة والدلتـا المصريـة.

لا يتعلّـق الأمـر كذلـك بإلـه وطنـي؛ إنّـه إلـه، أو إلـه، لقبيلـة، ويمـارس بـلا شـكّ وظائـف إلـه العواصـف أو المطـر. نعـرف القليـل عـن بـدو الشاسـوس هـؤلاء، ولكـن يبـدو أنهـم كانـوا الأصـل في عبـادة هـذا الإلـه، قبـل أن ينقـل إلى كونفدراليـة تسـمى إسرائيـل، والمكتوبـة عـلى نصـب مرنبتـاح. أقـول "كونفدراليـة"، لأنّـه لا يتعلّـق الأمـر بعـد بدولـة أو أمّـة، بـل باجتمـاع للعديـد مـن العشـائر، غـير المُهيكلـة بعـد. في الأصـل لدينـا إذن إلـه للصحـراء، الـذي يصبـح فقـط فيمـا بعـد إلهًـا ملكيًّـا. في الحقيقـة، انطلاقًـا مـن القـرن التاسـع، يصبـح إلـه سـلالة، أو بالأحـرى إلـه لسـلالتين: أولًا في الشـمال، بالنسـبة للاومريـد، ثـمّ في الجنـوب بالنسـبة للسـلالة المسـماة داووديـة، قبـل أن يُغـيّر مواصفاتـه ليصبـح الإلـه الوحيـد، بعـد تدمـير أورشـليم مـن طـرف البابليـين، ثـم مـن بابـل إلى الحقبـة الفارسـية.

مثلمـا قالـت جاكلـين الشـابّي بخصـوص إلـه الإسـلام، هنـاك إذن تطـور. إنّهـا تطـورات تُبـيّن أنّ أصـل يهـوه لا يختلـف كثـيرا عـن اللـه... ولكـن في النهايـة، لدينـا مـا يكفـي مـن المعطيـات في هـذا الصـدد، بفضـل جاكلـين الشـابّي، بالنسـبة لإلـه الإسـلام كمـا بالنسـبة لإلـه التـوراة.

**جون - لوي شليغل**

في العمق،علينـا مقارنـة القرنـين الثامـن والسـابع التوراتيـين قبل الميـلاد، مـع القـرن التاسـع بعـد الميـلاد في الإسـلام، عندمـا يصبـح هـو أيضًـا "ديانـة إمبراطوريـة"، إذا جـاز اسـتعمال هـذه العبـارة.

**جاكلين الشابّي**

القـرآن يوافـق المرحلـة الأولى التـي وصفهـا تومـاس رومـر، وإذا

لــزم مقارنتــه بالتــوراة، يجــب إذن الأخــذ بعــين الاعتبــار القــرن التاســع، حقبــة الخلافــة الإمبراطوريــة. فالقــرآن ينــدرج بالمحصلــة في طــور تاريخــيّ قصــير جــدًّا. يســتمر الإســلام العشــائري ســاريًا إلى غايــة نهايــة الأمويــين، أي حــوالي قــرن وربــع، أيــن كان الاعتنــاق ممنوعًــا. في الواقــع، مــن أجــل الدخــول في حلــف اللــه، يجــب أوّلًا وقبــل كل شيء الدخــول إلى قبيلــة. فنحــن وســنبقى إذن في الطــور القرآنــي الأول. ثــم، هنــاك طــور الخلافــة الإمبراطوريــة، أيــن بــدأ الاعتنــاق يصبــح مقبــولًا. وكأنّ التــوراة تجمــع بــين الحقبتــين القبليــة والإمبراطوريــة، بينمــا يبقــى القــرآن عنــد الحقبــة القبليــة وحدهــا، فالــتراث الإســلامي اللاحــق يمثــل مدونــة التقليــد النبــوي، ذلــك المتعلّــق بالســيرة والحديــث.

**توماس رومر**

ربمــا مــع فــارق يتعلــق بمــا تســمّونه "الطــور الإمبراطــوري": بالنســبة للتــوراة، ســأتكلّم بالأحــرى عــن " الطــور الملكــي"، إذ لا مملكــة إسرائيــل ولا مملكــة يهــوذا اســتطاعتا تكويــن كيــان ســياسي يمكــن وصفــه بالإمبراطــوري. ربّمــا كان في الشــمال، في القــرن الثامن، في عهــد يربعــام الثانــي Jéroboam II، شيء مــن التوســعة لســوريا الحاليــة إلى غايــة جنــوب إسرائيــل، ولكنّهــا لــم تكــن إمبراطوريــة مشــابهة للعباســيين.

**جاكلين الشابّي**

ومع ذلك فالإله التوراتي مماثل " للإمبراطور" الآشوري؟

**توماس رومر**

وهــذا صحيــح تمامًــا، إذ أنّ هنــاك اســتئناف للإيديولوجيــة الآشــورية، الملكيــة، في التصــور ذاتــه للإلــه التوراتــي. انطلاقًــا مــن القرنــين التاســع والثامــن، فــإنّ هــذا الأخــير هــو الــذي يُشرعــن للملكيــة، أي ســلطة مركزيــة عــلى الأقــل. أفكّــر بالفعــل في إمكانيــة وجــود تشــابه يجــب إقامتــه.

**السا روزنبرغر**

هــل يمكننــا القــول إنّ ســؤال الوحدانيــة قــد تــمّ حلــه بــأسرع

مـــا يمكـــن بالنســـبة للـــه بالمقارنـــة مـــع الســـياق التوراتـــي؟

**جاكلين الشابّي**

نعــم، لأنّ هنــاك ســؤالًا مرتبطًــا بالحالــة الجغرافيــة لجزيــرة العــرب، وبالجهــة الغربيــة منهــا عــلى وجــه الخصــوص: كيــف نســتجيب للتقلبــات؟ في هــذا المنــاخ أيــن لا نعلــم أبــدًا إذا كانــت الأمطــار ستســقط أم لا، فالإلــه الواحــد في القــرآن يعطــي عــلى نحــو مــا "الضمــان ضــدّ كل المخاطــر". فمفهــوم الخالــق، والخلــق، لا يتضمــن فكــرة الهيمنــة الإلهيــة ولكنــه تمثّــل لمالــك كل شيء، قــادر عــلى حــلّ كل المشــاكل البشريــة. ولكنّــه يجيــب بطريقــة عشــوائية عــلى مــا لا يمكــن التنبــؤ بــه مــن الحــالات، يفعــل مــا يشــاء عندمــا يشــاء ومتــى شــاء. بالإضافــة إلى ذلــك، فوظيفتــه تتمثّــل في الاســتجابة لحاجيــات مخلوقــات والتــي، في هــذا المجتمــع، هــي حاجيــات معاشــية.

**توماس رومر**

في التــوراة، الأشــياء أكثــر تعقيــدًا، حتــى وإن كان يهــوه، كمــا ســبق وقلــت، هــو قبــل كل شيء إلــه العواصــف. إنّــه إلــه مــن نــوع "بعــل"، ولكنــه منــذ البدايــة ليــس إلهًــا خالقًــا. إذ أننــا، نــرى جيّــدا في التــوراة وجــود بقايــا لتقاليــد قديمــة. حســب بعضهــا، يهــوه هــو ابــن لآل، الــذي هــو الإلــه الكنعانــي الأعــلى والــذي نعرفــه، بوجــه خــاص، مــن خــلال نصــوص اوغاريــت. حتــى وإن كانــت الكلمــات أحيانًــا مفخخــة، نقــول، في الفاصــل، نحــن مــع مفهــوم وثنــي. يهــوه يصبــح فعــلًا الإلــه الرســمي لمملكتــي إسرائيــل ويهــوذا، إذن هــو إلــه مهــم جــدًّا، ولكــن هــذا لــم يمنــع مــن الاحتفــاظ بآلهــة أخــرى إلى جانبــه.

هنــاك فــارق مهــمٌّ مــع الإســلام: نــرى بالفعــل إلى جانــب يهــوه وجــود إلهــة قرينــةParèdre. في كتابــات كونتيلــة عجــرود Kuntillet Ajrud وبالخصــوص، الــزوج يهــوه وأشــيرا يُذكــران

أثناء طلب البركة. هل مفهوم الزوج الإلهي مُرتبط بالسياق الجغرافي؟ ممكن ذلك، لأنّ الشرق كثير التأثّر بما يحدث من جهة سوريا، بلاد الرافدين ومصر، أي بالعالم الوثني.

**جاكلين الشابّي**

في القرآن نلاحظ نوع من تسريع للزمن: إنّها فترة قصيرة جدًّا، أين يحدث كل شيء بسرعة كبيرة. فيما يخصّ الزمن السابق، كلّ النظام الاجتماعي كان يرتكز على صيغة العقد الذي بين القبيلة وحاميها. فلكلّ قبيلة حاميها – في هذا الصدد، والذي هو بالنسبة للمكيّين، حامي نقطة الماء أين يقيمون. ولكن في مكة، نحن أيضًا في حاجة لإلهات حامية للممرات، لأنّه يجب علينا التنقل من أجل التموين. هذه الأخيرة ليست لها علاقات قرابة: إنّها كيانات إلهية تستجيب كل واحدة منها لحاجة معينة، طبقا للمكان الذي نكون فيه وفي حاجة لحمايتها. فالوظائف الإلهية كانت إذن موزعة دون أن يوجد" أسرة". فالقبيلة المكية كانت مُتعاقدة مع عدة إلهات، وفكرة الخلق، المستعارة من الحقل التوراتي، تنتهي بتجميع كل هذه الوظائف تحت رعاية الوحيد "إله مورد الماء".

**توماس رومر**

لا نلحظ محاولات لإشراك هذه الإلهات مع الله؟

**جاكلين الشابّي**

لا. في مقطع من القرآن، الشهير بـ" الآيات الشيطانية 1"، يروى أن محمد تردد على ما يبدو في ضم، بدرجة أقل، الإلهات إلى العقد. ولكن في الأخير بقي مُتمسّكًا بفكرة " الإله المالك لكل شيء" والضابط لكل شيء. هناك ربما مشكل النوع خلف هذا. إنهم الذكور من يحمون القبيلة.

**جون – لوي شليغل**

من الجهتين، الله ويهوه يتلقيان، مع ذلك، ألقاب للجلالة. يبدو لي أنّه في القرآن، غالبًا ما نجد العبارة " ربُّ العالمين".

هل الخالق صاحب الجلالة هو المعنيّ هنا؟

**جاكلين الشابّي**

إنّها ترجمة رديئة. اذكّر مرة أخرى أنّنا بصدد سوسيولوجية أو انثروبولوجية أين كل موجود فيها هو نسخة للنموذج القبلي. كل قبيلة تتلقّى إجابة تُناسب حاجياتها الخاصة. في هذا النموذج، حالة كل شعب تُرتّب فرديًا، كل واحد يتلقّى الكتاب من خالقه، بتعبير آخر رسالته، "ملف حياته". فالخالق خلق كل الشعوب ويعطي كتاب كل شعب لمن شاء، حسب مشيئته. علينا عدم التفكير بلغة "العالمية"، بل وفق التوزيع، والترتيب القبلي.

**السا روزنبرغر**

إنّه إذن "رب القبائل"، كما تُسمينه؟

**جاكلين الشابّي**

بالفعل، إنّه لهذا السبب عنونت أحد كتبي "رب القبائل"2. كان في إمكاني القول أيضًا "رب الشعوب"، ولكن كلمة قبائل تعني واقعًا أكثر تخصيصًا.

**توماس رومر**

يمكننا هنا أيضًا المقارنة مع التوراة. تحتفظ هذه الأخيرة بالتأكيد، سبق وقلته، على بعض بقايا التقاليد القديمة. في الآية 8 من الفصل 32 من سفر التثنية، في الرواية المحتفظ بها جزئيًا من طرف الترجمة اليونانية وفي رقعة من قمران، نرى بروز فكرة مشابهة بعض الشيء: أل، الإله الخالق تحديدًا، بعد أن خلق العالم، يرتّبه ليُعطي لكل من أبنائه شعبًا، ولكلّ واحد منهم، بالنسبة لهذا الشعب، إله رسمي. هذا، فيما نحن لا نزال في المرحلة الملكية. يهوه هو إله إسرائيل، كيموش إله المؤابيين، وميلكوم بالنسبة للامونيت، وهكذا دواليك. فالنص الأصلي لسفر التثنية 32 يذكر أن يهوه، الذي يُعتبر ابن آل استلم من والده شعب إسرائيل، والذي يُمثل "إرثه". في هذا النص

يوجد إله خالق، ولكن هذا الأخير غير محدّد بأنه يهوه: فهو لن يكون كذلك إلا في مرحلة لاحقة.

**جاكلين الشابّي**

خصوصية جزيرة العرب تتمثّل في التمييّز بين الغيبي والبشري. فلا يوجد أي "قرابة" بينهما. فالإله مانح، ولكن بصفته مفارق: لا يختلط مع البشر. لهذا السبب لا توجد أسرة إلهية، عكس ذلك، ينتابني شعور، في الشرق الأوسط، أين نرى وجود قرابة بين الإله والبشر.

**توماس رومر**

ذلك يتوقّف على ما تسميه " قرابة". إذا أخذنا مثلًا ملحمة جلجامش، فإنّنا نجد فيها أفرادًا نصفهم بشري، ونصفهم إلهي. في التوراة العبرانية – في العهد الجديد هناك شيء آخر، مع يسوع –، لا وجود إطلاقًا لأناس ولدوا من أباء "بيولوجيّين" ويُسمّون آلهة. هذا قد يوجد في الشرق الأوسط من المؤكّد، ولكنّنا لا نجده أبدًا في نصوص توراتية، باستثناء في نص قصير جدًّا موجود قبل رواية الطوفان، أين يُفسّر بأنّ سبب الطوفان سببه أنّ أبناء الآلهة ضاجعوا بنات البشر. هذا الذي ولد النيفيليم، هؤلاء العمالقة ذوي الطبيعة المجهولة (سفر التكوين3-1،6). فالمشهد يُبيّن مع ذلك نوع من الخلط الذي يتطلب قدوم الطوفان، ولكن أيضًا لأنّ هذه الحقبة لن تتكرر. يمكننا أيضًا ذكر قصة ميلاد شمشون الذي يولد بعد أن التقت أمه، العقيم، في الحقول مع ملاك ليهوه (سفر القضاة 3). ولكن النص التوراتي لا يُقدم لنا تفاصيل حول هذا "اللقاء".

**جاكلين الشابّي**

في القرآن، لا يُوجد ذكر لأمطار طوفانية كما في وادي النهرين. فالمياه لا تجتّاح، ما عدا في قصتين، مقتبستين توراتيًا، في عقاب فرعون ثم مع شعب نوح. في جزيرة العرب، لا يوجد نهر.

فالماء أصل الحياة مصدره السماء. ولكنّ الإنسان لا يتحكم في نزوله إطلاقًا. إنّها من المهام الأساسية للإله الخالق بالإضافة لتلك المُتمثّلة في توزيع الأمطار التي تُحيّي الأرض. فالصعود إلى السماء هو إذن غير متاح للبشر. هناك فقرات من القرآن تقول: " آه! لو أستطيع بلوغ خزائن السماء! " * إنّه رمز الاستحالة في ذاتها!

**توماس رومر**

فكرة الصعود إلى السماء ليست غائبة في النصوص التوراتية، كما نرى ذلك في سفر أيّوب. عندما يجيب الإله أيّوب، الذي يشتكي من عدم فهم مقاصد الإله، بتعبير آخر قضائه وقدره، يجيبه الإله من خلال خطاب كبير أين يطلب منه إذ كان قد حاول الصعود للسماء، ويتضمّن ذلك تصريحًا بأنّه سيكون عاجزًا كليًّا (سفر أيوب 28). فالفكرة بأنّ الناس غير قادرين على بلوغ السماء هي إذن موجودة. إنّ قصة برج بابل (سفر التكوين 11) قد تكون قبل كل شيء قصة رمزية تُبيّن بأنّ كل محاولة من هذا النوع لا يمكنها أبدًا أن تتحقق: فالحدود بين البشري والإلهي مرسومة بوضوح. "الإله في السماء، والبشر على الأرض"، من أجل إعادة صياغة فكر الكوهيليث.

**جاكلين الشابّي**

إنّه بالضبط فيما يخصّ هذا الصعود إلى السماء والتي هي مستحيلة في القرآن، نجدها تصبح مُمكنة في التقليد الإسلامي، أين نكتشف من جهة خط للقطيعة وحدود للمخيّال. القرآن يعرض باختصار مشهد (السورة17،الآية1) السفر الليلي المعجزة واللغز،والذي يبقى رغم ذلك ارضّي. إن التقليد في نهاية القرن الثامن يبدأ بتخيّل صُعود سماوي، على طريقة سلم يعقوب، والتي بواسطتها نصعد وننزل. بينما هذا يسير في اتّجاه معاكس للانثروبولوجية القرآنية وحقل تمثّلاتها، سينتج عن هذا في المجتمعات اللاحقة انتشار لسردية تُخيط فكرة

السفر السماوي لرسول الإسلام. في مُنمنمات القرن الخامس عشر والتي تمثِّل هذه الحقبة، ينتهي محمد مرسومًا وهو يصعد، ليس على جمل، ولكن على حصان نصفه امرأة، وفي الغالب مُجنح.

**توماس رومر**

هذا السفر السماوي مهم: ليس له نظير في التوراة، ولكنّنا نجد ذكر له بطريقة متطورة في سفر اخنوخ Hénoch، والذي ربما يعود للقرن الثالث قبل التقويم المسيحي. اخنوخ شخصية معروفة كثيرا في اليهودية الناشئة، يقوم هو أيضًا بسفر سماوي، ويعتقد البعض أنّه ربّما بسبب هذا السفر السماوي تم تغييب هذا الكتاب في المدونة التوراتية العبرانية، بالرغم من شهرته أيضًا في المسيحية (نجده ضمن النصوص المقروءة في بعض الكنائس الأرثوذكسية). في التوراة، ورد ذكر اخنوخ باختصار في سفر التكوين 5،21-24 : يقال أن الإله " أخذه"، عبارة غريبة قد تُلمّح إلى رفع سماوي.

لدينا في المقابل، رؤى للعالم السماوي لدى الأنبياء: مُنحت لهم من قبل الإله، إنّهم يرون مثلًا البلاط السماوي. ولكنها لا تتضمن "سفرًا سماويًّا". حزقيال Ezéchiel، في بابل مثلًا، يُنقل من طرف الروح إلى أماكن مُختلفة، ولكن ليس في السماء.

**جاكلين الشابّي**

في القرآن، يقال عن يسوع، "غير المصلوب"، "أن الله رفعه ليأخذه إلى جانبه" (السورة4، الآية158؛ السورة3، الآية55). يقول الله ليسوع: " سأجعلك تموت (موتًا طبيعيًّا) وأرفعك إليّ! " *في المعنى الأولي، فالفعل رفع يعني الانتزاع من الأرض. نحن إذن بصدد "حمل " إلى السماء.

**توماس رومر**

يذكرني هذا ب إيلياElie، نبي لم يسبق أن فكرت فيه

سـابقًا. هـو أيضًـا رُفـع إلى السـماء مـع مركباتـه مـن طـرف يهوه، ولكنّنـا لا نعلـم مـاذا فعـل هنـاك في الأعـلى. يُخيّـل لنـا أنّـه قـد يسـتطيع العـودة يومًـا، ولكـن لا يُوجـد وصـف لإقامتـه السـماوية.

**جاكلين الشابّي**

في القرآن، يظهر هذا كسفر بلا رجعة.

**جون - لوي شليغل**

الله في السماء؛ كذلك يهوه، في التمثّلات.

**توماس رومر**

يسـتطيع يهـوه التّجـول وحيـدًا عـلى الأرض - سـواء في صفـة المجهـول، أو بوصفـه يهـوه. في قصـص الجنّـات، أيـن يوجـد آدم وحـواء، فهـو يتجـول "أثنـاء نسـيم المسـاء" (سـفر التكويـن 3،8). في قصـة الطوفـان، هـو بالأحـرى في السـماء، ولكنـه يرسـل ملائكـة Melakimيمثّلونـه أو يجسّـدونه. قـد يسـتطيع أيضًـا الذهـاب إلى لقـاء البـشر: "عنـد شـجرة البلـوط الشـهيرة عـلى هضبـة ماميـه Mamré"، إنّـه يظهـر لإبراهيـم في صـورة ثـلاث رجـال. (سـفر التكويـن 2-1،18).

**جاكلين الشابّي**

الخلـق في القـرآن لا يُعيـد إنتـاج نمـوذج سـفر التكويـن التوراتـي، سـبق وقلـت ذلـك. بمجـرد أن يتـمّ، يجلـس اللـه في وضعية المطـل هناك في أعـالي السـماوات، مـن حيـث يُراقـب كل شيء ويُحيـط بـكل شيء. إنّـه خلـق يمكـن القـول عنـه "مُسـتمر"، الـذي لا يمكنـه أن يعـرف ترهُـل. ولكـن اللـه لا ينـزل لـلأرض لأجـل الاختـلاط بالبـشر. إنّهـا الملائكـة، الـروح القـدس الذيـن يسـميهم القـرآن " أمـر" مـن ينزلـون إلى الأرض.

**السا روزنبرغر**

هناك إذن وسائط في القرآن مثلما في التوراة؟

**جاكلين الشابّي**

لا، ليس وسائط. الخالق يُحيط بكل شيء، بحسب حاجيات البشر، دون أن يكون في حاجة إلى أحد. فالكائنات الغيبيّة التي تنزل من السماء تُعاود الصعود بعد ذلك، إنهم مُنفّذون. ليس لديهم علاقة تواطؤ تجمعهم مع البشر. إنّها أيضًا وسيلة لتمييزهم عن الجن الذين يبحث، بالضبط، رجال القبيلة باستمرار عن التعاقد معهم. ولكن هذه الصورة الأوليّة، المرتبطة بالحالة القبليّة، ستتغيّر مع المجتمع الإمبراطوري في طريقه للأسلمة في نهاية القرن الثامن، وكذلك أكثر في القرن التاسع: وسائط عديدة تعرف النور، بدءًا بتلك التي للملاك جبرائيل، والذي يتجاهله القرآن تقريبًا بشكل كامل ولكنّنا نجده موجودًا في كل مكان. تُسجّل المدونة الجديدة للتقليد النبوي (الحديث) في إطار الاستمرارية للقرآن، بينما هي، في الغالب، في قطيعة معه.

**توماس رومر**

أليس هو شيء قد يحدث في كل الديانات بمجرد أن تتلقّى تأثيرات خارجية؟ في حالة التوراة، من الواضح أنّ بعض المفاهيم مثل العقد، في مدلوله كعقد للتبعيّة والذي تكلمنا عنه، لم يكن موجودًا قبل الاتّصال مع الآشوريين. قد يكون هناك طبعًا فكرة لعلاقة مُتميّزة بين يهوه وقبيلة، ولكن التفكير لاهوتيًّا Théologisation في المفهوم، كما نراه مستعملًا في سفر التثنية، يبقى ضمن غير المفكر فيه قبل هذا اللقاء مع الآشوريين.

فالسؤال الذي يمكننا طرحه هو الآتي: هل يوجد ديانات "نقيّة" تطوّرت بمفردها، دون أن تحتوي تأثيرات خارجية؟ في الواقع، هناك دائمًا اتصالات متعدّدة، من خلال أفراد أو تأثيرات ثقافية آتية من جهات أخرى، حضارات أخرى. نستطيع القول: الديانات المحيطة تدفع دائمًا ديانة ما نحو

الحركة، أيًّا كان "ارتباطها الهوياتي". وهكذا، فاليهودية الناشئة بعد تدمير الهيكل من طرف الرومان لم تتوقّف هي أيضًا عند هذه اللحظة. هناك اليوم شيء قليل للرؤية مع ما كان عليه وضعها في القرن الأول والثاني من التقويم الميلادي. هذا التاريخ الكبير للتطوّر ينطبق كليًّا على المسيحية كما على الإسلام. تكلّمتم عن لقاء القرآن مع التقليد اليهودي- المسيحي الموجود في منطقة جزيرة العرب من القرن السادس إلى القرن التاسع، ولكن هناك نماذج أخرى.

**جاكلين الشابّي**

نعم، يمكننا بلا شك إضافة المانوية. كل الديانات تتنقّل في سياقات مجتمعيّة متلاحقة ومختلفة جدًّا من كل وجهات النظر. المشكلة أنّه خارج مجال ظاهرة الانشقاق، فأتباعهم لا ينتبهون أو قليلًا ما ينتبهون. فيما يخص الإسلام، يصدمنا في هذا المجال عائق جسّيم. مثلما عند السنة هو أيضًا موجود لدى الشيعة، وهما حركتان لا تنتميان إلى الطبقة الأولى، تلك التي لمجتمع القبيلة، إننا نضع في نفس المستوى مدونات عديدة لمراحل مختلفة. هذا ما يغلق الباب في وجه كلّ محاولة للتّورخة، وذلك إلى غاية يومنا هذا.

**جون - لوي شليغل**

قلتم إنّ الله نشيط جدًّا، ويعمل باستمرار. هل أخطئ عندما أقول أنّه لا يتكلّم، إنّه لا يحاور الأفراد بشكل مباشر؟ في التوراة، يوجد الكثير من اللقاءات المباشرة بين الإله والأفراد. فهو يُعبّر عن مشاعر مختلفة، بما فيها مشاعر يمكننا وصفها بالسلبية: يبدأ بالغضب، إنّه غيور، هو أيضًا "مُحب" جدًّا، إذا جاز التعبير، لشعبه. الله يبدو بلا مشاعر. هل هذا فارق بين الإلهين؟

**جاكلين الشابّي**

إلــه القــرآن هــو بالطبــع ليــس عاطفيًّــا. أقــول إنّ لديــه الكثــير ليفعلــه قبــل أن يكــون كذلــك. بصفتــه حليفًــا حاميًــا للبــشر، عليــه الوفــاء بحصّتــه مــن العقــد مــن خــلال ضمــان البقــاء لمخلوقاتــه. هــو إذن بالأســاس رحيــم وغفــور. عندمــا يُرتكــب خطــأ مــا، فهــو يُعيدنــا إلى الطريــق الصــواب. إنّــه الحــال في القصــة القرآنيــة لآدم، الرجــل الــذي أخطــأ ولكنــه أيضًــا الــذي غُفــر لــه وأعيــد توجيهــه نحــو الطريــق الصــواب. مقابــل هــذه الرحمــة، عــلى البــشر أن يكونــوا شــكورين. إنّــه أخــذ وعطــاء. لكــن في المقابــل فاللــه عنيــد تجــاه الخيانــة الممنوعــة، عــلى غــرار مــا يحــدث في مجتمــع القبيلــة. يُبــيّن القــرآن ذلــك مــن خــلال أســاطير الشــعوب المُفــترض اندثارهــا في جزيــرة العــرب أو كذلــك في قصــة مدينــة لــوط.

إلــه القــرآن، أيًّــا كانــت تســميته، يتكلّــم كثــيرًا. ولكنّــه كلام أحــادي الاتجــاه، كلمــة فاصلــة متوجهــة إلى المُوحــى إليــه أو إلى "أنتــم" التــي تخــصّ رجــال محيطــه. في هــذه المرحلــة الأولى، نحــن لســنا بعــد في العالمــي، كمــا يُــؤوِّل الكثــير ذلــك اليــوم؛ نحــن فقــط ضمــن الظــرفي والخــاص.

**توماس رومر**

بالنســبة للإلــه التوراتــي، فــان ذلــك مرتبــط بنــوع النصــوص والتقاليــد. كمــا قــال جــون لــوي شــليغل، الكثــير مــن النصــوص تتكلّــم عــن غضــب يهــوه. بعــض النصــوص التوراتيــة تضــع النــاس أمــام خيــار الخــير أو الــشر. فاختيــار الــشر، أو مخالفــة الأوامــر، يجلــب غضــب يهــوه. نــرى ذلــك بالخصــوص في الفصــل 30 مــن ســفر التثنيــة، أيــن يُقــال أنّــه في وســع النــاس الاختيــار بــين الخــير والــشر؛ فــإذا تــمّ اختيــار الخــير، كل شيء ســيكون عــلى مــا يُــرام، ســتكون "الحيــاة والســعادة"؛ ولكــن في الحالــة العكســية، ســيكون "المــوت والشــقاء": قائمــة مــن اللعنــات تُبــيّن مــا ســيحدث بالنســبة للذيــن ســيكون لديهــم نيــة ســيئة للالتفــات عــن أوامــر يهــوه.

نجد بلا شك فكرة مشابهة جزئيًّا لما قالته جاكلين الشابّي، إنّ هذا الإله يريد الخير لمجموعته، شعبه؛ ولكنّه يُعاقب المخالفات، بالرغم من كونه يستطيع أن يكون إلهًا رحيمًا. بعض النصوص تتكلّم عن الغفران الإلهي، ولكن هذا الأخير نناله في الغالب بعد عقاب أوليّ، هداية، تغيير في السلوك من طرف الإنسان: نحن في أيديولوجية للمعاملة، أين يجب على الإنسان إتمام حصّته من السوق؛ إذا تخلّف عن السداد، من النادر أن يكون هناك مغفرة بلا مقابل. تضحيات ومجموعة من السلوكيات تتدخّل لأجل أن تستمر العلاقة بين الفرد، الشعب ويهوه. ليست هناك مجّانية كما رسمتها جاكلين الشابيّ: فالإله يهوه ينتظر بطريقة أو بأخرى المقابل.

**جاكلين الشابّي**

أعتقد أنّه في مجتمع القرآن، الإله، الحليف الإلهي، لا يستطيع فعل شيء إذا قال له الإنسان لا. القرآن يُجيب بالقول بأنّ الناس سيرون ما سيحدث لهم يوم الحساب. ولكن الإلهي لا يستطيع تغيير سلوك رجل القبيلة. كلّ زعيم أسرة مسؤول على ذويه: لا وجود لعلاقة "دولة" تأتي لتمنح الوساطة. علينا إذن اختيار طريقنا: إذا كان الاختيار سيئًا، يخسر الرجل مجموعته، مثلما يمكنه أن يضيع في الصحراء.

**توماس رومر**

إنّه اختلاف مع عالم التوراة، لأنّ النصوص حول يهوه التي تكلّمنا عنها تُقدّمه كملك. إنّها تعود إلى الحقبة الملكية (القرنين التاسع- الثامن). يوجد إذن نوع من السلطة "المركزية"، التي تنتظر الوفاء من طرف الرعية: إذا كانوا أوفياء، كل شيء سيكون على ما يرام، فالإله سيُظهر الرحمة؛ في غياب ذلك سيكون العقاب. فيما بعد، قد يكون العقد موضوع تفاوض جديد، ويستطيع الإله إقامة عقد معاهدة جديدة (berit).

**جاكلين الشابّي**

كمـا ذكـرت أعـلاه، فالتهديـد الأرضي الوحيـد الـذي يُثـيره القـرآن هـو ذلـك الـذي للشـعوب البائـدة. "إذا ألححتـم عـلى رفـض عقـد اللـه، انظـروا مـاذا حـدث لذلـك الشـعب في المـاضي!" فمـن ثـمّ مشـهد النكبـة أو الكارثـة الطبيعيـة التـي نعرفهـا محليًّـا. ولكـن في الحقيقـة، فالإلـه الخالـق لا يسـتطيع فعـل شيء ضـدّ بـشر اليـوم، الذيـن يظلّـون سـادة اختياراتهـم. فالقـرآن يصطـدم هنـا بالجـدار الانثروبولوجـي لمجتمـع لا يعـرف قيـود الدولـة. فالخطـاب القرآنـي يتأرجـح إذن ضمـن الغيبيّـات مـن أجـل أن يؤجّـل بعـد المـوت مسـألة الحسـاب.

## ماذا بعد الموت؟

**توماس رومر**

هل يوجد فكرة أولية حول نوع المكافأة بعد الموت؟

**جاكلين الشابّي**

لا، لا يوجـد في البدايـة. حتـى فكـرة الحسـاب بعـد المـوت كانـت غـير مسـموعة. إنّـه إبـداع جديـد كليًّـا. إنّ مـا ينتظـره رجـل القبيلة هـو أوّلًا أن يُدفـن في أرض ذويـه، لأجـل ألا تنقطـع صلتـه مـع الأسرة. إنّ الايسـكاتولوجيا القرآنيـة تظهـر كـردّ عـلى وجـود نقـص في التضامـن داخـل القبيلـة، كمـا سـبق وقلـت ذلـك. وهكـذا فالأولويـة تُمنـح أوّلًا، للقصـاص الـذي يعاقـب النقـص في السـلوك التضامنـي. ولكـن الحكـم والقصـاص يتكيّفـان مـع الشـكل الاجتماعـي للقبيلـة: لا يعنيـان سـوى ربّ الأسرة. ذلـك يعنـي، أن أسرة مـن دون رب مآلهـا الاندثـار...

إنّ الإدانـة تشـبه التواجـد في صحـراء حارقـة. بينمـا تمثّـل المكافـأة، في البدايـة، بـكل بسـاطة في الرجـوع إلى ذوينـا: في المقاطـع الايسـكاتولوجية الأقـدم، تغيّـب كليًّـا فكـرة الجنـة.

**توماس رومر**

إنّ فكرة الحياة بعد الموت في حد ذاتها مُعقّدة. بشكل عام، يشترك الشرق الأوسط القديم في رؤية مُوحّدة لما سيحدث بعد الموت، وهي رؤية مختلفة كليًّا عن التصورات المصرية. عندما نموت، الكل "ينزل" إلى ما تسميه التوراة شيول Shéol، والذي يُمكننا فهمه كهاديس Hadès أو الجحيم. ومع ذلك، فإنّه لا يتعلق بجحيم المسيحيّين. إنّه بشكل ما المكان الذي "يستقر" فيه الجميع، لأنّنا لا نستطيع تخيّل اختفاء الموتى. كذلك، فانّ طقوس الموتى تشهد على الاعتقاد بأنّه يمكننا الاحتفاظ بتواصل مع الأموات: إعطاءهم الأكل والشرب، أن نسقيهم بغزارة من الخمر، الخ. ولكن إذا كان الجميع سينزل إلى شيول، ففكرة المكافأة بسبب إتمام شيء رائع أثناء الحياة هي في المقابل غائبة.

ومع ذلك، فانه خلال القرنين الثالث والثاني، بالخصوص مع كتاب دانيال، سنكون مع فكرة حساب الموتى: فالصّالحون الذين ماتوا ولم يجدوا المكافأة خلال حياتهم يعودون للحياة مجدّدًا. ومع ذلك فإن الحياة الجديدة، هذه، لم تُوصف بدقة. فالأشرار، هم، من يبقى في مجال الموت. ولكن هذه الفكرة تصل متأخرة، ربّما متأثّرة بالتقليد المصري، أين حساب الموتى مهمّ جدًّا. اليوم، هي أقل أهمية في اليهودية بالمقارنة مع المسيحية، التي تُلح على المكافأة بعد الموت. ربما الإسلام استعار بعض المفاهيم اليهودية-المسيحية Judéo-chrétiens.

**جاكلين الشابّي**

يعدّ ذلك بديهيًّا. إنّ هذا الإبداع لم يأت من المجهول. فالمصدر هو حتمًا مسيحيّ أو يهوديّ-مسيحيّ. يتعلّق على ما يبدو بوافد من اليمن. نحن نجهل كيف تم ذلك. يمكننا الافتراض أن ذلك يبقى ضمن إطار النقل الشفاهي. لابدّ لهذا

النوع من القصص الايسكاتولوجي من الانتشار، لأنّ رجال القبيلة أناس ثرثارون. فالقرآن، هنا، يُقدّم جوابًا غير منتظر للمشكل الظرفي المتعلّق بالتملّص من التضامن.

**جون - لوي شليغل**

وماذا بخصوص البعث في ذاته؟

**توماس رومر**

إنّ فكرة بعث الموتى لن تظهر إلّا في النصوص الحديثة جدا في التوراة العبرانية. يستطيع النبي إيليا Elie أن "يحيي" رجلًا شابًّا مات، ولكن هذا الرجل الشاب الذي عاد للحياة سيموت يومًا. أمّا بخصوص إيليا في ذاته فإنّه يصعد إلى السماء على مركبته، مفلتًا بذلك من الموت. في النصوص القديمة التي تعود للقرنين الثامن والسابع، نجد أن رحلات الموتى تفلت من سلطة يهوه، لأنّه يوجد إله آخر (شيول) هو المُسيطر. فيما بعد، حوالي القرن الرابع، سننتهي بالاعتراف بأنّ ليهوه القدرة لإعادة الموتى. ولكن كلمة "بعث" ربما هي أكثر حُمولة. في العهد الجديد، نستعمل عبارة "رفع" أو "رُفع أحد من بين الأموات".

هذا يعني، أنّنا لا نعتقد بأنّها هي فكرة البعث التي اختلف حولها اليهود مع المسيحيين. بل إنّه موضوع الطقوس، ذلك الذي في القانون، والذي علينا احترامه أو لا، من كان مركز للقطيعة بينهما. ولكن هذا النقاش حول الأسلوب الواجب إتّباعه في تفسير القانون لم يكن غائبًا في اليهودية زمن يسوع. ما يقوله يسوع موجود أيضًا لدى بعض الحاخامات، في مجموعات التلمود. كان هناك بلا شك إذن يهودية إصلاحية، بأفكار تحرّرية بالمقارنة مع بعض القوانين، وهذه النزعة هي التي انتصرت في النهاية في المسيحية. ولكن في المقابل، فإنّ نجاح المسيحية تسبّب في أنّ اليهودية الحاخامية قد شدّدت تمسّكها

بالقانـــون، والطقـــوس.

**جاكلين الشابّي**

إنّ ســؤال البعــث يظهــر أيضًــا في الجــزء المكــي مــن القــرآن، ولكــن النمــوذج هــو، مــرّة أخــرى، محــلي. فالإلــه الخالــق قــادر أن يفعــل مــا يشــاء في خلقــه، كمــا يــتردّد ذلــك باســتمرار في النــص. ولكــن لأجــل الإقنــاع بذلــك، مــن الأفضــل أن نعتمــد عــلى مــا يــراه النــاس بــأمّ أعينهــم. وهكــذا لــن يســتطيعوا الاعــتراض. عندمــا يســقط المطــر، وتصبــح الأرض التــي كانــت ميتــة (أي غــير المخــضّرة) "حيّــة"، تعــود بعــد أيــام مراعــي الإبــل للظهــور في الصحــراء. فالقــرآن يــوازي في حــالات عديــدة هــذه الظاهــرة مــع البعــث.

**توماس رومر**

يوجــد في ميثولوجيــا المــشرق، الأكثــر شــهرة هــي تلــك التــي في اوغاريــت، صلــة حتميــة بــين الجفــاف وفكــرة غيــاب إلــه المطــر. لنصــل بالتــالي إلى مفهــوم نــزول بعــض الآلهــة إلى الجحيم، المشــهود لهــا في بــلاد الرافديــن والمــشرق. في نصــوص اوغاريــت، الإلــه بعــل -الــذي يســاوي نوعًــا مــا يهــوه لأنهائــه العاصفــة- عليــه بالضبــط النــزول إلى الجحيــم في فــترة الجفــاف. يعــود للحيــاة في الخريــف، عندمــا تعــود الأمطــار. فالنــزول إلى الجحيــم موجــود، ولكنّــه ظاهرة دوريــة: نــزول ثــم صعــود مــن أجــل جلــب المطــر والخصوبــة.

**جاكلين الشابّي**

بالنســبة للقــرآن، أتكلــم عــن "الموســمية" بــدلًا مــن "ظاهــرة دوريــة". يقــال في جانــب مــا أنّ الإلــه هــو " رب "الشــعرى اليمانيــة"Sirius. إذ، أنّ الشــعرى اليمانيــة يمثــل موجــة الحــرارة. فالخــوف الكبــير بالنســبة لســكان جزيــرة العــرب هــو أن يبقــى الشــعرى اليمانيــة في الســماء حتــى بعــد فــوات دورتــه. فالنجــم

الذي يتبع الشعرى اليمانية في الغروب المبكر، بفارق شهر، هو كانوبوس Canope النجم المذكّر، بينما الشعرى اليمانية هو نجم مؤنث، مثلما كل ما له صلة بالحرارة. فغياب كانوبوس هو إعلان بانتهاء موسم الحر. فالإله الخالق هو الذي يضبط المواسم؛ فهو لا ينزل إلى الجحيم، ولكنه يضبط النجوم.

## المسيحية: أي تقارب؟

**جون - لوي شليغل**

بالنسبة لما كنّا بصدد مناقشته، كيف تتصوّرون المسيحية، "الوحي" المسيحي؟ هل هي فجوة في المسار، انحراف؟ بعد كل شيء، على الأقل فيما يخص سؤال الوحدانية، يبدو لي، أنّ هناك توافق بين المسلمين واليهود، اليهودية والإسلام، فيما يتعلق بوجود مسيحية قد تكون وثنية، "مُشركة" لكي نتكلم مثل المسلمين. كيف تتصوّرون ذلك بالنظر لموضوع دراستكم؟

**توماس رومر**

كما بالنسبة لكل الديانات، فالمسيحية الأولى ليست هي المسيحية اليوم. في القرن الأول، كانت أوّلًا عبارة عن طائفة يهودية تُشارك في كتب العقيدة اليهودية. نراها في العهد الجديد: كان هناك إغريق ويهود صاروا مسيحيين، ولكن هؤلاء، وحتى الإغريق، يمارسون نفس الديانة مثل اليهود، والفارق الوحيد أنّهم يعتبرون يسوع الناصري كمسيح تكلّمت عنه بعض النصوص في التوراة العبرانية. فالقطيعة الكبرى حدثت مع بولس، الذي انتقد القانون والطقوس اليهودية، والتي كانت بلا شك تمثّل الهوية بالنسبة لليهودية في القرن الأول: فالمسيحيون اليهود - يعتقدون أنّه في وسعنا الاعتراف بيسوع الناصري كمسيح والاستمرار في اتّباع النظام الغذائي أو أيضًا ممارسة الختان.

في الأصل، المسيحية الناشئة هي استمرار لليهودية، مع هذا الفارق: سيكون هناك عاجلًا مهمّة تبشيرية، والتي ستسمح لها بالارتباط بغير اليهود وتنصير عدد أكبر، من بينهم أناس ينتمون إلى أوساط فاعلة. في بداياتها، المسيحية كانت ديانة الأشخاص الميسورين في الإمبراطورية الرومانية. لماذا؟ يجب تفسيره، لأنّ ذلك يحيلنا إلى تكوين خصوصياتها. بالفعل، مع قسطنطين، تصبح المسيحية ديانة الإمبراطورية، وهو ما لم تعرفه اليهودية أبدًا: لم يكن الحال كذلك، سبق وقلنا، بالنسبة للديانة الإسرائيلية واليهودية في القرنين الثامن والسادس؛ وفي القرون اللاحقة، فاليهودية لن تُشرعن أبدًا من طرف الدولة، إلى غاية تأسيس إسرائيل كـ " دولة يهودية " في 1948م. فاليهودية كانت دائمًا ديانة الشتات وتبقى كذلك، بالرغم من تأسيس دولة إسرائيل. إنّه ربما الفارق الكبير مع الإسلام والمسيحية، اللّتان صارتا بسرعة ديانات لإمبراطوريات، مع كلّ ما يتطلّب ذلك من تغيّرات. فالتطوّرات الكبيرة في المسيحية (التثليث، "المسيح الملك"... الخ) تعكس أيضًا وضع المسيحية كدين رسمي للإمبراطوريات.

**جاكلين الشابّي**

القرآن، في البداية، لم يعرف المسيحيين: إنّهم غائبون في الجزء المكي كلّه. يروى طبعًا قصّة مريم، ولكن ما يهمّ القرآن هو المولد المعجزة لابنها، كما سبق ورأينا. أمّا يسوع، فهو لم يُذكر في هذا الجزء المكّي؛ كما أنّنا لا نجد تسميات تخصّ بشكل محدّد المسيحيين: فاليهود والمسيحيين كلهم يُسمون " بني إسرائيل". ولكن عندما يصل محمد إلى المدينة، سيجد نفسه وجهًا لوجه مع قبائل اليهود، والتغيّر في المفردات سيصبح واضحًا: ستظهر مفردات "يهود" و "نصارى"، ولأوّل مرّة التوراة والإنجيل. إنّه إذن في الحقبة المدنية، في نفس الوقت

يظهر اسم عيسى الذي يُعرّف كـ " ابن مريم" والذي يُنعت كذلك على أنّه " المسيح".

**جون - لوي شليغل**

**هل يتحدّث القرآن أيضًا عن التثليث؟**

**جاكلين الشابّي**

يبدو لنا أن القرآن لم ينتبه لوجود تثليث. فيسوع يعتبر بكل بساطة سابقًا لمحمد بصفة مباشرة: رجل جاءه " كتاب ماورائي" لشعبه. بالمناسبة، إنّ عبارة " أهل الإنجيل"(السورة5،الآية47)، تضع يسوع في وضعيّة مشابهة لمحمد في مواجهة قبيلته. في السورة 5، الاية116، أين يُنكر يسوع وأمه وهما يدافعان عن أنفسهما ضد من وصفهما بـ" إلهين". ولم يوجد هناك حديث عن الروح القدس. يوجد فقط مقطعان يتكلمان بصفة مباشرة عن التثليث( السورة4، الآية171؛ السورة5، الآية73)، وشديدا الغموض ("لا تقل ثلاث")،ربما يعودان للحقبة الأموية (بين منتصف القرن السابع ومنتصف القرن الثامن).في الواقع، فالمواجهة الكبرى مع المسيحية لم تكن لا في جزيرة العرب ولا في المدينة، لأنّه لا يوجد مسيحيّون في المدينة. لقد بدأت فقط بعد التوسع القبلي. فالعرب المهاجرين سيبدأون أوّلًا بالحرب وممارسة السياسة. في نهاية القرن السابع، عندما يُكتب القرآن ويُرسّخ، حينها فقط يُطرح فعليًّا سؤال العلاقة مع المسيحية، وأقل في مواجهة المسيحيين المحليين، الذي سارعوا في التعاون مع السلطة الجديدة، بالمقارنة مع الإمبراطورية البيزنطية، التي قاومت الغزوات، وانكمشت في شبه جزيرة الأناضول والأراضي الموجودة غرب البوسفور. فكتابات قبة الصخرة في أورشليم تدعو لوحدانية الله ضد التثليث وتعلن عن الصفات المتوازية لمحمد ويسوع، كماسبق وبيّنا ذلك.

أمّا بخصوص السؤال الذي كثيرًا ما يطرح والمتعلّق بعدم صلب يسوع، حسب المقطع القرآني (السورة4،الآية157) الذي ننسبه في الغالب لتأثير الدوستية Docétisme3، أعتقد، من جهتي، أنّه يمكننا رد هذا القول، بكل بساطة، إلى سبب انثروبولوجي ومحلي: في القرآن، الإله الخالق لا يتخلّى أبدًا عن أحد رُسله: كلّهم أنجاهم. فيسوع لن يكون إذن قد صُلب، لأنّ ذلك يعني أنّ الله خان عقده في الرعاية معه.

### توماس رومر

التثليث هو "عقيدة "حول الإله والتي لم تكن موجودة بعد في العهد الجديد، بل إنّها نابعة من تأويل قام به آباء الكنيسة للكتابات ابتداء من القرن الثالث أو الرابع. يبدو، أنّها أفكار، كانت معروفة في القرن الثامن، أثناء لقاء المسلمين مع المسيحيين، من طرف الكتبة الذين حرّروا القرآن. يبدو لي، إذا لم أخطئ، أنه تم التطرق لفكرة التثليث.

### جاكلين الشابّي

نعم، كانت كذلك، كما سبق وقلت، بطريقة سريّة جدًّا ومُختصرة في القرآن مما يجعلنا نتساءل إذا لم نكن بصدد إضافة. إنّ نشر إحدى الآيتين المعنيتين على قبة الصخرة هو قبل كل شيء موقف سياسي. بالنسبة للخليفة الإمبراطور في دمشق يتعلق الأمر بالتّموقع في مواجهة الباسيليوس البيزنطي basileus byzantin. لا يبدو أنّه في نفس الحقبة –أي نهاية القرن السابع –قد حدث أي نزاع رسمي مع المسيحيين المحليين. إذ أنّ يوحنا الدمشقي، المسيحي الملكي الخلقدوني*، كان ضمن كبار موظفي الضرائب لدى الخليفة. فبمجرد أن ينسحب إلى حياة الرهبنة، نجده يبدأ في التعبير عمّا يعتقده هرطقة إسماعيلية* يدعو لها نبي مُزيّف. لدينا هنا وجهة نظر خارجية والتي لها قليل، أو ربما بلا علاقة، مع ما كانت عليه نظرة القرآن

عـن المسـيحية والتـي، في الحقبـة المكيـة، يُجهـل وجودهـا في ذاتـه. ومـن الواضـح أن الخارطـة المُعقّـدة لمختلـف اتّجاهـات المسـيحية في القـرن السـابع، المُوزّعـة بـين الوحدانيـين في الجنـوب، النسـطوريين في الـشرق والخلقيدونيـين4 في الشـمال، هـي خفيـة كليًّـا عـن القرآن.

### جون - لوي شليغل

مـا تقولانـه كلاكمـا، هـو ضرورة التخلـص مـن الصـورة التـي تقـول بـأنّ الخلافـات كانـت لاهوتيـة. في الحقيقـة، هـي لا تمـس الطبيعـة الإلهيـة للمسـيح أو التثليـث. فالنزاعـات الأوليـة بـين المسـيحية واليهوديـة تخـصّ، مثـلًا، بالنسـبة للمسـيحيين، التخـلّي عـن الختـان، أنظمـة الطعـام، القانـون، أي أمـورًا تطبيقيـة مـن هـذا القبيـل، وقبـول الإغريـق ضمـن الحظـيرة المسـيحية. سـتة قـرون فيمـا بعـد، بالنسـبة للإسـلام، والنزاعـات مـع المسـيحية لـم تكـن إطلاقًـا لاهوتيـة في المقـام الأول.

### جاكلين الشابّي

بالفعـل، اللاهـوت هـو ترفيـه: للاهتمـام بهـا، لابـد مـن العيـش في مجتمـع ليـس فيـه مشـكلات غذائيـة.

### توماس رومر

إن المقاربـة اللاهوتيـة للديـن هـي في الحقيقـة مخصصـة للنخبـة، فهـي ليسـت بالـضرورة معروفـة لـدى الجمهـور، الـذي يسـخر من ممارسـة الشـعائر الدينيـة ومـن معرفـة إذا كان هنـاك تثليـث، أو أنّ يسـوع مـن طبيعـة إنسـانية وطبيعـة إلهيـة... الـخ. في الغالـب، هـذا النـوع مـن النقـاش يجـذب بعـض الخـواص ولا يصـل إلى الجمهـور العريـض مـن المؤمنـين. حتـى في أيامنـا هـذه، أيـن نجـد عـددًا كبـيرًا مـن الأفـراد مـن ذوي التكويـن العـالي (مـن المؤكّـد أنّهـم أصحـاب تخصّصـات فائقـة الاهميـة في الغالـب)، فالكاثوليكـي المتوسـط المُلتـزم يجهـل بـلا شـك كل شيء، ليـس فقـط الخلاصـة

اللاهوتية لتوما الاكويني، ولكن أيضًا مسائل لاهوتية كبرى حديثة طرحها ولا يزال يطرحها المثقّفون الكاثوليك. هذا الاختلاف، هذا الفارق بين "اللاهوتيين" و"المؤمنين البسطاء" ينطبق أيضًا وكذلك على الإسلام.

**جاكلين الشابّي**

المنوعات الغذائية هي مع ذلك مذكورة في القرآن. إنها تلك التي لليهودية، والتي يبدو أنها اكتُشفت في المدينة. والتي سوف تُتّخذ من جانب سيء للغاية. ولكنني أقول بأنّ سبب هذا الرفض يعود إلى الإحباط والخيبة أكثر منه إلى تفكير ديني.

في الجزء المكي من القرآن، يصف "بني إسرائيل" بإيجابية كبيرة: إنّهم مرجعية محمد، المرفوض من قبيلته التي تتّهمه بخيانة تقاليد الآباء. يجيبهم بأنه ضمن خط من أرسلهم الله لشعبهم قبله، إنّه يتموضّع إذن ضمن سلالة "المُنذرين". ولكن الحاخامات يضحكون في وجه محمد عندما يأتي المدينة. ومن ثم هكذا يبدأ الخلاف، ويتمّ اعتبار المنوعات الغذائية كعقاب إلهي من الله لليهود لأنهم خانوا نبيهم موسى... بالنسبة للمسيحيين،لا يوجد أي شيء وبالخصوص فيما تعلق بالنقاش اللاهوتي معهم.

**توماس رومر**

ومن أين أتى إذن ما نعرفه عن المسيحيين في القرآن؟

**جاكلين الشابّي**

من المحتمل جدا بواسطة اليهود، آية واحدة، تسمى "آية المحبة"، تقول ما يلي: " اليهود يكرهونكم ولكن النصارى يحبونكم، إنهم أناس طيّبون "

**توماس رومر**

من السهل دائما أن نذكر الغائب بمحاسنه...!

**جاكلين الشابّي**

ولكن بمعزل عن هذا المقطع الذي يُثمّن، فالمقاطع الأخرى من الحقبة المدنية، المتأخّرة جدًّا، هي سلبية بشكل موحد. أحيانًا يقال "الذي هادوا"، أو "اليهود"، يقرنون بـ "النصارى" ضمن نفس الرفض، وأحيانًا كلّ واحد منهما على حدة. ولكن يجب الانتباه لعبارة "أهل الكتاب"، المستعملة في الغالب لأجل تمجيد مناسبات "إبراهيمية" من "ديانات شقيقة". فالعبارة القرآنية المناسبة هي أهل الكتاب، والتي تعني الذين جاءهم "كتاب" من قبل لأجل أن يُبلّغ لقومهم. نعم، في القرآن، هذه العبارة، لا يمكن العثور عليها إلّا ضمن الجدال المدني، فهي ليست لتمجيد السلم ولكنّها للنزاع، فأهل الكتاب، أي اليهود والنصارى، متّهمون بخيانة "أنبيائهم" وتزوير "الكتاب" الذي جاءهم به الأنبياء.

**السا روزنبرغر**

لنعالج الآن سؤال المقاربة التاريخية للنصوص. تشير جاكلين الشابيّ إلى أنّ جزءًا من عمل "التفكيك" التاريخي أُنجز بالنسبة للتوراة ولكنه لم يُنجز بالنسبة للقرآن. هل في مقدورك التذكير بالعمل المُنجز، وماذا قدّم؟

**توماس رومر**

بالنسبة للتوراة، بدأ هذا العمل منذ القرن السابع عشر وبالخصوص في القرنِ الثامن عشر. فالمقاربة المسماة نقدية-تاريخية تأسّست في القرن التاسع عشر، لا سيّما في معاهد اللاهوت البروتستنتية الجرمانية والإسكندنافية، خصوصًا مع مشروع التحرر من الكنائس التي تريد فرض الرقابة على

قــراءة النصــوص التوراتيــة. فالكاثوليكيــة كانــت مــتردّدة جــدًّا تجــاه هــذا النــوع مــن المقاربــات، ولكنــه كان كذلــك الحــال بالنســبة للأوســاط المحافظــة في الكنائــس البروتســتنتية. إنّهــا كذلــك حقبــة مولــد علــم جديــد يســمى تاريــخ الأديــان. بــدأت إذن قــراءة التــوراة كأيّ نــص آخــر مــن نصــوص العصــور القديمــة. فالمناهــج الأولى لنقــد النصــوص والنقــد التاريخــي تــمّ وضعهــا مــن خــلال الاتصال الضيّــق مــع الهلينســتيين، الذيــن يطبّقونهــا بشــكل خــاصّ عــلى المدونــات الهوميريــة. فالمناهــج كانــت نفســها، فالباحثــين والأســاتذة يعــرف بعضهــم البعــض، ويؤثّــر بعضهــم في بعــض. أحــد أبــرز ممثّــلي المقاربــة النقدية-التاريخيــة هــو الألمانــي يوليــوس فلهــاوزن Julius Welhausen، الــذي اهتــم كذلــك بالقــرآن والنصــوص الإســلامية. بالإضافــة إلى "التأريخيــة" أو لا تأريخيــة النصــوص، هنــاك موضــوع إعــادة بنــاء مختلــف الطبقــات التــي تُشــكلها. فالمقاربــة النقديــة- التاريخيــة تســمح بتبيــان أنّ النــص الــذي يظهر للقــارئ العــادي كوحــدة هــو في الحقيقــة مُكــوّن مــن "طبقــات" متراكبــة، مثــل الطبقــات الاركيولوجيــة. هــذه الطبقــات قــد تجمّعــت وتراكبــت مــن أجــل أســباب قــد نســتطيع محاولــة فهمهــا، والتــي تنتهــي بمنتــوج نهائــيّ يختلــف في الغالــب عــن "الطبقــة" الأولى للنــص. لقــد واجهــت هــذه الدراســات الكثــير مــن المقاومــة. في الحالــة الكاثوليكيــة، كان يلــزم انتظــار ســنوات الســتينات 1960م في المجلــس المســكوني للفاتيــكانII لأجــل أن يصبــح هــذا النــوع مــن التأويــل مقبــولًا رســميًّا: إنّه ليــس بعيــدا!!

نــدرس إذن هــذه النصــوص بعيــدًا عــن رقابــة الكنيســة أو الكنيــس. فالتأويــل النقــدي- التاريخــي يطــرح ســؤال تكويــن النــص، ولكــن أيضًــا تأريخيــة الأحــداث والأشــخاص المذكوريــن في النــص. لقــد تطرّقنــا فيمــا ســبق لسؤال التأريخيــة التــي تطرحهــا بعــض الشــخصيات أو الأحــداث المرويــة. ولكــن إعــادة بنــاء

الطبقـات القديمـة والحديثـة يسـمح كذلـك بفهـم كيـف أنّ ديانـة ملكيـة، يهوديـة، إسرائيليـة، تتحـوّل شـيئًا فشـيئًا إلى اليهوديـة. تكلّـم يوليـوس فلهـاوزن، مثـلًا، بطريقـة نوعًـا مـا اسـتفزازية، عـن "الوثنيـة الإسرائيليـة" لأجـل القـول أنّ التـوراة في الأصـل ليسـت "نصًّـا يهوديًّـا"، وأنّهـا تحتـوي عـلى نصـوص تعكـس ديانـة ملكيـة، يهوديـة أو إسرائيليـة، والتـي هـي شيء آخـر بالنسـبة لمـا سـتكون عليـه، أي اليهوديـة.

مـن المهـمّ جـدًّا إنجـاز هـذا العمـل التاريخـي، لأنّـه يبـيّن أنّ هـذه النصـوص هـي نتـاج تطـوّر طويـل.

**جاكلين الشابّي**

بالنسـبة للقـرآن والتقليـد الإسـلامي، أيـن نجـد المدونـات تمتـد عـلى مـدى قـرون، فـإنّ غيـاب القـراءة التاريخيـة هـو أمـر صـارخ. فالمؤرخـون الكبـار في القـرن العشريـن، سـواء تعلّـق برائـد المدرسـة التاريخيـة للحوليـات مثـل البلجيكـي هنـري بـيران Henri Pirenne أو أحـد أعضائهـا البارزيـن مثـل فرنـان بروديـل Fernand Braudel، فإنهـم اهتمـوا بالعالـم الإسـلامي في إطـار علاقتـه بأوروبـا القروسـطية. ولكنّهـم لـم يكونـوا مُسـتعربين. كمـا لـم يكونـوا أيضًـا يعرفـون الفارسـية أو التركيـة. فالإسـلام الأوّل صـار بذلـك مُقفـلًا كليًّـا بالنسـبة لجهدهـم، بينمـا اهتمـوا بشـكل قـوي بالغـرب المسـيحي وكذلـك تقريبًـا بالجـزء الوافـر مـن العالـم القديـم، وكذلـك بعـض الـشيء، بالـشرق الأدنـى.

أوّل مؤرخـي القـرن العشريـن الـذي اسـتطاع الربـط، في كل المجـالات التـي عالجهـا، بـين مـن جهـة المقاربـة التاريخيـة والقـدرات الألسـنية التـي تسـمح بمعالجـة أولًا المصـادر مبـاشرة في لغاتهـا، هـو كلـود كاهـن Claude Cahen، أسـتاذ السـوربون الكبـير، مـؤرّخ القـرون الوسـطى، المختـص، كمـا يحـبّ قولـه، ليس

في الإسلام بل في العالم الإسلامي. كان أستاذي، إنّه هو الذي، في 1954م، أمام المؤتمر الدولي للمستشرقين في كمبريدج، من يشير بطريقة قاطعة إلى العيوب الخطيرة لأعمال المستشرقين في مجال التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للعالم الإسلامي. أقول إنّنا اليوم في نفس المستوى فيما تعلق بتاريخ المدونات الدينية. حدث أنّني، أثناء دراستي، كنت أيضًا التلميذة المباشرة للذين يمكن اعتبارهم آخر المستشرقين الفرنسيين، بدءًا من ريجيس بلاشيرRégis Blachère، الذي كان أحد كبار مترجمي القرآن. على غرار المستشرقين الجرمان في القرن التاسع عشر، كان هؤلاء العلماء، قبل كل شيء، فيلولوجيين كبار. لم يحاولوا أبدًا تكوين علاقة مع مؤرّخي عصرهم وأقلّ أيضًا مع رواد العلوم الاجتماعية التي تنشأ في بداية القرن العشرين والتي، يستحوذ عليها مؤرخو القرون الوسطى الغربيون، مثل جورج دوبي Georges Duby أو جاك لوغوف Jacques Le Goff أو الهيلينيين مثل جون بيار فرنان Jean-PierreVernant أو مارسيل ديتيانMarcel Détienne في منتصف القرن العشرين بتوجيه أعمالهم نحو تاريخ التمثّلات المشتركة والعقائد.

بالنسبة إليّ، فيما تعلّق بتأريخية بدايات الإسلام، فالوضعية أسوء مما كانت عليه وذلك ليس فقط في فرنسا ولكن على الصعيد العالمي. بينما نجح التوراتيون،على المستوى العالمي، على الاحتفاظ بخط قراءة نقدية للمدونات الدينية، فنحن بين نارين بالنسبة للإسلام: من جهة قراءة عالمة وتبسيطية التي تُملي قراءة توراتية مبالغة Bibliser للقرآن وتنفي كل خصوصية له، ومن جهة أخرى قراءة تقديسية تُهيمن بشكل استثنائي في العالم الإسلامي.

هذا الغياب للمقاربة التاريخية للماضي، وبالخصوص للمدونات الدينية، هو بالنسبة للمسلمين اليوم كارثة حقيقية.

بالنسبة لما هو زمن أصول الإسلام، فهو أكثر صعوبة، لأنّه بسبب عوامل مُعقّدة، وظرفية، مرتبطة بالنكسات السياسية للعالم الحديث وليس لبعض الاستحالة في فهم الماضي الإسلامي، فمجتمعات العالم الإسلامي المعاصر كانت غير قادرة على النظر تاريخيًّا لماضيها. فمعرفة هذه الحقبة الأولية تركت الأسبقية فيها استثنائيًّا للديني، الذي يعمل على احتكار الكلمة والكتابة، وفق فرضيات تناقض المقاربة التاريخية والنقدية.

إنّ غياب المقاربة التاريخية للماضي تمنع من التفكير في الديني بطريقة عقلانية وانفرادية، وذلك بصرف النظر عن المستوى.

**السا روزنبرغر**

هل في وسعكم تقديم أمثلة؟

**جاكلين الشابّي**

بدأت في تجربة ذلك منذ بضعة أشهر، بعد أخذ المبادرة بفتح صفحة تبسيطية على الفيسبوك تتعلق بـ "كلمات القرآن". تتوجّه هذه الصفحة إلى جمهور فرنكوفوني غير متمايز. يستطيع كل واحد التدخل، بعد كل شريط فيديو تفسيري لكلمة أو عبارة قرآنية. متابعة كثيفة، أسبوع بعد أسبوع، تمنح هذه الصفحة فوتوغرافيا حقيقية للوضعية التي نحن عليها. العديد من المسلمين من مختلف البلدان من الذين يتدخّلون يكثر سؤالهم حول ديانتي. لا يستطيعون التمييز بين الدين والتاريخ. فليس لغير المسلم، بالنسبة لهم، الحق في لمس القرآن. لقد طُلب منه الرجوع إلى توراته أو إنجيله. نحن هنا أمام سلوك للتملّك متميّز يمكن تفسيره جزئيًّا من خلال الأزمات الحالية للعالم الإسلامي. فالقرآن وشخصية محمد يبدو أنها وقد صارت قيّم وملاذا، بالمعنى الأسوأ. بينما، أن نلمس

تاريخيًّـا القـرآن فهـو كفـر. في العالـم الإسـلامي، إنّـه مـن الخطـير جـدًّا ممارسـة النقديـة التاريخيـة. فالـذي يعيـد النظـر في "الاعتقـاد La Doxa " الإسـلامي الرسـمي هـو كافـر، "مُـشرك"، وضـده تصـدر الفتـاوى!

**السا روزنبرغر**

كيف يمكننا الخروج من هذا الفخ؟

**جاكلين الشابّي**

أحـد الوسـائل، بالنسـبة إليّ- عـلى الأقـل حيـث نسـتطيع - هـو تطويـر التاريـخ النقـدي للمدونـات الدينيـة في الإسـلام،كما حـدث ذلـك بالنسـبة للمدونـات التوراتيـة. ولكـن لكـي نصـل إلى ذلـك، يجـب تطبيـق المناهـج المناسـبة. إذ إنّ كثيريـن، في نظـري، وبالخصـوص أصحـاب المقاربـة "الخارجيـة"Externalistes الذيـن ذكرتهـم في موضـوع التأثـيرات التوراتيـة، مـن نجدهـم قـد ضلّـوا في طـرق مسـدودة. أمّـا بخصـوص بدايـات الإسـلام، فطريـق الانثروبولوجيـا التاريخيـة يبـدو لي أنّـه يمثـل الطريـق الموعـود بشـكل خـاص. للأسـف، قليـل مـن الباحثـين مـن يشـاركون فيهـا إلى غايـة يومنـا هـذا.

**جون - لوي شليغل**

لمـاذا يُخيـف النقد-التاريخـي؟ اليـوم، تعـترف الكنيسـة الكاثوليكيـة تقريبًـا بقيمـة بحوثـه وفوائدهـا، حتّـى، وهـي عـلى مسـتوى الفعـل، تبقـى مـن مهـام المؤولـين، اللاهوتيـين وغيرهـم من الباحثـين. بالنسـبة للإسـلام أيضًـا، يبـدو لي أن عـددًا مـن المسـلمين المثقّفـين يعترفـون بقيمـة أعمالـك. هـذا لا يمنـع مـن كونـك تمثّلـين خطـرًا بالنسـبة للمؤمنـين الذيـن يتهمونـك بتدمـير المعتقـد؟

**جاكلين الشابّي**

ليـس مـن طـرف الجميـع. ولكـن في العالـم الإسـلامي، النـاس

لا يجرؤون على الحديث. بعضهم واع بقيمة المعرفة والثقافة، والقراءات النقدية للتقليد، ولكن أفواههم موصدة، سواء لأنهم لا يمتلكون الوسائل لأجل "فتحها" (بكل معاني العبارة)، أو لأنهم لم يسمح لهم بذلك. إنّ صفحتي التبسيطية، التي أسعى لأجل جعلها في متناول الجميع بتقديم العديد من الأمثلة الملموسة، هي في الواقع تهدف إلى محاولة " تحرير الكلمة" وحمل الناس على التفكير. بعضهم يرفض قطعيًّا. والبعض الآخر يُصرّح بأنه مصدوم. ألاحظ بالرغم من ذلك بداية للتغيير في النبرة وفي المداخلات. يجب القول أنّه بلا شك هي واحدة من المرات، إن لم تكن الأولى، التي يسمع فيها القراء حديثًا عن القرآن بهذه الطريقة. نحتاج إلى الوقت للتّعود على ذلك. فالأفكار غالبًا ما تأخذ طريقها في صمت. ومع ذلك، ففي الأوساط الأكاديمية "للمسلمين بالمنشأ"، لم نفهم بعد - مع بعض الاستثناءات - فوائد الاعتماد على الانثروبولوجيا التاريخية، وهو مؤسف فعلًا. على كل واحد أن يقرّر مصيره عندما تتوفر لديه الإمكانات لذلك.

**السا روزنبرغر**

ألا يتعلق الأمر كذلك بلقاء للمعارف؟ أفكر خصوصًا في الحقل الذي يُعبئ لدراسة التوراة: الاركيولوجيا، التاريخ أو أيضًا الألسنية. ألسنا في حاجة إلى هذا التنوع من أجل قراءة النص القرآني؟

**جاكلين الشابّي**

يوجد ألسنيون ممتازون، ولكن التقاطع مع التاريخ النقدي لم يحدث، ولا مع العلوم الاجتماعية أيضًا. وهكذا عكسيًّا، من أجل الاشتغال حول بدايات الإسلام، يجب حتمًا توفر مستوى عال من اللغة. إذ أنّ المؤرخين لا يمتلكونه بالضرورة. ليسوا قادرين على الذهاب والبحث في المصادر، وحتى وإن فعلوا، فلا تجذب اهتمامهم العلوم الاجتماعية. إنّه حتمًا بالنسبة للمرحلة

الأولى، أيـن لا نمتلـك تقريبًـا أيّ مصـدر كلاسـيكي اعتـاد المـؤرخ الاشـتغال عليـه، إذ علينـا تجريـب الطـرق الإبداعيـة.

**توماس رومر**

في الحقيقـة تعـدّد الكفـاءات ضروري، ومـن النـادر العثـور عـلى باحثـات وباحثـين مـن أصحـاب الكفـاءات، مثـل لغـات الألسـنية، الفيلولوجيـا، الاركيولوجيـا، الانثروبولوجيـا، التاريـخ. بالنسـبة للمقاربـة النقدية-التاريخيـة، يوجـد بالرغـم مـن ذلـك نـوع مـن "الأسرة الجامعيـة"، أيـن كل واحـد يهتـمّ بأعمـال الآخـر، نـوع مـن لقـاء التخصّصـات يسـمح بإعـادة بنـاء العنـاصر التـي أنتجـت التـوراة. هـذا الـشيء غائـب بـلا شـكّ في حالـة الإسـلام، ولكـن يجـب عـدم الاعتقـاد أنّ ذلـك كان منـذ البدايـة بالنسـبة للتـوراة. أعيـد التذكـير أنّـه لـزم العديـد مـن القـرون لأجـل الوصـول إلى هـذا النـوع مـن المقاربـة ولكـي تكـون مقبولـة. ومـع ذلـك قـد تكـون "ضغـوط" الأوسـاط الإسـلامية، لأجـل الإدلاء بـه في عجالـة، هـي أكثـر تهديـدًا اليـوم فيمـا يخـص الإسـلام. في جنيـف، أحـد زميلاتـي أسـتاذة في بدايـات الإسـلام عليهـا تقديـم دروسـها تحـت حمايـة بوليسـية، إذ حـدث التحـرش بهـا عـدة مـرات، وذلـك ليـس مـن طـرف طلبـة مسـجلين ومتابعـين للـدروس بشـكل منتظـم، ولكـن مـن قبـل أفـراد مـن الخـارج قـد نتوقّـع انتماءاتهـم.

**السا روزنبرغر**

أليـس مـن الـضروري توضيـح فوائـد اعتمـاد المقاربـة التاريخية للنـص القرآنـي للمؤمنين؟

**جاكلين الشابّي**

ذلـك مـا أسـعى لفعلـه منـذ عـدة أشـهر وقـد أعطيتكـم نبـذة عـن النتيجـة. فالسـؤال حاسـم، وعـلى التعليـم أن يمتلـك ذلـك عـلى كلّ الأصعـدة. ولكـن ليـس مـن خـلال إعطـاء دروس في العلمانيـة

قد نصل للنتيجة التي نريد. المهمّ، هو أن نتعلم كيف نُفكر في الديني من خلال تطورات التاريخ. ربما الأمر أكثر تعقيدًا بالنسبة للإسلام، لأنّه يُنظر إلى القرآن ككلام إلهي مباشر وغير زمني. الكثير من الناس متمسكون بهذه الفكرة، ويضيفون أيضًا تقديسًا كليًّا لشخصية النبي، بالرغم من أنّ ذلك مخالف كليًّا للقرآن. ذلك ما أدى إلى الفظائع الذي نعرفها.

الصعوبة، هي في "فك وهم الماضي" وأنسنته دون أن يعطي ذلك انطباعًا بأنّ الإيمان قد اعتُدي عليه. علينا أرخنة الكلمة الشهيرة التي نعتبرها إلهية من خلال التوضيح بأنها تتوجه أولًا، في القرآن، إلى أناس ليسوا هم مسلمي هذا العصر. من الصعب، ولكنه ممكن. يجب ألّا ننسى بأنّ الفكر التاريخي المعاصر، الذي يتضمّن الوقوف على مسافة من الاحداث – تعتبر هذه الكلمة اليوم مُودة – وفي نفس الوقت ممارسة القراءة الكرونولوجية، هي طريقة في التفكير ليست تلقائية علينا التمرّن على اكتسابها وممارستها.

**توماس رومر**

أتّفق معك بخصوص هذه الضرورة. المقاربة التاريخية – هل يجب الموافقة على الانضمام!– لأجل تبيان أنّه لا وجود للفورية بالنسبة للنصوص الدينية، وأنّ النص ما هو إلا نتاج لكتابة تأريخية، وقراءات عديدة. طبعًا، من المفترض أنّ الديانات تتغيّر عبر القرون. إذ أنّه يمكن الشعور بخطورة هذا بالنسبة لليهود والمسيحيين كما بالنسبة للمسلمين كلّما بقينا ضمن الفهم المباشر للنصوص، والتي تعتبر ضمنيًّا ككتاب يحتوي وصفات للعمل. من المؤسف، أنّ هذه الفكرة هي في الغالب محمية أيضًا من طرف بعض الزعماء الدينيّين والروحيّين.

**جاكلين الشابّي**

إنّ الإسلام الجهادي قدّم أسوا وأبشع الأمثلة لهذه الفكرة. فعلى مستوى السلوكيات الاجتماعية، لا يمكننا استثناء الإسلام السلفي. المشكل، أنّه بالنسبة للمعالجة التاريخية للنصوص، نحن لسنا مع موضوع القرآن لوحده. نمتلك مدونة ثانية مثل الحديث، وكتب الفتاوى، والآراء الفقهية، بغض النظر عن المدونات الثانوية الأخرى التي تتوزع على مدار قرون. بالنسبة للشيعة، لدينا بالإضافة لأقوال أئمتهم، وآخرهم اختفى منتصف القرن التاسع والذي ينتظرون رجعته. لا أحد من هذه المدونات، الضخمة في الغالب – دون أي درجة مساوية للقرآن – قد سبق وخضع للقراءة النقدية، إن لم يكن بطريقة جزئية. ليست على الإطلاق مؤرخنة بينما في الواقع هي تنتمي لمراحل اجتماعية مختلفة جدًّا. بالإضافة لذلك، عكس القرآن الذي يُحيل إلى فعل وتحديات البيئة، فإنها نصوص حرة، والتي لا تجيب في الغالب إلّا على تحدّيات إيديولوجية دون أي علاقة مع الحقيقة. نحن في الغالب في سباق مجنون بالمعنى الصحيح، والذي لم يعرف أبدًا أبسط بداية للتطبيق على الصعيد الاجتماعي أو السياسي. بالرغم من أنّ كل هذا يؤخذ بجدية في العديد من الأوساط الإسلامية اليوم.

**توماس رومر**

هناك أوساط تسمّى أصولية أو سلفية في كل مكان، في المسيحية وفي اليهودية أيضًا. تُولي لهم الأهمية ربّما أكثر من أي وقت آخر. بالنسبة لهم، كلام الإله لا يمكن الشكّ فيه، ولا يمكنه أن يكون موضوعًا للمقاربة التاريخية. فالمعركة لم تُكسب في أي مكان. يمكننا القول بالفعل، كما تفعلون، إنّ التأخّر صارخ بالنسبة للدراسات الإسلامية؛ ولكن عندما تجتمع الغيوم السياسية، الاجتماعية أو "المجتمعية"، الضمانات

الدينيــة تعــود مــن كل جهــة.

## عنف الديانات؟

**جون - لوي شليغل**

مــن أجــل توســيع مــا قمتــم بالتلميــح لــه: هنــاك مــع ذلــك عنف صنعتــه الأديــان. في المقعــد الســاخن نجــد الديانــات المُنبثقــة عــن التقليــد التوراتــي والإنجيــلي، وعــن القــرآن. هــل لديــك تفســير؟

**توماس رومر**

العنــف جــزء مــن الحيــاة البشريــة. في الحقبــة التــي كتبــت فيهــا هــذه النصــوص، كانــت هنــاك باســتمرار حــروب ونزاعــات. مــا يقــال عــن الآلهــة يعكــس أيضًــا واقــع المجتمعــات القديمــة. تــروي التــوراة بالتأكيــد أن يهــوه يقــود الحــرب، وأنّنــا نحــارب باســمه؛ عنــف اللغــة، فيمــا يخــص الجنســانية بصفــة خاصّــة، لا شــكّ فيهــا هــي الأخــرى (في الفصــل16 مــن ســفر حزقيــال، عقوبــة إسرائيــل، تشــبه عقوبــة المــرأة غــير الوفيــة ليهــوه، تتمثّــل في اغتصــاب جماعــي). هنــا أيضًــا، فالمقاربــة التاريخيــة تصبــح ضروريــة مــن أجــل التوضيــح بــأنّ هــذه الخطابــات، التــي تبــدو لنــا اليــوم عنيفــة جــدًّا، قــد ولــدت في جــو مــن العنــف الســياسي، والاجتماعــي، والنــزاع الدينــي، والذّكورية...الــخ. اليــوم تُهيمــن الرؤيــة السياســية واللاهوتيــة "الصحيحــة" لهــذه أو تلــك الآلهــة: يســعى اللاهوتيــون لأجــل تبيــان أنّ الصــور الايجابيــة ليهــوه هــي الغالبــة؛ البعــض الآخــر يســعى إلى شرعنــة العنــف الإلهــي مــن خــلال الإلحــاح عــلى خطيئــة إسرائيــل أو المجتمعــات الوثنيــة.

**جاكلين الشابّي**

ليســت الديانــات هــي العنيفــة، بــل هــي المجتمعــات، حســب الزمــن والمــكان، تلــك التــي تحتــوي عــددًا قليــلًا مــن البــشر، مثــل القبائــل، أو التــي ليــس لهــا دولــة، هــي أقــلّ عنفًــا بالمحصلــة. في مجتمــع القبيلــة، قــد نتلفــظ بكلمــات عنيفــة جــدًّا، ولكنّنــا نتحــاشى

الحرب التي تقتل، لأنّنا نعرف جيّدًا أنّ مجموعة صغيرة قد تُبيد مجموعة أخرى في وقت قصير جدًّا. نعيش بوعي أنّها قد تفنى وتباد. على العكس، في مجتمع كثيف السكان، قد نقتل بأعداد.

**توماس رومر**

إنّه معروف جيّدًا: نستعمل اليوم نصوصًا توراتية لأجل إضفاء الشرعية على "حروب مقدسة" أو نزاعات أخرى، لصالح اهتمامات امبريالية أو وطنية. إنّه بالضبط الحال بالنسبة لكتاب يوشع، الذي وُظّف لإضفاء الشرعية أثناء الحروب الصليبية، التمييز العنصري أو أيضًا ضمّ الأراضي المحتلّة من قبل إسرائيل. فالنصوص التوراتية والقرآنية قد تصبح خطيرة عندما تُوظّف كركيزة لخطابات اضطهاد وغزو على مدار التاريخ. ومن المهمّ أن يعمل المؤرخون على إعادتها لمضامينها والتذكير بقيمتها الأدبية: فالبلاغة الحربية ليست الحرب! لقد رأينا كيف وُظّف الخطاب الحربي في كتاب يوشع، في البداية "كضد التاريخ"، من خلال مناهضة الاحتلال والقوة العسكرية للآشوريين.

**جاكلين الشابّي**

نعم، قد يكون التاريخ دواءً للعنف! لأنّه يضع في السياق ويعتمد النسبية!

**جون - لوي شليغل**

نتكلّم هنا عن الآلهة، الإله، الله، ولكن في الأخير، كما في التوراة في القرآن كذلك، تُذكر كثيرًا الحياة اليومية. إنها نصوص "وجودية" للغاية. تتكلم، مع المؤمنين ومع غيرهم، عن الحياة، عن كل المشكلات الشخصية، عن علاقة الرجال بالنساء، عن الزنا، عن الإنجاب، أو أيضًا عن الغيرة والغضب، وبالطبع، عن عنف سياسي معتبر. نفهم جيّدًا أنّ هذه النصوص قد تُفيد كركيزة أو لإضفاء الشرعية، في الحروب الوطنية الحالية –

وهنـــاك الكثـــير مـــن الأمثلـــة.

**جاكلين الشابّي**

القـرآن كان كتابًـا للحيـاة في إطـاره القبـلي، ولكنّـه، قُـرأ خـارج إطـاره كمـا يحـدث ذلـك في الغالـب اليـوم، قـد يصبـح كتابًـا للموت بالنسـبة لأنـاس يريـدون الالتحـاق بالجنـة. لا أعتقـد أنّ رجـال القبيلـة في جزيـرة العـرب القاحلـة قـد تمّـت تعبئتهـم مـن قبـل إيديولوجيـة ايسـكاتولوجية غريبـة عـن تقاليدهـم. كان في وسـعهم أن يفعلـوا الكثـير لأجـل الاسـتمرار في العيـش هـم وذويهـم.

**توماس رومر**

بشـكل عـام، إذا مارسـنا الانثروبولوجيـا بعـض الـشيء، فإنّنـا نجـد في هـذه النصـوص تفكـيرًا في الحالـة الإنسـانية. ليـس هـذا صحيـح بالنسـبة للتـوراة فحسـب: قبلهـا، توجـد ملحمـة جلجامـش التـي تعالـج الأسـئلة الكبـيرة التـي كان البـشر يطرحونهـا. طبعـا، تعالـج، في خطابـات حـول الحالـة الإنسـانية، مشـاكل سـياقية محـددة، التـي ذكّـرت بهـا جاكلـين الشـابيّ. ولكـن في نفـس الوقـت الـذي يطـرح فيـه البـشر تسـاؤلاتهم حـول المـوت، أو حـول معنـى الحيـاة، وحـول مـا يجـب أو لا يجـب فعلـه، تقـدم هـذه النصـوص أشـكالًا متعـدّدة لهـذه الأسـئلة. إضافـة إلى ذلـك، أعيـد القول: إنهـا ليسـت " كتبًـا تقـدم إجابـات".

**جون – لوي شليغل**

ليـس مـن الصدفـة إذن أنّ هـذه النصـوص لا تـزال حيـة إلى غايـة يومنـا هـذا؟

**توماس رومر**

حيـة، نعـم؛ ولكـن احـذر، هنـاك مجازفـة كبـيرة في اعتمـاد قـراءات منحـازة، وفي الاتّجـاه الخاطـئ. ليـس بالـضرورة خطـأ جسـيم، ولكـن عندمـا نسـتعمل الوصايـا العـشر، لأجـل بنـاء نـوع مـن الأخلاقيـات اليهوديـة- المسـيحية المنقوشـة عـلى الرخـام، يجـب أن نكـون واعـين بـأنّ المعنـى الـذي نمنحـه اليـوم لبعـض الوصايـا

ليس هو المعنى الأصلي. لنأخذ مثال الوصية: "لا تزني". تحمل، اليوم هذه الكلمات أشياء أخرى بعيدة عن الوصية. في الأصل، تعني بلا شك: " ألا تضاجع امرأة متزوجة يمتلكها غيرك"؛ ولكن ذلك يعني أيضًا : "إذا أخذت فتاة أخرى غير متزوجة وتستطيع الزواج منها، فليس هناك أي مشكل!" فمنع الزنا لا يعني أبدا زيارة رجل متزوج لعاهرة. كثيرًا ما ننسى: خلف ترجماتنا أو فهمنا للنصوص الألفية، فنحن لا نتكلم عن نفس الواقع.

**جاكلين الشابّي**

كل واحد " يبني" قراءته، ولكن غالبًا ما يعتقد المؤمنون أنّ قراءتهم هي الحقيقة. يجب أن نبيّن بأنّ القراءة هي وظيفة سياقية، وأنّ غيرنا فيما سبق قد قرأوا بشكل مختلف. لقد درس دومينيك لوكور Dominique Lecourt هذه الظاهرة للقراءة المباشرة، بلا وسائط، عند البروتستنت الأمريكان، في "أمريكا بين التوراة و داروين"5. في العالم الإسلامي، نجد للأسف هذه الظاهرة عند الأشخاص الذين يتعلمون العربية بواسطة القرآن. إنّهم لا يعلمون بأنّهم يضفون على النص ما هم عليه. بعض الشباب يقول إن آباءهم لا يفهمون الإسلام، باعتماد الحجة أنهم هم أيضًا، عكس هؤلاء، يقرأون القرآن بشكل مباشر، ويفهمونه إذن بشكل أفضل.العكس هو الصحيح: إنهم هم من فك الصلة مع التقليد. يحدث أيضًا أن مؤمنين يحفظون النص عن ظهر قلب ولا يفهمون بالضرورة ما يقرأون. ليس لديهم أدنى علم بأنهم يبنون قراءاتهم وأنهم يفهمون تحت تأثير عواطفهم، ومعارفهم– السيّئة في الغالب –، وأحاسيسهم أيضًا . أقول بأنّ التربية على القراءة التاريخية يجب القيام بها. إنّها التي تجعل الرجال مسؤولين عن حاضرهم. القراءة الواهمة التي تنزع الانسنة عن الماضي قد ينتج عنها نتائج مخيفة. فالإسلام اليوم منزوع التاريخية، إنّه يقدّم لنا نموذجًا حزينًا.

**السا روزنبرغ**

فيمــا يخــصّ القــراءة "المبــاشرة"، نلاحــظ أنّ الأصوليــين، مهمــا أرادوا أو ادّعــوا، فهــم لا يســتطيعون تطبيــق مجمــل التعليمــات التوراتيــة، لأنّهــم ســيكونون ضــد القوانــين الحاليــة. حســب التــوراة مثــلًا، فالطفــل الــذي يكلّــم أبويــه بشــكل سيء يجــب أن يرجــم (ســفر التثنيــة21-18،21). كذلــك، يمكننــا أن نتّخــذ عــدة نســاء إذا اســتطعنا ذلــك (انظــر حــال يعقــوب، أو الملــوك داوود وســليمان). أو أيضًــا، علينــا المعاقبــة بالمــوت مــا يعتــبره النــص "انحرافــات جنســية" (ســفر اللاويــين20)... مثــل هــذه الأوامــر تعتــبر كلامًــا إلهيًّــا مــن طــرف مــن يســمون بالأصوليــين؛ ولكــن في حياتهــم اليوميــة، لا يســتطيعون تطبيقهــا.

فالأصوليــون والحرفيــون لديهــم، ســواء كانــوا واعــين أو لا، قراءتهــم للنصــوص، والتــي ليســت ســوى واحــدة مــن بــين الكثــير. يصنعــون أولويــات. هنــاك دائمًــا حتــى عنــد الأصوليــين المتشــدّدين، نــوع مــن " التأويــل الأولي"، لأنّــه توجــد قواعــد لا يمكننــا بــكل بســاطة تطبيقهــا اليــوم. إذا أردنــا فعــل ذلــك، يجــب إعادة ممارســة الــرق، تعــدد الزوجــات – الموجــودة في بعــض البلــدان الإســلامية –، حكــم الإعــدام...أو الســقوط في جنــون داعــش، والانغمــاس في التقتيل الجماعــي.

في اليهوديــة، الأمــر اقــل تعقيــدًا، لأنّ الحاخامــات ألحّــوا عــلى ضرورة التأويــل. بالنســبة لهــم، "التــوراة" الحقيقيــة ليســت التنــاخ، بــل هــي التلمــود، والنقــاش الحاخامــي. مــن وجهــة النظــر المســيحية، وبالخصــوص البروتســتانتية، ننــسى أحيانًــا، بالعكــس، دور وأهميــة التأويــل.

**جاكلين الشابّي**

مــا زاد الأمــور تعقيــدًا بالنســبة للإســلام، في الأزمنــة الحديثــة، هــو الوهابيــة، التــي لعبــت وتلعــب دورًا فظيعًــا في العنف الإســلامي.

نهضة التشيّع السياسي في الثمانينات كان لها كذلك تأثيرًا سلبيًا. أحيانًا يكون لديّ انطباع أن المسلمين قد فقدوا كليا المعايير بالنسبة لعصرهم. إنهم يطبقون بلا تمييز ما يعتقدونه تراثهم، يرتبطون بأئمة تخرّجوا من أي مكان ويقولون أي كلام. فالعالم الإسلامي يفتقد للمعرفة التاريخية المتماسكة، كما هو الحال بالنسبة للنقد التوراتي، أين يمكننا ممارسة عقلنا المُستنير بالمعرفة المتماسكة، وأين نمتلك الوسائل لفعل ذلك. إنّه يتميّز بنقص فضيع للفكر الحر والذي يستطيع التاريخ النقدي للماضي بشكل كبير تعويضه إذا كنا نمتلكه، وهو ما لم يتحقّق بعد.

1 .الآيات الشيطانية (23-19،53) والتي تتضمن أقوال مصالحة تلفظها الشيطان على لسان محمد تجاه الأوثان.

2 LeSeigneurdestribus.L'islamde. Mohamet,Paris, CNRS Editions," Biblis ",2013 et 2020.

3 .Docétismeالدوستية :مذهب يرى بأنّ المسيح هو شخص، فقط من جهة المظهر، إذن فالله لم يتجسّد فعليًا في المسيح .

4 .المونوفيزيست :الذين يقولون أن المسيح من "طبيعة إلهية"، وأنه ليس لديه سوى "طبيعة واحدة"، إلهية و ليست بشرية. النسطوريون يلحّون على الطبيعة البشرية للمسيح، وعلى "شخصيتين " مستقلتين. الخلقدونيون يتبعون المذهب، الذي سيصبح وحده ارذودكسي، منذ مجلس خلقيدونيا، وبالنسبة لهم فان المسيح " شخص بطبيعتين".

5 Paris,PUF,2007.

*الخلقدوني Chalcedonian الذي ينتمي

عقائديـا الى توجيهـات المجمـع المسـكوني الخلقدونـي 451م بخصـوص العلاقـة بـين الالهـي والبـشري للسـيد المسـيح.

*هرطقـة إسـماعيلية وهـو راي يوحنـا الدمشـقي الـذي يقـول بـان الدعـوة المحمديـة مجـرد هرطقـة لابنـاء اسـماعيل عـلى لسـان نبيّهـم المزيّـف.

* " آه! لـو أسـتطيع بلـوغ خزائـن السـماء! " لـم تذكـر الباحثـة مصـدر الاقتبـاس مـن القـرآن، يرجـح ان الآيـة المقصـودة هـي : مـن سـورة الإسراء الآيـة رقم 100 وهـي قُـل لَّـوْ أَنتُـمْ تَمْلِكُـونَ خَزَائِـنَ رَحْمَـةِ رَبِّـي إِذًا لَّأَمْسَـكْتُمْ خَشْـيَةَ الْإِنفَـاقِ وَكَانَ الْإِنسَـانُ قَتُـورًا

*يقـول اللـه ليسـوع: " سـأجعلك تمـوت (موتـًا طبيعيًّـا) وأرفعـك إليّ! " الآيـة المقصـودة في هـذه الفقـرة هـي مـن سـورة آل عمـران الآيـة 55 وهـذا نصهـا : إِذْ قَـالَ اللَّـهُ يَـا عِيـسَىٰ إِنِّـي مُتَوَفِّيـكَ وَرَافِعُـكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّـرُكَ مِـنَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا وَجَاعِـلُ الَّذِيـنَ اتَّبَعُوكَ فَـوْقَ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا إِلَىٰ يَـوْمِ الْقِيَامَـةِ ثُـمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُـمْ فَأَحْكُـمُ بَيْنَكُـمْ فِيمَـا كُنتُـمْ فِيـهِ تَخْتَلِفُـونَ

*" اليهـود يكرهونكـم ولكـن النصـارى يحبونكـم، إنهـم أنـاس طيّبـون " و المقصـود هـي الآيـة 8 مـن سـورة المائـدة و التـي نصهـا " لتجـدن أشـد النـاس عـداوة للذيـن آمنـوا اليهـود والذيـن أشركـوا ولتجـدن أقربهـم مـودة للذيـن آمنـوا الذيـن قالـوا إنـا نصـارى ذلـك بـأن منهـم قسيسـين ورهبانـا وأنهـم لا يسـتكبرون".

# المحتويـات

## الجزء الأول إله التوراة

## الجزء الثاني إله القرآن

# إله التوراة
# إله القــرآن

في هذا الكتاب، يحاور المختص في سوسيولوجيا الديانات والفيلسوف الفرنسي جون لوي شليغل، كل من توماس رومر وجاكلين الشابّي، حول المسائل الأساسية التي ميّزت التوحيد في كل من اليهودية والإسلام.

هذا الكتاب، هو بمثابة خلاصة فكرية، مهمّة، استطاع المُحاور من خلال أسئلة، موجهة ودقيقة، أن يُسلط الضوء على عصارة البحث عند كل من توماس رومر وجاكلين الشابّي، ويبرز أهمّ ما وصل إليه التفكير عندهما، في مواضيع كانت بالأمس القريب ضمن المقدس الذي لا ينبغي التفكير فيه، أو ربما كانت من المواضيع التي تستغلها أوساط سلطوية معينة للتوظيف الأيديولوجي.

مع توماس رومر هناك مقاربة نقدية تاريخية حول تأريخية الإله وتأريخية النصوص. لم تولد النصوص التي وصلتنا دفعة واحدة وعلى نحو مكتمل، ولكنها كانت نتاج واقع تاريخي وثقافي أسهم بغزارة في تكوينها. لم يكن التوحيد من صميم تفكير اليهود الأوائل، ولكنهم عملوا على إنتاجه في ظروف تاريخية معيّنة، وترسّخ في أذهانهم من خلال أحداث وتجارب اجتماعية، استمرت لعدة قرون.


ISBN 978-9922-8974-0-0
9 789922 897400


المرهج للطباعة والنشر


دار دجلة الاكاديمية

تصميم الغلاف: حسن عزت